

# ملحمة الجزائر

شرح تاريخي لإلياذة الجزائر  
لشاعر الثورة مفدي زكرياء



سمير نور الدين دردور



# ملحمة الجزائر

شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكرياء

تأليف

سمير نور الدين دردور



# ملحمة الجزائر

سمير نور الدين دردور

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهورة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

بورك هاوس، شبيت سرتيت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تلفون: +٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٢٢٥٢٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: عبد العظيم بيدس

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٧٣٠ ٧

صدر هذا الكتاب عام ٢٠١٩.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٩.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.

جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور سمير نور الدين

دردور.

# المحتويات

٧	ملحمة الجزائر
١١	إهداء
١٣	مقدمة
٢٧	<b>المبحث الأول: العصور القديمة</b>
٣٣	١- العهد الفينيقي
٣٩	٢- العهد الروماني
٤٩	٣- العهد الوندالي
٥١	٤- العهد البيزنطي
٥٣	<b>المبحث الثاني: العصر الوسيط</b>
٥٥	١- الفتح العربي الإسلامي
٦١	٢- الدوليات المستقلة في الجزائر
٨٣	<b>المبحث الثالث: العصر الحديث والمعاصر</b>
٨٥	١- التدخل الأجنبي في الجزائر
٩٣	٢- الانتفاضة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي
١٠٧	٣- الحركة الوطنية الجزائرية
١٢٩	٤- جزائر العلم والنهضة الفكرية
١٣٩	٥- جزائر ما بعد الاستقلال
١٤٥	خاتمة

ملحمة الجزائر

١٥٣	الملحقات
١٨٧	المراجع
١٩١	<b>إلياذة الجزائر</b>
١٩٣	مقدمة الطبعة الأولى
١٩٥	مقدمة الطبعة الثانية
٢٠٥	إلياذة الجزائر

# **ملحمة الجزائر**







الشاعر مفدي زكريا ١٩٠٨-١٩٧٧م.

## إهـداء

إليك يا مبدع نشيد بلادي،  
إليك يا صاحب إليةذتها،  
إليك يا شاعر ثورتها،  
إليك أزف خالص الدعوات وأطيب التحيات،  
إليك أهدي «ملحمة» شارحاً بها «إليةذة»،  
إليك مفدي زكريا ...



## مقدمة

(١) صاحب إلإيادة الجزائر

(١-١) مولده ونشأته

وُلد الشيخ زكريا بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، المعروف بـ «مفدي زكريا» يوم الجمعة ١٢ يونيو ١٩٠٨ م الموافق ١٢ جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ بـ «بني يزقن، ولاية غرداية بالجزائر». نشأ في عائلة جزائرية محافظة أصلُها من الأبيض سيدى الشيخ — غرب ولاية البيض. دخل الكتاتيب، وتعلم القرآن الكريم وأساسيات اللغة العربية.

لقبه زميل البعثة الميزابية والدراسة الأستاذ سليمان بوجناح بـ «مفدي»، فأصبح لقبه الأدبي مفدي زكريا. استعار في بداية مشواره الأدبي أسماء أدبية مختلفة: أبي فراس، ابن تومرت، فتى المغرب ...

تنقل رفقه أسرته إلى مدينة عنابة، ثم رحل إلى تونس وأكمل دراسته بمدرسة السلام والمدرسة الخلقية ومدرسة العطارين، ثم الزيتونة التي نال بها شهادة التأهيل، وعاد بعد ذلك إلى الجزائر، وكان له دور كبير في إثراء المشهد الأدبي والسياسي. انخرط في صفوف الشبيبة الدستورية التونسية، ثم انضم إلى الحركة الوطنية الجزائرية، وناضل بداية من الثلاثينيات في صفوف جمعية «طلبة شمال إفريقيا المسلمين» و«نجم شمال إفريقيا» و«حزب الشعب» و«الانتصار للحريات الديمقراطية» ثم «جبهة التحرير الوطني».

تعرَّف على العديد من الشخصيات الوطنية والعربيَّة عندما كان مقيًّما بتونس. لازم أبا العربي الكبادي، ورمضان حمو، وأبا القاسم الشابي. وظَّف مفدي زكريا في المجال الإعلامي رصيده الثوري عندما تولَّ رئاسة تحرير جريدة «الشعب»، لسان حال حزب الشعب في سنة ١٩٣٧ م. سُجن عدة مرات بسجن بربروس (سركاجي)، وبعد قضائه مدة ثلاثة سنوات فرَّ إلى المغرب، ثم إلى تونس، وأصبح سفيراً للقضية الجزائريَّة. ساهم في تحرير جريدة المجاهد إلى غاية الاستقلال، وكانت له إسهامات عبر العديد من المقالات القيمة في صحف وجرائد عربية رائدة، منها جريدة «الأخبار» و«الصواب» التونسيتان و«اللواء» المصريَّة.

## (٢-١) إنتاجه الفكري والأدبي

بعدما كتب النشيد الرسمي «فاء الجزائر»، ونظم النشيد الوطني للجمهورية الجزائريَّة الديمقراطيَّة الشعبيَّة «قسمًا» الذي لحنَه الأستاذ محمد فوزي، كتب مفدي زكريا «إليانة الجزائر» التي هي محل بحثنا، استطاع بكتاباته وأشعاره ونضاله السياسي والثقافي أن يُعرِّف بقضية شعبه في العالم العربي، ويدعو إلى الوحدة العربيَّة في مواجهة القوى الاستعمارية والتكتلات الإقليمية.

له العديد من المؤلَّفات، أخص منها: «تحت ظلال الزيتون» (ديوان شعر) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٦ م، «اللهب المقدس» (ديوان شعر) صدر في الجزائر عام ١٩٦١ م، صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٧٣ م، «من وحي الأطلس» (ديوان شعر) (١٩٧٦ م، وله عدد من القصائد الشعرية الوطنية: «من جبالنا طلع صوت الأحرار» سنة ١٩٣٢ م، و«فاء الجزائر روحي ومالي» سنة ١٩٣٦ م، و«اعصفي يا رياح»، ونشيد جيش التحرير الوطني، ونشيد العمال ونشيد الطلبة.<sup>١</sup>

<sup>١</sup> مقدمة الطبعة الأولى لـ «مولود قاسم نايت بلقاسم» للشاعر مفدي زكريا: «إليانة الجزائر»، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٧ م، ص. ٩.

وقد كان المؤسسة مفدي زكريا بولاية غرداية فضل جمع التراث الفكري والأدبي للشاعر.

### (٣-١) التشريفات

نال مفدي زكريا العديد من الاستحقاقات والتشريفات، من بينها: «وسام المقاوم من رئيس الجمهورية الشاذلي بن جدي في سنة ١٩٨٧م»، و«وسام الأثير من مصف الاستحقاق الوطني من رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة في سنة ١٩٩٩م»، و«وسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من عاهل المملكة المغربية سنة ١٩٦١م»، و«وسام الاستحقاق الثقافي من الحبيب بورقيبة، رئيس الجمهورية التونسية».<sup>٢</sup>

### (٤-١) وفاته

توفي الشاعر مفدي زكريا – رحمه الله – يوم الأربعاء ١٧ أغسطس ١٩٧٧م الموافق لـ ٢ رمضان ١٣٩٧هـ بتونس، ونقل جثمانه إلى الجزائر ليُدفن بمسقط رأسه بعد عطاء ثري ونضال وفي.

### (٢) موضوع الإلإيادة

موضوع إلإيادة الجزائري موضوع ملحمي، يروي تاريخ الجزائر وأهم البطولات التي خذلها أبناؤها، والواضح أنَّ طريقة إلقاء الإلإيادة بتلك الصورة الإبداعية والحماسية في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي سنة ١٩٧٢ بالجزائر ونمط تركيبها واستعمال مفدي زكريا للمحسنات عوامل أعطت الإلإيادة رونقاً أدبياً وجرساً موسيقياً يثير في النفس عزةَ الروح الوطنية، ويربّي فيها قوة الارتباط بأمجادها وتاريخها وبطولاتها، وهي في حد ذاتها رسالة قوية قوة القضية الجزائرية عَبر التاريخ، ترسم في أبياتها معالم الدولة الجزائرية المعاصرة وأصالتها الإسلامية والعربية والأمازيغية.

<sup>٢</sup> مفدي زكريا، «أمجادنا تتكلّم»، جمع وتحقيق مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكريا والوكالة الوطنية للإشهار، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص ٣.

إلياذة الجزائر، ديوان شعر، أرَخ لتاريخ الجزائر، واجتهد في إزالة ما عُلِق به من شوائب، في صورة ملحمةٍ تُنبع حركة وأحساس جياشة.

وقد اشترك في ضبط نسجها التاريخي كُلُّ من مفدي زكريا الذي كان مقیماً حينها بالغرب، ومولود قاسم نايت بلقاسم الذي كان بالجزائر، وعثمان الكعاك من تونس. بُرِزَت الفكرة الأولى لنظم إلياذة من قبل الأستاذ مولود قاسم — رحمة الله — الذي راوده مشروع الإشادة ببطولات هذا الوطن ومقوماته الدينية والثقافية والتاريخية في شكل ملحمةٍ خالٍ الملتقى الخامس لل الفكر الإسلامي الذي أُقيم بوهران سنة ١٩٧١م، طلب من خاللها من الشاعر مفدي زكريا كتابتها تحضيراً للملتقى السادس، الذي كان مقرراً أن يُقام في قاعة المؤتمرات لقصر الأمم بالجزائر العاصمة.

ويَا مُلتقى فِكْرِ إِسْلَامِنَا      وَمَجْلِي قَدَاسَةِ إِيمَانِنَا

ويقول في بيت آخر:

سَلَامٌ عَلَى مُهْرَجَانِ الْخَلْوَةِ      سَلَامٌ عَلَى عَيْدِكِ الْعَاشِرِ

كان مولود قاسم يراجع مادة إلياذة التاريخية، ثم يقوم الأستاذ عبد المجيد غالب بخطها.

تتكوّن إلياذة من ألف بيت وبيت، تغنى بأمجاد الجزائر وحضارتها ومقاوماتها لختلف الأمم المستعمرة والمغتصبة التي تدافعت عليها. أُلقيت بداية إلياذة، وكان عددها ستمائة وعشرة أبيات، في افتتاح الملتقى السادس لل الفكر الإسلامي أمام جمْعٍ غفيرٍ من المؤتمرين، حضر لاستماع بعض منها رئيس الجمهورية الراحل هواري بومدين — رحمة الله.

اقترن إلقاء إلياذة بالاحتفالات المخلدة للذكرى العاشرة لاسترجاع السيادة الوطنية، والذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر والمدية ومليانة على يد بلکین بن زيري.

<sup>٣</sup> الملحمة: «قصة بطلية تحكي شعراً ثورياً على أفعال عجيبة؛ أي على حوادث خارقة للعادة، وفيها يتجاوز الوصف مع الحوار وصور الشخصيات والخطب» (غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٤٣).

رَكَّزَتِ الإِلْيَاذَةُ عَلَى أَهْمَ الْمُحَطَّاتِ التَّارِيْخِيَّةِ الَّتِي صَنَعَتِ الْجَزَائِرَ، وَبِطْلَاهَا لَيْسَ مِنْ وَحْيِ الْخَيَالِ، وَلَيْسَ مِنْ أَوْهَامِ إِبْدَاعَاتِ الْأَسْطُورَةِ، وَلَا مِنْ قَبْلِ الرَّوَايَةِ الشَّعْبِيَّةِ الْمُتَوَارَةِ، وَلَا وَجْهَ لِلشَّبَهِ فِيهَا لِلِّيَاذَةِ هُومِيرُوسُ ... إِنَّمَا الْبَطْلُ فِيهَا هُوَ الشَّعْبُ الْجَزَائِرِيُّ فِي أَوْجِ تَطْوِرِهِ وَتَنْوِعِ مُشارِبِهِ الْعُقْدِيَّةِ وَالتَّارِيْخِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ، عَبْرِ فَتَرَاتِ تَارِيْخِيَّةٍ يُمْكِنُ إِجْمَالُهَا بِدَيْمَهَا مِنَ الْعَصُورِ الْقَدِيمَةِ إِلَى الْعَصْرِ الْوَسِيْطِ، وَصَوْلًا إِلَى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَالْمُعَاصرِ، وَمُحرَّكُ الْبَطْلُولَةِ فِيهَا هُوَ مُقَوْمَاتُهُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَالْأَمْازِيْغِيَّةُ وَالْعَرَبِيَّةُ، وَدَافِعُ رَفْضِ الْاسْتِعْمَارِ وَالْاسْتِعْبَادِ فِي شَتَّى صُورِهِ وَأَشْكَالِهِ، لَا مَجَالَ لِلتَّذَكِيرِ أَنَّ التَّارِيْخَ رَغْمَ تَقْسِيْمَاهُ، هُوَ وَحْدَهُ مُتَوَاصِلٌ وَمُمْتَدٌ لَا تَصْنَعُهُ الْأَمْمُ الْمُغَيَّرَةُ، وَلَا الدُّولُ الْمُسْتَعْمَرَةُ، وَلَكِنَّ تَصْنَعُهُ الشَّعُوبُ الْمُقاوِمَةُ وَالْمُكَافَحَةُ مِنْ أَجْلِ صَدِ الْعُدُوْنَ فِي سَبِيلِ الْحَفَاظِ عَلَى مُقَوْمَاتِهَا وَاسْتِعَاْدَةِ كَرَامَتِهَا وَحِرْيَتِهَا وَسِيَادَتِهَا.

تَخْلُجُ الْدِرَاسَةُ التَّارِيْخِيَّةُ لِلِّيَاذَةِ مَسْحَةً دَلَالِيَّةً، أَسْهَمَتْ بِشَكْلٍ وَاضْعَفَ وَقْوِيًّا فِي إِعْطَاءِ الإِلْيَاذَةِ حَرَكِيَّةً بَطْلُولِيَّةً وَرَوْنَقًا بِلَاغِيًّا أَضْفَى عَلَيْهَا حُلَّةً جَمِيلَةً مُنْفَعَةً بِجمِيلِ الطَّبِيعَةِ، وَمُزِينَةً بِعُبُقِ التَّارِيْخِ الَّذِي لَازَمَ الْأَلْفِيَّةَ بَطْلُولَةً وَأَخْلَاقًا.

#### (١-٢) المَسْحَةُ الْجَمَالِيَّةُ فِي الإِلْيَاذَةِ

أَخْذُ التَّصْوِيرِ الْجَغْرَافِيِّ حِيزًا مَهِمًا فِي الإِلْيَاذَةِ، وَهُوَ يَحْمِلُ دَلَالَةً جَمَالِيَّةً مُنْبَعِهَا الْوَصْفُ الْطَّبِيعِيُّ، وَدَلَالَةً تَارِيْخِيَّةً مُصْدَرَ طَمْعِ الْأَمْمِ الْمُسْتَعْمَرَةِ مِنَ الْفِينِيْقِيْنَ وَالْقَرْطَاجِيْنَ وَالْرُّوْمَانَ وَالْوَنْدَالَ وَالْبِيْزَنْطِيْنَ وَالْإِسْبَانَ وَالْفَرْنَسِيْنَ.

وَيَا حُجَّةَ اللَّهِ فِي الْكَائِنَاتِ	جَزَائِرُ يَا مَطْلَعَ الْمَعْجَزَاتِ
وَيَا بَسْمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضِهِ	وَيَا وَجْهَهُ الضَّاحِكِ الْقَسَمَاتِ
تَمْوِيجُ بَهَا الصُّورُ الْحَالَمَاتِ	وَيَا لَوْحَةَ فِي سَجْلِ الْخَلُودِ

تَتَجَلَّ عَبْرِيَّةُ مُفْدِي زَكْرِيَا فِي الْجَمْعِ بَيْنِ الدَّلَالَتَيْنِ الْجَمَالِيَّةِ وَالتَّارِيْخِيَّةِ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ مِنَ الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ لِلِّيَاذَةِ:

فَهُمْنَا بِأَسْرَارِهَا الْفَاتَنَاتِ	وَأَلْقَى النَّهَايَةَ فِيهَا الْجَمَالِ
فَأَهْوَى عَلَى قَدْمِيهَا الْطَّغَاءِ	وَأَهْوَى عَلَى قَدْمِيهَا الزَّمَانِ

وفي منطلق العقيدة التي قال عنها مفدي زكرياء:

شربتُ العقيدة حتى الثمالة وأسلمتُ وجهي لرب الجلة

كانت مقتضيات العقيدة الإسلامية حاضرة بقوّة في شعره؛ فها هو يربط بين جمال أرض الجزائر الخلاب، وبين الإيحاء الذي يتركه هذا التفكُّر في الجمال من إيمان واعتقاد يجلي في النفس تسلیماً جازماً بالربوبية والاهتداء إلى سوء السبيل.

فلولا جمالك ما صحَّ ديني وما أن عرفت الطريق لربِّي

في مجال التفكُّر والاعتبار، يمكن لنا الاقتباس على عموم المقصود لا خصوص التنزيل، قول الله تبارك وتعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الآلية: ٤٦).

## (٢-٢) البطولة

لazمت البطولة أبيات الإلياذة، واتخذت من العامل الزماني والمكاني والبنيوي والحيواني سرّ تنوع وقوّة، أضفت على عمله الأدبي والتاريخي حرکية وجاذبية، ليست البطولة من وحي الخيال، وإنما واقع تاريخي لأمة مجاهدة تحدّت أقوى الاستعمارات القديمة والحديثة.

هوميروس أَرَخَ ... لم ينتقد  
وشہنامہ الفرس بالوصف تغلو  
وشعر البطولات لا يضمحل  
فقلت: وشعر الخرافات يفنى

وما ورد في الإلياذة من ذكر للأسطورة فمن جانب البلاغة في المعنى، والقوّة في بيان البطولة التي أصبح ذكرها متواتراً على مرّ الأزمنة والعصور.

ويبا للبطولات تغزو الدُّنـا  
وتنمنحها القيم الخالدات  
فهاجت بأعماقنا الذكريات  
وأسطورة رددتها القرون

ومن قوة الإلياذة ذِكر بطولات كل المناطق الجزائرية باختلاف مواقعها وتضاريسها، ولم يخص منطقة من الجزائر دون غيرها، ولا مقاومة دون غيرها.

فيا أيها الناس هذى بلادي	ومعبد حبي وحُلم فؤادي
وإيمان قلبي وحالص ديني	ومبناه في ملتي واعتقادي
بلادى أحبك فوق الظنون	وأشدو بحبك في كل نادى
عشقت لأجلك كلَّ جميل	وهُمْت بحبك في كلَّ وادى

### (٣-٢) قيم الإلياذة

يمكن تقسيم أبيات الإلياذة من حيث الموضوع إلى قيم جمالية وتاريخية ووطنية. فالقيم الجمالية تشمل ذلك الوصف الشاعري لجمال التّضاريس الطبيعية والّتغنى بأفناها وغاباتها وبمواقعها الأثرية وبمناطقها السحرية، وما يتخلل ذلك من خواطر نفسية، منها قول الشاعر مفدي في المقطع الأول:

فتأهت بها القمم الشامخات	ويا تربة تاء فيها الجلال
فَهِمْنا بأسرارها الفاتنات	وألقى النهاية فيها الجمال

وقد أحصينا ٢٩٠ بيتاً تذكر فيها القيم الجمالية؛ أي بنسبة ٢٨,٩٧٪ من مجموع الإلياذة.

أما القيم التّاريخية فهي تلك الوقفات التاريخية والعوامل الزمنية والمكانية التي صنعت تاريخ الجزائر، كما تتضمن ذِكر الأعلام والمعارك والمدن في جانبها التاريخي، ومنها قول صاحب الإلياذة:

ونبني كياناً لنا مستقلاً	وهال ابن رستم ألا نسود
ويُرسِي نظاماً وينشر فضلاً	فقام بتيهرت يُعلى اللواء

يُقدر عدد الأبيات الحاملة للقيم التاريخية ٤٢٨ بيتاً؛ أي ما يعادل ٤٢,٧٦٪ من مجموع الإلياذة، وهي أعلى نسبة من حيث إحصاء القيم.

أما عن القيم الوطنية فهي كل تجليات القيم التي تصنع شخصية الجزائري، وهي الإسلام والأمازيغية والعروبة، ومبادئ الدفاع عن حق الشعوب في تقرير مصيرها، وأفاق الوحدة الغربية، وحلم تحرير فلسطين المغتصبة، كما تشمل الأخلاق والطّباع والمواقف البطولية، والفكر ومناهج السياسة والاقتصاد والمجتمع. يقول مفدي زكريا في المقطع ٧٩:

تفسّخ هذا الشباب وما عا  
وخرّب أخلاقه وتداعى  
فويل الجزائر والمسلمين  
إذا دنس النّساء هذى الطّباعا

مجموع الأبيات التي تتكلّم عن القيم الوطنية هي ٢٨٣؛ أي ما يُقدّر بنسبة ٪٢٨،٢٧ من الإلياذة.<sup>٤</sup>

#### (٤-٢) التناص القرآني في الإلياذة

تتجّل شخصية مفدي زكريا المترشّبة من منبع الثقافة الإسلامية في أبهى صور الاقتباس من القرآن الكريم والشعر والحكم والأمثال؛ لتعطي للإلياذة رونقاً ومهابة وإضافة جليلة في النظم. نورد في هذا العنوان بعضًا من التناص القرآني الوارد في الإلياذة؛ لأنَّ القرآن الكريم يُعد «... من أهم مصادر الصورة الشعرية عند مفدي زكريا؛ فقد كان يستقي مشاهده التصويرية والإيقاعية من مشاهد القرآن الكريم وجرس ألفاظه ...»<sup>٥</sup>

#### المقطع ٣

ويَا بَابِ السُّحْرِ مِنْ وَحِيهَا      تَلَقَّبْ هَارُوتُ بِالسَّاحِرِ

اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمُلْكَيْنِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ...﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٠٢).

<sup>٤</sup> انظر تفصيل إحصاء القيم حسب المقاطع في الملحق رقم ١، ص ١٤٦-١٤٩.

<sup>٥</sup> محاضرة أ. صباح لخضاري، معهد الأدب واللغات، المركز الجامعي النعامة، الجزائر، ٢٠١٤م.

## المقطع ٨

ويلتفُ ساقُ بساق، فنصبو      فيغمونا ملتقي الفكر نصا  
﴿وَالنَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ \* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (سورة القيامة، الآيات: ٣٠-٢٩).

## المقطع ١٠

ومن خائرين كأعجاز نخل      ضمائرهم في المزاد رقيقة  
﴿تَنْزَعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَارٌ نَّخْلٌ مُنْقَعِرٌ﴾ (سورة القمر، الآية: ٢٠).

## المقطع ١٢

وأنفاسه تغمر الصَّبَّ دَفْئًا      فينسى حرارة يوم الحساب  
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص، الآية: ١٦).

## المقطع ١٤

تسلق إيكورن واغز السها      وطاول به سدراً المنتهي  
﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (سورة النجم، الآيات: ١٥-١٤).

## المقطع ١٦

وسبح لله ما في السموات والأرض ملء شفائق شفا

## ملحمة الجزائر

﴿سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة الحشر، الآية: ١).

## المقطع ١٨

وأخرجت الأرض أثقالها      فطار بها العلم ... فوق الخيال ...!

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا \* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (سورة الزلزلة، الآيات: ٢-١).

## المقطع ٤٨

وتغري الكراسي ضعاف العقول      كنار جهنم ترجو المزيد

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (سورة ق، الآية: ٣٠).

## المقطع ٥١

تأذن ربك ليلة قدر      وألقى الستار على ألف شهر

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (سورة القدر، الآية: ٣).

## المقطع ٥٨

وأخضر يحصد حمر الحوا      صل فيها، ويقطع منه الوتين

﴿وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخْدُنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (سورة الحاقة، الآيات: ٤٦-٤٤).

## المقطع ٦٢

وجاسوا خلال الديار، فكانوا رُجوماً تُحيل الظلام نهارا

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا بَعْثَانًا عَلَيْكُمْ عَبَادًا لَّنَا أُولَئِنَّا بِأُسْ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ (سورة الإسراء، الآية: ٥).

## المقطع ٧٧

ويدعوه لكل احتلال ثبوراً ويُضرع في النكبة المدهمة

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَ ظَهُورَهُ \* فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبورًا﴾ (سورة الانشقاق، الآيات: ١١-١٠).

## المقطع ٨١

فويلٌ لطلاب من شيوخ توافة، لا يَعْلمون الكتابا

﴿وَمِنْهُمْ أُمِيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظْنُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٧٨).

## المقطع ٨٣

غرايبُ سود، تُجيد النَّعيق وتحتالُ في مشيها كالزَّرافَة

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلوانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ بِيَضْ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفُ أَلوانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (سورة فاطر، الآية: ٢٧).

## المقطع ٨٧

ولم ترض بالفحل من قومها فهامت بمن «ما رمى إذ رمى»

﴿... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ...﴾ (سورة الأنفال، الآية: ١٧).

## المقطع ٩٠

وبالمالِ تقذف طوغاً وكرهاً بأحضانِ من نفضته الدُّهور

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٨٣).

## المقطع ٩٧

تلقَّفُ ما يأfkون بسحري وألقى في الساحرين عصاً

﴿فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يأfkونَ \* فَالْقَى السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة الشعرا، الآيات: ٤٦-٤٥).

## المقطع ١٠٠

شعوبُ، ولم تستكِنْ للهوان وضَّحَ لغاصبِك النَّيْران ورجَّ به الشعبُ يوم الرهان

ولم يبرحوا الأرض، لما استقلَّت وزلزلت الأرض زلزالها وراهنه الشعبُ يوم التنادي

﴿... فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (سورة يوسف، الآية: ٨٠)، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (سورة الزلزلة، الآية: ١)، ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (سورة غافر، الآية: ٣٢).

ولإبراز أهم المحطات التاريخية الواردة في الإلياذة، أقدم هذا الكتاب الذي سميته «ملحمة الجزائر: شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكرياء» لأستشفَّ من خلاله أروع بطولات وأمجاد الشعب الجزائري في نضاله وكفاحه ضد الأمم الاستعمارية التي توالّت عليه؛ ولأبرّز صفاته وطبائعه وحبّه للشعوب التواقّة للانعتاق، كما لا يخلو البحث من صور التضامن الذي توليه الجزائر للقضية الفلسطينية، ورغبتها الحثيثة في تجسيد مبدأ الوحدة العربية والمغاربية والاهتمام بقضايا التحرّر والانعتاق.

فكيف لبلدٍ متّصلٍ في جذور التاريخ، ومشهود له بالسبق الحضاري في شتّى العلوم والمعارف، ومتّمتع بكل مصادر الجمال والرونق، ومحققاً لمعجزات الثبات على الحق، والدفاع عن الشرف والقدسات، والذود عن حمى الأوطان؛ أن ينحرف بعض أهله عن مصادر القوة والمانعة! ولعل هذا التناقض هو أبرز معالم الإشكالية في إلياذة الجزائر.

وسأحاول أن أقدم مقاربة تاريخية أراعي فيها التسلسل التاريخي ومستلهمًا الشرح والاقتباس من أهم مصادر التاريخ الجزائري الموثوقة بعيداً عن كل ما شاب هذا التاريخ العريق من أباطيل بعض المستشرقين وشهادات الناقمين على الجزائر، مراعياً في ذلك صدق المورد وأمانة الإحالة، ومحرياً قدر المستطاع مواطن الإجماع والوفاق بين المؤرخين والمؤلفين الجزائريين على سبيل الأولوية.

وأعمل ما ذهب إليه مؤرخ الجزائر الأستاذ أبو القاسم سعد الله – رحمه الله – بقوله: «إننا شعب يُحسِّن صناعة التاريخ، ولكنه لا يجيد روایته». إلى السطحية في الدراسات التاريخية الناجمة عن خلقيات التعامل مع القضية الوطنية بحكم المشارب الغربية والأفكار الغربية عن طبيعة الشعب الجزائري، وبحكم القدر الاستعماري الذي غيّب الكثير من حلقات البحث التأريخيَّة.



## المبحث الأول

# الصور القديمة

جزائر يا مطلع المعجزات      ويا حَجَّةُ اللهِ فِي الْكَائِنَاتِ

مطلعٌ يثير في النفس عَزَّةً جليلةً ونخوةً قوية، يُعبّرُ فيه الشاعر عن صدق الرابطة المتأصلة نحو بلده، وعن بلوغ أسمى الوصف لمرتبته. سايرت المعجزات مجلل الرسائلات السَّمَوِيَّةِ عَبْرَ التَّارِيخِ وَاسْتَطَاعَتْ، بِحُكْمِ مُصْدِرِهَا الْرِّبَانِيِّ، أَنْ تُسْكِنَ الْأَفْوَاهَ وَتَصْحِّحَ الْمَسَارَ وَتُلْهِبَ فِي قُلُوبِ الْمَنَاوِئَنِ نُورَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. وَهَا هُوَ مُفْدِي زَكْرِيَا يُسْتَخدَمُ مصطلح المعجزة؛ بل مطلعها، ويزيدتها قوةً إلى قوتها بإضفاء صفة حجة الله على الجزائر، تعبير يعجز قلب القارئ أن يتحمل هيبته وجلاله، وهو الذي يحمل في طياته عَبْرَ الْأَمْمَ الغابرة والحاضرة في نظم تاريخي سجل أروع بطولات وأمجاد الجزائر، وصراعها الأزلي من أجل الحفاظ على الهوية والكرامة والرقي.

في إشارة للإنسان، استخدم مُفْدِي زَكْرِيَا اسْمَ «آدَم» كلفتةٍ طيبةٍ لسرد الأحداث من بداية الخلق:

فَكَانَ بِأَخْلَاقِنَا مُومِنًا  
وَأَلْهَمْتُ إِنْسَانَ هَذَا الزَّمَانِ  
عَسَاهُ يَسِيرُ عَلَى هَذِينَا!  
وَعَلَّمْتُ آدَمَ حَبَّ أَخِيهِ

وتتجلى حقوق الإنسان التي طالما نادى بها شاعر الثورة، وفيها إشارة نبيلة للفطرة البشرية الرافضة للظلم والتواقة لتكافؤ الفرص والعدل ورفعه الهمة.

وَحَذَّرَ آدَمَ ظُلْمَ أَخِيهِ  
وَسُوَّى الْحَظْوَظَ وَأَعْلَى الرَّعُوسَا  
فَأَهْلَمْتِ الرُّوحُ هَذِي الرُّمُوسَا  
وَأَخْرَجَ حَوَاءَ مِنْ رَمْسَهَا

والحديث عن الخلائق التي جاءت من بعد آدم يضفي على شعر مفدي زكريا معاني الحكمة التي يحملها السرد التأريخي، في إشارة إلى وحدوية المبادئ الإنسانية، وثبات النواميس الكونية، وسريان القوانين الربانية في الخليقة.

أَسْأَلَهُ: عَنْ ثَمُودٍ ... وَعَادٍ ...  
وَهُلْ إِرْمٌ ... هِيَ ذَاتُ الْعَمَادِ؟  
وَقَالَ: الْجَزَائِرُ ... دُونَ عَنَادِ!  
وَأَوْقَفَتْ رَكْبَ الزَّمَانِ طَوِيلًا  
وَعَنْ قَصَّةِ الْمَجْدِ ... مِنْ عَهْدِ نُوحٍ  
فَأَقْسَمَ هَذَا الزَّمَانِ يَمِينًا

وفي نفس السياق التاريخي، يستلهم الشاعر مفدي زكريا تغنيه بجمال الجزائر من إيحاءات السحر الواردة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَّلُ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٠٢).<sup>١</sup>  
بقوله:

وَيَا رُوعَةَ الصَّانِعِ الْقَادِرِ  
جَزَائِرُ يَا بَدْعَةَ الْفَاطِرِ  
تَلَقَّبَ هَارُوتُ بِالسَّاحِرِ  
وَيَا بَابِلَ السُّحْرِ مِنْ وَحِيهَا

<sup>١</sup> بابل: بلد في سواد العراق، هاروت وماروت: بدل أو عطف بيان للملائكة. قال ابن عباس: «هذا ساحران كانوا يعلمان السحر، وقيل: ملكان أنزلوا لتعليمهم ابتلاءً من الله للناس» (جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٩).

تشبُّع مفدي زكريا بالثقافة الدينية جعله يستلهم سرده التاريخي في وصف الجزائر من المصدر القرآني: ﴿إِنَّ هَذَا لِفِي الصُّحْفِ الْأُولَى \* صُحْفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (سورة الأعلى، الآية: ١٨-١٩).<sup>٢</sup>

وَسَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِلءُ شَفَافَ شَفَا  
كَانَكَ تَصْغِي بِهَا لِلخَلِيلِ وَمُوسَى الْكَلِيمُ يَرْتَلُ صَحْفًا

كان حرص مفدي زكريا في رحلته التأريخية التذكير بمقومات الشعب الجزائري ومرجعيته الدينية والتاريخية والثقافية، وحضوره المميز في صناعة التاريخ بكل ما يقتضيه واقع التاريخ من سلم وحرب.

وَفِي كُلِّ شَبِّ لَنَا قَصَّةٌ مَجْنَحَةٌ مِنْ سَلَامٍ وَحَرْبٍ

نستشف في إلإيادة الجزائر ظاهرة حضارية مميزة احتُصَنَ بها أصل هذه الأمة ألا وهو عدم الذوبان في حضارات الدول الغازية، والحفاظ على الهوية والتقاليد والمقومات رغم الأهوال التي مررت بها عبر الأزمنة والعصور، وكيف استطاعت الجزائر قهر الأعداء، وفرض نظام حياتها أصيلاً في مصدره وفي منهجه بالرغم من تسجيل بعض مظاهر الزيغ التي أشار إليها الشاعر بعد استعادة السيادة الوطنية.

وَأَهْوَى عَلَى قَدْمِيهَا الزَّمَانُ فَأَهْوَى عَلَى قَدْمِيهَا الطَّغَاةُ  
وَأَسْطُورَةٌ رَدَّدَتْهَا الْقُرُونُ فَهَاجَتْ بِأَعْمَاقِنَا الْذِكْرِيَاتُ

أثبتت الحفريات والنقوش الصخرية والمعالم الجنائزية أنَّ أرض الجزائر عرفت تواجدًا بشريًّا مميًّا لآلاف السنين قبل الميلاد، ساهمت في نموه الظروف الطبيعية الملائمة. اكتشف العالم الأنثري «أرامبورغ» هيكلًا عظيمًا في ناحية معسكي يعود إلى ٥٠٤ ألف

<sup>٢</sup> الصحف المنزَّلة قبل القرآن عشرة صحف لإبراهيم والتوراة لموسى، المرجع السابق ص ٧٣٧.

سنة قبل الميلاد، خلص في بحثه إلى أنَّ الجزائر هي مهد العنصر البشري المتحضر،<sup>٣</sup> ولقد تعاقبت على الجزائر حضارات، منها الآشولية والعادتية والأبيروميرية والقفصية ظهرت حوالي ٨ آلاف سنة قبل الميلاد.<sup>٤</sup>

يُشار إلى السكان الأصليين للجزائر أحياناً بالبربر، وأحياناً أخرى بالأمازيغ. أما البربر فاسمُ عُرف به سكان شمال إفريقيَّة من قِبَل الإغريق والمصريين والرومان بعدما كانوا يُسمُّون بالليبيين.

و«بربر» في لغة الإغريق *Barbarus* يعني الصوت الذي يصدره الألغان، ثم صارت تسميةً على كلِّ من لم يتكلَّ لغتهم، ومن ثُمَّ أطلقها اليونان على كلِّ من ليس يونانيًّا.<sup>٥</sup> يقول ابن خلدون: «يُقال: إن إفريقيش بن قيس بن صيفي من ملوك التباعة، لما غزا المغرب وإفريقيَّة، وقتل الملك جرجيس، وبني المدن والأقصار، وباسمه زعموا سُميَّت إفريقيَّة، لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعي اختلافها وتنوُّعها، تعجب من ذلك وقال: «ما أكثر بربرتهم! فسُمو بالبربر، والبربرة بلسان العرب، هي: اختلاط الأصوات غير المفهومة، ومنها، يُقال: بربر الأسد، إذا زأر بأصواتٍ غير مفهومة».<sup>٦</sup>

نعت الإغريق والرومان البربر بعدم التحضر وتفاقم الفوضى، يقول بوسكي Bousquet: «إنَّ كلمة بربر أصلها لاتيني وتعني الأشخاص الذين لا ثقافة لهم، ويعيشون خارج نطاق روما». <sup>٧</sup> تلك هي أحکام «العالم المتحضر» الذي استمدَّ قوَّته من احتلال الأوطان والغطرسة على شعوبها وإجبارها على الذوبان في أنظمتها الاستعمارية. أما الأمازيغ، فهي تسمية تعني الإنسان الحر أطلقها الأمازيغ على أنفسهم؛ فهم السكان الأصليون لشمال إفريقيَّة رغم اختلاف صفاتهم العرقية في بعض المناطق. يرتفع نسب

<sup>٣</sup> عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام»، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٥م، ص ٤٦.

<sup>٤</sup> عمورة عمار، «موجز في تاريخ الجزائر»، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٥.

<sup>٥</sup> فتحة فر Hatch، «نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني: الحياة السياسية والحضارية (٢١٣-٤٦ق.م)»، منشورات أبيك، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص ٣٠.

<sup>٦</sup> عبد الرحمن بن خلدون، «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبّر»، الجزء السادس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١١٧.

<sup>٧</sup> عمورة عمار، مرجع سابق، ص ٦.

الأمازيغ إلى مازيق، وقد سبق لوفدٍ بعد فتح مصر أن عَبَرُوا عن ذلك في حضرة الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حينما ذهبوا إليه.  
وعندما سأله عمر بن الخطاب عن أصل الأمازيغ أجابه شيخ قريش: «يا أمير المؤمنين،  
هم البربر أولاد بر بن قيس بن عيلان». <sup>٨</sup>

«ينقسم البربر إلى قسمين؛ البتر: وهم أبناء مادغيس الأبتير بن بر بن مازيق، ومن  
قبائل البتر: مديونة، لواتة، زناتة، زواوة، نفوسة، مطغرة، مطمطة، زواحة، مغيلة ونفزة.  
البرنس: وهم أبناء بربنس بن بر بن مازيق، ومن قبائل البرنس: كتامة، أوربة، صنهاجة،  
مصمودة، لطة، جزولة، عجيسة وهسكورة». <sup>٩</sup>

ُعرف الأمازيغ بالشجاعة والإقدام والعيش في إطار نظام له مقوماته التنظيمية  
والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. يقول مفدي زكرياء في الإلياذة:

وأبناء مازيق قادوا الفدا	وخاضوا المعاجم يوم الصدام
وساقوا المقادير، طوع خطفهم	وشادوا البناء ... وأقرروا النظام
صمود الأمازيغ عبر القرون	غزا النيرات، وراغ النجوما

ويقول في المقطع ٢٨ منها:

ونحن الأمازيغ نرعى الذمام      ولا نجحدُ الفضل والأصرة

طارقت الإلياذة إلى التاريخ الجزائري عبر العصور القديمة، من خلال أبرز الواقع  
التاريخية المتداة من العهد الفينيقي وصولاً إلى العهد البيزنطي.

<sup>٨</sup> فتيحة فرجاتي، مرجع سابق، ص ٣٣.

<sup>٩</sup> عمورة عمار، مرجع سابق، ص ٧.



## الفصل الأول

# العهد الفينيقي

١٤٦-١٢٠ ق.م

«إنَّ الْأُمَّةَ إِذَا غُلِبَتْ وَصَارَتْ فِي مُلْكٍ غَيْرِهَا أَسْرَعَ إِلَيْهَا الْفَنَاءِ».١ ذلك قانون تاريخي؛ بل بدبيه حضارية تصير إليها كل أمة أو دولة نشأت في محيطها الطبيعي واشتد عضدها فيها، ثم توَسَّعَتْ لأسباب ذاتية على حساب غيرها من الشعوب لتنهب خيراتها، وتحتل أراضيها، وتعتدي على مقوماتها الوطنية. ينتسب الفينيقيون إلى العنصر الكنعاني السامي الذي ينتهي إليه العرب، «كانت لغتهم عربية محَرَّفةً قليلاً عن العربية الفصحى، وتشبه كثيراً العامية المستعملة في بلادنا اليوم».٢

### (١) التعايش الأمازيغي الفينيقي

هاجرت الأصول الأولى للفينيقيين من شبه الجزيرة العربية، واستقرت في مدینتي صيدا وصور،٣ وسميت الأرضي التي استقرت بها بـ «فينيقيا». أبحر الفينيقيون بأعداد كبيرة من فينيقيا، واستقروا بسواحل البحر الأبيض المتوسط من واجهة شمال إفريقيا في

١ عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ١٨٥.

٢ أحمد توفيق المدنى، «كتاب الجزائر»، المطبعة العربية، ١٩٣١م، ص ٦.

٣ عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٩.

القرن ١٢ ق.م، وأسسوا الموانئ في بادئ أمرهم على طول الساحل البحري، وطوروا نشاطهم التجاري، وأنجزوا ورشات لصناعة السفن وإصلاحها. لم يكن استقرار الفينيقيين بشمال إفريقية استعماريًّا مضطهداً لسكانه الأصليين بقدر ما كان استقراراً له طابع اقتصادي وتجاري، استطاع الفينيقيون من خلاله توطيد علاقاتهم بالسكان وإدماجهم في الحركة التجارية. ولم يسجل التاريخ أي حملة ضد السكان المحليين مفادها اضطهاد الأمازيغ وتصفية قيادتهم مثلما فعل الرومان من بعدهم، ولعل ذلك يرجع إلى الأصل المشترك بين الفينيقيين والأمازيغ، وأن اللهجة السامية تشملهما، ولا ريب وأنَّ هذه اللغة القرطاجنية قد مهدت السبيل إلى سيادة اللغة العربية بهذه الديار.<sup>٤</sup>

كان أول ما أسس الفينيقيون من المدن قرطاجة أو قرطاجنة سنة ٨١٤ ق.م. وهي في لغتهم «قرت حدشت» ومعناها: القرية الحديثة، وبمصطلح عصري: المدينة الجديدة.<sup>٥</sup> ونظرًا للطابع الاستراتيجي في الميدان التجاري لبعض المناطق النوميدية، أنشئوا بها مدنًا، مثل: عناية Rigius، وسكيكدة Risicada، وقسنطينة Cirta، وجيجيل Ighilgilli، وبجاية Saldae، والجزائر العاصمة Icosium، وإيوں Iol (شرشال).<sup>٦</sup> أسس الفينيقيون مدينة الجزائر (إيكوسيم) حوالي القرن ٦ ق.م، وينسب بعض المؤرخين تسميتها للدلالة على العشرين من حاشية هرقل، وقيل: نسبة إلى «جزيرة النورس» عندما حولها الفينيقيون إلى ميناء تجاري هام باقتراح من «هارودين» تحت حكم يوبا الأول.

### بولوغين إن صانها فيرموز وحازت إيكوسيم أقصى المرام

تعود تسمية النوميديين إلى الكتابات التاريخية الأولى لديودور الصقلي التي ذكر فيها أن النوميديين شاركوا في حروب جرت في نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد، وهي نسبة إلى «رحل» Numidae.<sup>٧</sup> وقد قطعت قرطاجنة صلاتها بفينيقيا

<sup>٤</sup> أحمد توفيق المدنى، «قرطاجنة في أربعة عصور: من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي»، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م، ص ٣٥.

<sup>٥</sup> عمار بوحوش، مرجع سابق، ص ١٠.

<sup>٦</sup> فتحية فراتي، «نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني، الحياة السياسية والحضارية ٢١٣-٤٦ ق.م»، منشورات أبيك، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص ٢١.

في الوقت الذي تدهورت فيه تلك الجمهورية الآسيوية، وسقطت فيه مدينة صور تحت ضربات بختنصر الفاتح الكلداني (٥٦١-٦٠٤ق.م).<sup>٧</sup>

توجَّس الفراعنة المصريون خِيفَةً من النظام القَبَلي الذي عُرف به الليبيون قدِيمًا فأعدوا له عُدة المواجهة والتصدي؛ فقد سجل التاريخ حملة في حوالي ١٢٥٠ق.م لرمسيس الثالث ضد هذه القبائل من المشوش والتيمحون والزوتمار والتابعون والكلاك لما حاولت غزو مصر. قُيدت بعض أحداث هذا الصراع في شكل رسومات جدارية في معبد مدينة «هابو» لأسرى الشعوب الليبية تقدُّم قرABIين للإله آمون، وقد ظهروا بضفائر طويلة مائةٍ على العنق، وحسب هيرودوتس كانت قبائل الأوزاس Auses والماكسياس Maxyes ذوو ضفائر على الجانب الأيمن من رعوسهم.<sup>٨</sup> ارتبطت قرطاجة بروما بمعاهدين: الأولى في سنة ٥٠٩ق.م، والثانية سنة ٣٤٨ق.م تعطي لقرطاجة الحق في احتكار التجارة للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وألزمت الرومان وحلفاءهم بعدم تعاطي التجارة على شواطئها قبل أخذ إذن من قرطاجة.<sup>٩</sup>

## (٢) ثورة النوميديين على قرطاجة

لم تستمر العلاقة الحميمة بين السكان المحليين والفينيقيين طويلاً؛ فبعدما تأسست قرطاجة وانفصلت عن فينيقيا وأصبحت قوة عسكرية في المنطقة ومركز إشعاع فكري وثقافي واقتصادي وسياسي، ظهرت بوادر الغلظة على السكان الأصليين وسوء معاملتهم وإثقال كاهلهم بالضرائب، فثار النوميديون على قرطاجة وقاموا بثورات أبرزها التي وقعت سنة ٣٩٦ق.م و٣٧٩ق.م تحت إمرة الإغريق تمهيداً للحروب البونيقية الأولى (٢٤١-٢٦٣ق.م).

<sup>٧</sup> أحمد توفيق المدنى، «قرطاجنة في أربعة عصور: من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي»، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م، ص ٢٨.

<sup>٨</sup> فتيحة فراتي، مرجع سابق، ص ٢٧.

<sup>٩</sup> عمورة عمار، «موجز في تاريخ الجزائر»، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ١٥.

خلال الحرب البويقية الثانية ٢١٨-٢٠٢ ق.م، وكردة فعل ضد القائد القرطاجي حنبعل، عيّنت روما القائد العسكري سكيبيون الإيميلي Scipion Emilien قنصلاً عاماً لروما سنة ٢٠٦ ق.م، وشنَّ حملة عسكرية واسعة للبحث عن حلفاء بتفويض من مجلس الشيوخ الروماني ضد قرطاجة، حاول على إثرها، في بداية الأمر، كسب مودة سيفاكس Syphax ملك نوميديا الغربية سنة ٢٠٦ ق.م<sup>١٠</sup> أو المازيسيليا: نسبة إلى قبائل المازيسيل الذين ظهروا كقوة في إفريقيا منذ أواخر القرن الثالث ق.م<sup>١١</sup> غير أنه رفض العرض، وفضل التحالف مع قرطاجة بسبب العلاقة الأسرية التي تربطه بالبويقين، استطاعت روما مدعومة بملك نوميديا الشرقية<sup>١٢</sup> ماسينيسا Massinissa هزيمة الجيش القرطاجي بزاما، أُلقي القبض فيها على سيفاكس سنة ٢٠٣ ق.م، تُوفي بعدها سيفاكس بحوالي ثلاثة سنوات؛ أي سنة ٢٠٠ ق.م.

وخلوا سفاكس يحكى لرومَا  
مدى الْدَّهْرِ كَيْفَ كَسَبْنَا الرَّهَانَا  
وكيف غدا ظافرًا ماسينيسا  
بِزَامَةِ لَمْ يَرَضْ فِيهَا الْهَوَانَا

### (٣) ماسينيسا الملك النوميدي (ولد سنة ٢٣٨ ق.م، وتوفي سنة ١٤٨ ق.م)

كان ماسينيسا أعظم ملوك البربر شأنًا وأكبرهم سلطاناً، من العائلة الماسيلية حكمت أربعة أجيال، واشتهر بالقوه ورجاحة العقل وسداد الرأي في الحكم. فسرّ مارسيي معنى كلمة ماسينيسا بعد تقسيمه إلى مقطعين هما «ماس» و«إنس». فقال: إنَّ معناهما باللغة البربرية: «سيد» «القوم».<sup>١٣</sup>

<sup>١٠</sup> فتيحة فر Hatchi، مرجع سابق، ص ٦٩.

<sup>١١</sup> محمد الهادي جارش، «التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي»، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ١٩٩٢ م. ص ٩٨.

<sup>١٢</sup> محمد الهادي جارش، مرجع سابق، ص ١٠٠.

<sup>١٣</sup> فتيحة فر Hatchi، مرجع سابق، ص ٨١.

دعوا ماسينيسا يردد صدانا  
ذرؤه، يخلد ذكى دمانا  
وأقسم أن لا يعيش جبانا  
وكم ساوموه، فثار إباء  
وألهمه الحبُّ نيلَ المعالي  
وقد كان مثى يهوى الحسانا

كان تحالف ماسينيسا تحالفاً استراتيجياً مع روما بدافع الاستقلال عن قرطاجة والحيازة الكاملة على نوميديا بما فيها الشرقية والغربية، لكن ما خباته روما لساسينيسا من دسائس هو ما جعله زعيمًا أمازيغياً حراً. أراد ماسينيسا أن تكون استعادة سيرتا استعادةً سلميةً بعد أسرِ سيفاكس، فتأتى له. وقد رفض ماسينيسا أن تؤسر زوجة سيفاكس سوفونيزيا القرطاجية من قبل الجيش الروماني. و«سوفونيزيا» هذه هي ابنة أزدروبيل، وقد قام أبوه جسكون بتزويجها إلى سيفاكس بدون علمه حسب رواية «ديوكاسيوس».١٤

ومن صنعتْ روحه سوفونيزيا  
جديرُ بأن يتحدى الزَّمانا  
وتنبئه حبًا وفناً وعلمًا

لكن سرعان ما قتلها بدُسِّ السُّم لها تعبيراً منه لكسب ثقة الرومان، ودليلًا لقطع كل الأوصال التي قد تحدُّ من طموحه في استرجاع ممتلكاته،<sup>١٥</sup> وفي رواية أخرى، أن «سوفونيزيا» انتحرت بتجربتها السُّم، وموت الشرف خير من حياة المذلة والعار. استطاع ماسينيسا بعد معركة زاما أن يوحّد نوميديا، وأصبح بموجب العهد الذي كان بينه وبين روما ملِكًا على كامل نوميديا في سنة ١٥٢ ق.م، وعُقدت على إثرها معايدة تمّ بموجبها التنازل عن قرطاجة لرومما سنة ٢٠١ ق.م. من العيوب التي تُحسب على ماسينيسا، تحالفه مع روما مقابل «إعطائه الأراضي القرطاجنية التي كانت متاخمة لدولة نوميديا».١٦

<sup>١٤</sup> فتيحة فر Hatchi، مرجع سابق، ص. ٧٨.

<sup>١٥</sup> أحمد توفيق المدنى، مرجع سابق، ص. ٦١.

<sup>١٦</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص. ١٣.

ازدهرت نوميديا الموحدة في عهد ماسينيسا وأصبحت أنموذجاً في الصناعة الحربية وفي التمويل الذاتي من المحاصيل الزراعية، وأضحت تصدر القمح والشعير ومواد أخرى لروما، وامتد نفوذها من طبرقة شرقاً حتى نهر ملوية غرباً. ازدهرت الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية في ظل النظام السياسي الذي رسمه ماسينيسا لنوميديا، وتعزّزَ استقلالها، مما أثار هواجس ومخاوف روما، وأجبرها على التخلص من ماسينيسا. تُوفي ماسينيسا سنة 149ق.م بسيرتا قسنطينية.

أسفرت الحروب البوئيقية الثالثة (146-149ق.م) عن سقوط قرطاجة سنة 146ق.م، واستطاعت روما بذلك احتلال إفريقيا.

## الفصل الثاني

# العهد الروماني

١٤٦ ق.م - ٤٣٠ م

بعد سقوط قرطاجة حَوَّلت روما كل الأراضي القرطاجية إلى مقاطعة رومانية، وفصلتها عن باقي الأراضي النوميدية بالخندق الملكي *Fossa regia*.<sup>١</sup> كانت بداية علاقة الرومان بالقطر الجزائري منذ ٢١٣ ق.م، وتصرّفوا فيه منذ ٤٠ ق.م، ووضعوا قدّمَهم بنوميديا سنة ٤٦ ق.م،<sup>٢</sup> وحُوّلت إلى مقاطعة رومانية عُرفت بإفريقية الجديدة *Africa-Nova*.

### (١) نوميديا تحت الاحتلال الروماني

بهذا الاحتلال الغاشم، دخل البربر في دوامة من القهر والاستعباد لازم حياتهم وممتلكاتهم وأراضيهم. كان استعماراً مدمراً لم يعهد له البربر من قبلٍ من الفينيقين والقرطاجيين، تغيّرت فيه حياتهم كلية، اغتصبت منهم الأراضي الزراعية غصباً، وفرضت

<sup>١</sup> محمد الهايدي جارش، «التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي»، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ١٩٩٢ م، ص ١٨١.

<sup>٢</sup> عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام»، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٥ م، ص ٨٩.

عليهم الضرائب فرضاً، وجُندٌ شباب البربر في الجيش الروماني قصرًا لخوض الحروب الجرمانية وال مجرية والمصرية.<sup>٣</sup>

ترك ماسينيسا بعد وفاته ثلاثة أبناء: ميكبسا ميكواسن، وجولوسا، ومستنبع. واستطاع سكيبيو أن يشجّعهم على قبول تقاسم السلطة، كان هذا النمط الملكي الجماعي في الحكم مستمدًا من النموذج الهلليستي.<sup>٤</sup> بعد وفاته امتدت يد الغدر إلى جولوسا ومستنبع من طرف روما في محاولة لاجتثاث أي نزعة انفصالية أو ثورة يكون مآلها استقلال نوميديا عن روما. أُسند الحكم إلى ميكواسن، وأظهر موالاةً لرومما في تسييره لشئون نوميديا.

## (٢) التأسيس لدولة نوميديا المستقلة

### (١-٢) يوغرطا يوحّد نوميديا

توفي الملك ميكبسا ميكواسن سنة ١١٨ق.م وترك من بعده ولدين، هما: أدهر بال، Adherbal، وهيمبسال，Hiempsal، وقد نشأ في حجره ابن أخيه مستنبع يوغرطا jugurtha، ويعود له فضل تربيته، فأصبح بهذه العناية وريثاً شرعياً مثل باقي أبنائه.<sup>٥</sup> بدأت معالم الشجاعة والإقدام تظهر على يوغرطا، وشجّعه في نبوغه المحيط الملكي الذي نشأ فيه. استطاع أن يُظهر مهارات قتالية في قيادة الجيش خاصة في حروب نومانتيا سنة ١٢٤ق.م، وتألق اسمه بانتصاراته التي حقّقها. كان حُلم استقلال نوميديا وتوحيدها يراود يوغرطا كثيراً، غير أنَّ المناورات التي كانت تقوم بها روما لدفع هيمبسال وأدهر بال لعزل يوغرطا من الحكم، أدخل الأسرة الملكية في دوامة من الصراعات بين يوغرطا وأبناء عمه، قُتل على إثرها هيمبسال. وما كان من روما إلا أن قامت بتدعم حليفها أدهر بال في محاولة جريئة لتنبيته على نوميديا الشرقية. اقتضت ضرورة الحرب أن يستقر حكم يوغرطا على حكم نوميديا الغربية لاستجماع قواه، وسرعان ما أُعلن الحرب على أدهر بال، قُتل على إثرها في سيرتا، واستردَّ يوغرطا نوميديا

<sup>٣</sup> عمار بوحوش، مرجع سابق، ص ١٦.

<sup>٤</sup> فتيحة فر Hatchi، مرجع سابق، ص ١٤٤.

<sup>٥</sup> فتيحة فر Hatchi، مرجع سابق، ص ١٥٠.

الشرقية، ووضعها تحت سلطانه. بذلك استطاع يوغورطا توحيد نوميديا وأسس فيها نظاماً سياسياً مستقلاً تماماً عن روما. لم يكن توحيد نوميديا هدفاً في حد ذاته بقدر ما كان وسيلة لاستعادة سيادتها وكفٌ كل محاولات التدخل الأجنبي، ورفع القهر والاستبداد المسلمين على النوميديين من قبل روما.

دخلت نوميديا في حرب ضد روما بدايةً من سنة 110 ق.م، واستطاع يوغورطا أن يُلْحِق هزيمةً بالجيش الروماني الذي كان يقوده سبوريوس ألبينيوس Spurius Albinus، فما كان من روما إلا أن أوكلت قائد الجيش بستيَا للتفاوض من أجل عقد صلح معه مقابل ثروة تُدفع لمجلس الشيوخ، وقد قال يوغورطا حينها كلمته الشهيرة: «في روما، كل شيء يُباع». <sup>٦</sup> وفي تعبيرٍ ساخرٍ آخر أورده ساللوستيوس أن يوغورطا قال قبل أن يغادر ميناء روما: «يا لك من مدينة للبيع، ستنتهي بمجرد أن تجد المشتري». <sup>٧</sup>

فجاء يغورطا على هديه  
بحكم الجماهير يفشى الأمان!  
وقال: «مدينة روما تُباعُ  
لمن يشتريها!» فهرَّ الكيان!  
ووَحَد سيرتا بأعطاف كافٍ  
وأولى الأمازيغ عزاً وشأنًا

«تبُواً يغورطا عرش سيرتا قسنطينة سنة 112 ق.م، وأعلن استقلال الجزائر التام». <sup>٨</sup> كانت حملات الجيش الروماني، التي قادها كلُّ من ميتللوس وماريوس من سنة 109 إلى 108 ق.م، عنيفةً على الجيوش النوميدية، أجبرت يغورطا على الاحتماء بالملك الموريطاني باخوس Bocchus بمنطقة قبائل الجدالة بالهضاب العليا. لم يكن باخوس وفيأً ليغورطا؛ فقد تمكَّن من إيهامه بالأمن لديه إلى أن دَبَّر له مكيدةً غدر وخديعةً سُلُّم بموجبها يغورطا سنة 106 ق.م إلى قائد الجيش الروماني ماريوس، نُقل بعدها

<sup>٦</sup> عمورة عمار، «موجز في تاريخ الجزائر»، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٢٥.

<sup>٧</sup> فتحية فراتي، مرجع سابق، ص ١٥٧.

<sup>٨</sup> عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، «تاريخ الجزائر العام»، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٥م، ص ٩٢.

يوجورطا إلى روما حيث تُوفى في ظروفٍ تدعوه إلى الريبيبة سنة ١٠٤ ق.م بسجِّنٍ هناك. عرفت نوميديا ازدهاراً في عهد حكم يوجورطا ونمَّوا اقتصادياً واجتماعياً.

وقد تمكَّن من سك نقود من فضة على وجهها صورة تمثال نصفي له وعلى وجهها الآخر صورة فيل تحته نقش بونيقي.<sup>٩</sup> بعد وفاة يوجورطا، تولَّ شقيقه جودا Gauda مُلْك نوميديا من بعده إلا أنَّ المنية وافته بعد عام أو عامين من توليه الحكم. بعد وفاته وقع صراع بين هيامبسال الثاني وهيرباس Hierbas حول استخلاف جودا، فما كان من بومبئي Pompée إلا أنَّ يميل إلى هيامبسال، ويُساهِم في توليه الحكم على نوميديا سنة ٨١ ق.م.

تساءل مفدي زكريا عن تأسيس مدينة مليانة من قبل هذا القائد الروماني المدفون بها هو وحفيده بناءً على بعض الآثار المكتوبة المخلدة له بهذه المدينة.

أشادَكِ بومبئي مقوَّسُ روما؟  
أمَّا بولوغين رب الصناعة؟  
فأغْرَى بِمليانة الطامعين  
ومَا كنِتِ للطامعين وديعة

عرفت نوميديا في عهد حكم هيامبسال الثاني تطويراً منفرداً في نظام الحكم والجباية، ونمَّوا في الإنتاج الزراعي والحيواني. ضُربت في عهده النقود ذهباً وفضة ونحاساً، ونمَّت التبادلات التجارية بين نوميديا وأثينا ومارسيليا وجنوب إسبانيا وروما.

## (٢-٢) يوبا الأول وال الحرب ضد قيصر

بعد وفاة هيامبسال الثاني تولَّ من بعده ابنه يوبا الأول منذ سنة ٥٢ ق.م، وقد ثبت عنه مولاته لحزب بومبئي الملكي وعداؤه لملك موريتانيا باخوس الثاني المناصر لحزب قيصر César<sup>١٠</sup> الجمهوري، وسرعان ما انتصر قيصر على يوبا الأول.<sup>١١</sup>

<sup>٩</sup> فتيحة فر Hatchi، «نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني: الحياة السياسية والحضارية (٢١٣-٤٦ ق.م.)»، منشورات أبيك، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٦٤.

<sup>١٠</sup> هو أغانيوس، سُمي بقيصر لأنه استخرج جنيناً من بطن أمه عند وفاتها (عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الكبير، الجزء الثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٣٧).

<sup>١١</sup> عمورة عمار، «موجز في تاريخ الجزائر»، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ٢٦.

إنَّ النزعة الاستعمارية لروما لم تهُدأ بمرور الزمن، بل اتَّقدت نيرانُها ضد يوبا الذي سارع في استنفار جيشه ضد القائد العسكري كوريو والانتصار عليه في سنة ٤٩ ق.م. أعاد قيصر الكَرَّة على يوبا بجيشه مستعملاً هذه المرة المدخل البحري، إلا أنَّه رغم انهزام الجيش النوميدي، لم يتمكَّن قيصر من الظفر بيوبا حيَا؛ فقد تُوفى يوبا انتحاراً حسب عديد الروايات، وضم قيصر المملكة النوميدية إلى روما. حَوْل قيصر جانباً<sup>١٢</sup>. Provincia Africa Nova كبيراً من نوميديا إلى ولَيَة رومانية باسم إفريقية الجديدة

### (٣-٢) يوبا الثاني، الحاكم والعالم

بعد وفاة باخوس الثاني نصَّب روما يوبا الثاني ملَّاكاً على الشمال الإفريقي، وكان موسوعة في التاريخ والجغرافيا وفنون الموسيقى، وقد تزوَّج من سيليني ابنة الملكة كلويوبترا ملكة مصر، تُوفيت قبل زوجها يوبا بثمانية عشرة سنة، ويُقال أيضًا إنَّها دُفنت هي كذلك بهيكل يوبا المشهور شرقي مدينة شرشال المعروف لدى الجزائريين بقبور الرومية.<sup>١٣</sup>

أشاد مفدي زكريا بالدور الرائد للنساء الجزائريات في الثورة، مقيماً تناسقاً بين كلويوبترا وبين النسوة مثيلات جميلة بوحيرد:

وكم ضارعت في الفدا كلويوبترا      جميلات ثورتنا الهدارة

اتخذ يوبا الثاني شرشال عاصمةً للمملكة النوميدية، وكان له باعُ طويلاً في الفنون والثقافات الإغريقية، وكان عالماً فنياً كبيراً.<sup>١٤</sup> ازدهرت في فترة حكمه المملكة في شتى الميادين بفضل الأمن والاستقرار.

<sup>١٢</sup> فتيحة فر Hatchi، مرجع سابق، ص ١٨٣.

<sup>١٣</sup> انظر صورة الضريح في الملحق رقم ٢، ص ١٥٠.

<sup>١٤</sup> أحمد توفيق المدنى، «كتاب الجزائر»، المطبعة العربية، ١٩٣١، م، ص ١١.

أشاد مفدي زكريا بيوبا الثاني، وخصص المقطع الثامن والعشرين من الإلياذة  
كاملًا له ولأبولوس:

ومن لَقِبُوا عَرْشَ الْقِيَصِيرِيَّه؟ وَشَرَّفَتْ أَقْطَارَنَا الْمُغْرِبِيَّه أَمَا حَقَّ السَّبَقِ فِي الْمَدْنِيَّه؟ وَزَانَ حَدَائِقَهَا السُّنْدِسِيَّه؟ لَوْجَهْ جَزِيرَتَنَا الْعَرَبِيَّه؟ مِمْ أَوْلَى جَامِعَهِ أَثْرِيَّه؟	أَشْرَشَالُ! ... هَلَّا تَذَكَّرَ يُوبَا وَمَنْ مَصْرُوكْ فَنَافَسَتْ رُومَا? لَمَاذا يُلْقَبْ يُوبَا بِثَانِ؟ وَبَاهِي بِشَرَشَالْ جَنَّهْ عَدَنِ؟ أَمَا كَانَ أَوْلَى مَنْ خَطَّ رَسْمَا أَمَا شَادْ يُوبَا بِشَرَشَالْ لِلْعَلِّ
--	--

أبوليوس عالم مؤلف عدة كتب أشهرها: «الحمار الذهبي»، «المسوخ»،  
 Les florides <sup>١٥</sup>. L'apologie و L'hermagoras

يَدِينُ لِهِ الْعِلْمُ بِالْعَبْرِيَّه فَأَئْرَ في الْقَصَصِ الْأَمْوَيَّه بِرُومَا يَخْصُونَهُ بِالْتَّحِيَّه لِيمَنَاهُ تُرْفَعُ كُلُّ قَضِيه	وَهُذَا أَبُولُوسْ كَانْ طَبِيبًا وَأَبْدَعْ فِي قَصَصِ الْحَيَّانِ وَكَانَ الْأَفَارِقُ فِي مَنْتَدَاهِم وَكَانَ أَبُولُوسْ قَاضِي رُومَا
--	---

بعد وفاة يوبا الثاني سنة ٢٣ م توَلَّ ابنته بطليموس Ptolémée حُكَّمَ المملكة النوميدية. سعى أن يسيطر على القبائل الأمازيغية، فأظهر المقاومون البربر جأشاً وصموداً بقيادة تاكفاريناس Tacfarinas المنتمي لقبيلة موسالامس Musalams <sup>١٦</sup>. وكان يومها عاملاً لحساب روما، أُغتيل بطليموس حوالي سنة ٤٠ م.

<sup>١٥</sup> عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام»، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٥ م، ص ١١٨.

<sup>١٦</sup> فتيحة فر Hatchi، «نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني، الحياة السياسية والحضارية ٢١٣-٤٦ ق.م.»، منشورات أبيك، الجزائر، ٢٠٠٧ م، ص ١٨٣.

### (٣) الثورة الأمازيغية بقيادة تاكفاريناس وفيروس

#### (١-٣) تاكفاريناس

بعدما تفَنَّنَ في أساليب القيادة العسكرية، وتنفيذ الخطط الحربية، فرَّ تاكفاريناس من الجيش الروماني، والتحق بالمقاومة الأمازيغية قصد صد العدوان الروماني، واسترجاع سيادة الأمازيغ على نوميديا والقضاء على سياسة التمييز العنصري التي انتهجتها روما بإبعادها الأمازيغ خارج جدار «الليمس» Limes الذي بنته لفصل الجنوب عن الشمال الإفريقي.

صمد الأمازيغ عَبْرَ القرون  
فكم أزعجوا نائبات الليلِ!  
غزا النَّيَّرات، ورَاعَ النَّجومَا  
وكم دَوَّخوا المستبدَ الظُّلُومَا!

سلوا طبرية يذكر تبيريوس  
ثمان سنين يصارع روما  
تيكفرناس يوالي الهجومَا  
فدقَّ المسامير في نعش روما!

فأوحى له الأطلس الوحدوي  
فوَحَّدنا فانطلقتنا رجومَا

انطلقت ثورة تاكفاريناس سنة ١٧ م، واستندت في عملياتها على استراتيجية المباغة عن طريق فرقٍ منظمةٍ ومدربةٍ شاركت فيها بضراوة قبائل المسلمين والمورين والكتانيين؛ حيث لم يسبق للجيش الروماني أن تعامل مع هذا الشكل من العمليات. عمد تاكفاريناس على الإغارة وتخريب الممتلكات الرومانية، وشَلَ توازنات الجيش الروماني بإثارة الخوف والهلع في صفوفه خلال سبع سنوات من المقاومة المتواصلة. سقط تاكفاريناس قتيلاً بعد حصارٍ لقلعته بسور الغزلان أثناء معركةٍ قادها كورنيليوس دولا بيلا Cornelius Dolabella.

لم تكن ثورة تاكفاريناس حركةٌ تمُرُّدٌ على نظامٍ رومانيٍ مستبدٍ أو انتفاضةٌ على وضع اقتصاديٍّ جائر؛ بل كانت ثورةً استقلاليةً ضد استعمارٍ استنجد فيها الثوار كل وسائل المقاومة للذود عن حمى بلاد الأمازيغ، وتحرير الأوطان من ربقة الاحتلال، ولم يتمكَّن الرومان من احتلال باقي إفريقيَّة الشَّماليَّة إلا بعد مقتل تاكفاريناس، لم تهدأ الثورة في نفوس الأمازيغ طيلة السيطرة الرومانية على أوطانهم ولم يستجيبوا لدعوى الاندماج تحت الحكم الروماني المستعمر؛ بل استمرت ولم يلبث أن ظهر فيهم زعماء ثوريون قادوا المعارك وخاضوا الحروب ضد المحتل، ولعل أبرزَ من ظهرَ من بعد تاكفاريناس القائد المغوار فيروس.

### (٢-٣) فيرموز

بعد أكثر من ثلاثة قرون من ثورة تاكفاريناس، أعدَّ فيرموز ابن الملك البربرى نوبيل العُدَّة لخوض الحرب ضد الاستعمار الرومانى بمنطقة جرجرة، فاستطاع بفضل بسالة جيشه ورباطة جأشه الانتصار على الجيش الرومانى سنة ٣٦٩ م و«فرض سيادته على سيزاري (رشال) وإيكوسيوم (الجزائر العاصمة) وكان قوام جيشه آنذاك ٢٠ ألفاً من البربر».١٧

سجل التاريخ في كثير من المواطن، إقدام روما على تفجير الثورات المناوئة لها من الداخل بواسطة شحن الفتنة بين الزعماء والقادة، خاصة إذا تعلق الأمر بأفراد العائلة الواحدة، وهذا ما قامت به حيال حركة فيرموز ومعاونيه من الدوناتيين المنتسبين للزعيم دوناطوس Donatus الذين كان لهم الدور الأساسي في بلوغ ثورة فيرموز إلى غاية إيكوسيوم.  
قال مفدي ذكرييا:

بولوغين إن صانها فيرموز وحازت أكوسيوم أقصى المرام

وقال في مقطع آخر:

بولوغين يا من صنعت البقا  
فيرموز أم أنت من شادها؟  
فحيرت الغرب والمشريقا

لم يفلح القسيس سان أوغستان Augustin في رد النوميديين عن ديانتهم الدوناتية  
وفرض الديانة المسيحية عليهم.

وهب الأمازيغ من دوناطوس  
 فأبناء مازيق قادوا الفدا  
 تصول وتزجي الخميس اللهم  
 وخاضوا المعامع يوم الصدام

يقول الأستاذ توفيق أحمد المدنى: «اعتنق البربر المسيحية في بداية أمرهم، فما كادت روما تعنق الديانة المسيحية وتجعلها دينًا رسميًا عام ٢١٢ م حتى أخذ البربر يفرون

<sup>١٧</sup> فتيحة فر Hatchi، مرجع سابق، ص ١١٥.

من ذلك الدين أتواً وائتمروا بأمر راهبٍ بريديٍ يُدعى دونات، وألْفوا جنداً ظاهراً نصرةً المذهب الدوناتي وباطنه تحطيمُ السلطان الروماني.<sup>١٨</sup> والانتقام إلى الدوناتية يُعتبر ردة فعل من الأمازيغ ضد الهيمنة الرومانية.

وللعلم فإنَّ القديس أوغسطين سُنة ٣٥٤ م ببلدة «تاجيستة» بسوق هراس (الجزائر)، كان منتمياً إلى المذهب الأرثوذكسي، وعالماً به وفيلسوفاً، دون العديد من المؤلفات يصل عددها إلى المائتين، تم تعيينه على رأس أسقفية بونة سنة ٣٩١ م.

وَهَذَا أَغْوِسْتُنْسُ بِالاعْتِرَافِ  
وَأَسْقَفُ بُونَةَ أَصْبَحَ قَدِّيْسُ  
وَكَانَ أَغْسِتُنْسُ فَخْرُ الْبَلَادِ  
تِ حَيَّرَ – عَبْرُ الزَّمَانِ – الْفَهْوَمَا  
سُنْ قِرْطَاجَ مَذْبَثُ فِيهَا الْعُلُومُ  
وَكَانَ بِهَا الْفِيَاسِوفُ الْعَظِيمَا

نظرًا لاستحالة القضاء على فيرموز في المارك المباشرة، نقلت روما الحرب إلى داخل الصف الأمازيغي، وحاكت له مكيدة للإطاحة به عن طريق توافق أخيه القائد جيلدون Gildon، مقابل امتيازات مادية وعينية، ولما حُوصر فيرموز من كل ناحية، انتحر شنقاً سنة ٣٧٥ م، حسب بعض الروايات، وكان نفس مصير أخيه جيلدون الذي انتحر ندماً سنة ٣٩٨ م.

من ناحية الإنجازات الرومانية، شهدت الحضارة الرومانية في الجزائر تطوراً في مجال الطرق والجسور والمسارح والملاعب والحمامات مثل المتواجدة بـ «لبين» و«تيمقاد»<sup>١٩</sup> و«جميلة». أما من الناحية السياسية والعسكرية، فدبَّت في أواخر عهدها بالجزائر الفوضى عارمة، ووهن فيه سلطانها، وضعف جيشها الذي حاولت به إذلال الأمازيغ في بلادهم. تمرَّد القائد المنشق بونييفاس Boniface على حُكُم روما، ودعم قائدهوندال «جنسريقي» في عهد الإمبراطور فلانسينيان Valencinien عند غزوهم لشمال إفريقيا، وبذلك انقضى حُكم الرومان بالجزائر، وخلف من بعدهموندال سنة ٤٢٩ م.<sup>٢٠</sup>

<sup>١٨</sup> أحمد توفيق المدنى، «كتاب الجزائر»، المطبعة العربية، ١٩٣١ م، ص ١٣.

<sup>١٩</sup> الملحق رقم ٢، ص ١٥٠.

<sup>٢٠</sup> عمورة عمار، «موجز في تاريخ الجزائر»، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م، ص ٢٨.



### الفصل الثالث

## العهد الوندالي

٤٣٠-٥٣٤ م

### (١) الاستعمار الوندالي للجزائر

أصل الوندال جرماني، توطنوا في سواحل البلطيق حوالي القرن الأول الميلادي، ثم استقروا بشبه الجزيرة الإيبيرية. «يكاد يُجمع المؤرخون على إقامة الوندال في منطقتي أودر وفيستول».١ كان الرومان يصفونهم: بالوحشين Barbares. كان أول عهدهم بشمال إفريقيا سنة ٤٢٨ م عندما دخلوا عبر مضيق جبل طارق، وكان تعدادهم يومها ٨٠ ألفاً وجيئاً يضم حوالي ٥٠ ألف مقاتل بقيادة الملك جنسريقي Geiséric.٢ خرب الوندال كل ما وجدوه قائماً في زحفهم، ولما طلب بونييفاس من الوندال الرحيل لما لمسه منهم من عنف وغلظة ضد السكان المحليين، رفضوا فأعلن الحرب عليهم، وقد اتّخذ من عناية Hippone مقرّاً لقيادة هجومهم.

<sup>١</sup> محمد الهادي جارش، «التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي»، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ١٩٩٢م، ص ٢٣٤.

<sup>٢</sup> محمد الهادي جارش، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

## (٢) أغستنس: الاستماتة في قتال الوندال

شنَّ الوندال الحرب على بونيفاس وأتباعه وحُوصر حصاراً شديداً لمدة خمس سنوات، ثم احتلوا عنابة سنة ٤٣١ م، واتخذوها عاصمة لملكهم. تمكَّن بونيفاس من الفرار إلى إيطاليا وقتل القسيس أغستنس Augustin في معركة فك الحصار وهو يدافع عن الجزائر.<sup>٣</sup>

بعد سقوط عنابة، احتلَّ الوندال قرطاجة سنة ٤٣٩ م. أحكم المحتلون قبضتهم على شمال إفريقيَّة، فأجهزوا على الأمازيغ وصادروا أراضيهم وممتلكاتهم، واضطهدوا رجال الكنيسة وبالخصوص الدوناتيون. انكمشت الحياة الاقتصادية في نوميديا بسبب الوضع الأمني الذي فرضه الوندال على رقاب الأمازيغ.

## (٣) الظلم الوندالي يحرِّك الثورة الأمازيغية

بدأت بوادر الوهن تظهر على الوندال بعد وفاة جنسريقي سنة ٤٧٧ م، فساعات أحوال السكان جراء الجور والظلم الوندالي، فكان هذا الضعف عامل قوَّة ساعد الأمازيغ على الثورة سنة ٤٨٠ م من جبال الأوراس وجبل راشد، فكان النصر حليف أصحاب الحق من الأمازيغ سنة ٤٨٣ م.

<sup>٣</sup> محمد الهادي جارش، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

## الفصل الرابع

# العهد البيزنطي

٥٣٤-٦٤٧ م

ما حقيقة الدولة البيزنطية؟ «الدولة البيزنطية هي في الحقيقة دولة الروم الأرثوذكس التي أسسها الإمبراطور الروماني «قسطنطين» سنة ٣٣٠ م في مدينة القسطنطينية.»<sup>١</sup>

## (١) الجزائر تحت النير البيزنطي

باتتصار الثورات الأمازيغية على جيوش الوندال، أطاح بـ «هيلديريك» Héldéric وُعين مكانه جيليمير Gélimer، إلا أنَّ هيلديريك ساعده ما وصل إليه الحال فاستدرج بالإمبراطور البيزنطي جوستينيان Justinien. أُعلنت الحرب على الوندال وجَهَز بيليسير Bélisaire أسطولاً بحرياً مكْنه من احتلال قرطاجة سنة ٥٣٤ م، ثم الاستيلاء على باقي نوميديا وسردينيا وجزر البليار.

طبقت على الأمازيغ نفس سياسات القهر والجور التي سنَّها الرومان والوندال فاستجمع الأمازيغ قواهم وأعلنوا الحرب مجدداً على المستعمر البيزنطي قُتل على إثرها

<sup>١</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٢٢.

القائد البيزنطي سليمان الخصي Solomon في ضواحي تبسة سنة ٥٤٤ م خلال معركة كيليلوم<sup>٢</sup>. Cillium

عرفت الجزائر قيام إمارات أمازيغية مستقلة عن الحكم البيزنطي، كما ظهرت مقاومات بجبال الأوراس قادها ضد البيزنطيين «يابداس» منعت البيزنطيين من الاستيلاء على سيرتا وتيقاد<sup>٣</sup> وثورات أخرى بالحضنة والزيبان.

## (٢) آثار الثورات الأمازيغية على البيزنطيين

بعد مرور ١١٣ سنة من الاحتلال، بات وشيئاً سقوط الإمبراطورية البيزنطية تحت وطأة الثورات الأمازيغية، وإفلات الخزينة وتوسيع رقعة الفساد والفوبي، ولم يُعد سلطان يحكم توازنات الجيش البيزنطي بسبب القصور عن دفع المرتبات الجندي، ولعل السبب الرئيسي في السقوط هو ثورات الأهالي التي باتت تهدّد السلطة البيزنطية.

## (٣) سقوط الحكم البيزنطي

وانتهى الحكم البيزنطي من شمال إفريقيا بقتل جرجير، وانتهت بذلك غطرسة الإمبراطوريات جميعها، وأصبح الناس في شغف يتربّون شريعة توحّد الصنوف، وتزرع في النفوس الطمأنينة والأمن والخلاص.  
ولم يُفت مفدي زكريا أن ينوه بفضل الأمازيغ في رد كل أشكال الاستعمار، ويعتز بالانتساب لهم مهما كانت دياناتهم في العصور القديمة:

وكان محمد صهراً لعيسي	أولئك آباءنا منذ عيسى
أكانوا نصارى! أكانوا مجوسا!	ولم نُكُنْ نُنَكِّر آباءنا
لجرهم؟ هلا نسينا الدروس؟	وهل كان بربير إلا شقيقاً
فما زال أَحَمَّدَ صهراً لعيسي!	إذا عَرَّبَ الدِّينَ أَصْلَابِنَا

<sup>٢</sup> محمد الهادي جارش، «التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي»، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ١٩٩٢ م. ص ٢٧٤.

<sup>٣</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٢٣.

## المبحث الثاني

### العصر الوسيط

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ أَنْفُسِهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجًا \* فَسَبَّحَ  
بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفَرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾ (سورة النصر).  
وتبرز شمس الهدى على العالمين، مبشرةً بعهدٍ جديدٍ، يُقْرَرُ فيه التوحيد ويُؤسَسُ  
لنظام العدل والإحسان، وينشر الفضيلة وينبذ الرذيلة، إنَّه دين الإسلام الذي جاء به  
رسولنا محمد ﷺ من ربِّه عز وجل هادياً وبشيراً ونذيراً.



## الفصل الأول

# الفتح العربي الإسلامي

٦٤٣/٥٢٢ م

قام العرب بالفتح الإسلامي في شمال إفريقيا سنة ٢٢ للهجرة، فوجدوا الأمازيغ مقimين لنظام اجتماعي وأمني مبني على التأهُب للتصدي لكل ما هو غزو خارجي، كيف لا وقد عانى السكان المحليون من ويلات الاحتلال طيلة العصور القديمة، وقربت في مُخيَّلتهم الجماعية أنَّ أي دخيل أجنبي إلا وله مقاصد استعمار واستدمار، لكن لم يلبث الأمازيغ أن دخلوا في دين الله أتواًجاً وتمسَّكوا بالعروبة إلى جانب الأمازيغية، وجُنِدَ العديد منهم في جيوش الفاتحين في بلاد المغرب.

وَهَبْنَا الْعَرَوَةَ جُنَاحًا وَدِينًا	إِذَا كَانَ هَذَا يَوْحَدَ صَفًا
وَيَجْمَعَ شَمَالًا رَفَعْنَا الْجَبَيْنَا	وَإِنْ كَانَ يَعْرُبَ يَرْضَى الْهَوَانَ
وَيُلْبِسَ عَارًا أَسَانَا الظَّنَوْنَا	

## (١) بداية الفتح الإسلامي

الموطن الأصلي للعرب هو الجزيرة العربية، وينقسمون إلى عرب بائدة وقد اندثرت، تشمل على قوم عاد وثمود والعمالقة والأحقاف؛ وعرب عاربة من بني قحطان من سباء وحمير؛ وعرب مستعربة، وهم: العدنانيون من بني إسماعيل.

استقر العرب في بلاد شمال إفريقيا بأعداد كبيرة بعد الفتح الإسلامي، خاصة في عهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه. في سنة ٦٤٧ هـ / ٢٧ م أمر الخليفة والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري بفتح إفريقيا، وكان في جيشه من الصحابة – رضوان الله عليهم – من أهل الشجاعة والدهاء، مثل: عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس، وعقبة بن نافع.<sup>١</sup>

بدأت معالم الشقاق بين المسلمين تظهر بعد مقتل عثمان – رضي الله عنه – وولادية علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – للخلافة كان لها الأثر البالغ في وحدة الصف الإسلامي. استعمل الخليفة معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع الفهري – رضي الله عنهما – على إفريقيا سنة ٦٤٦ هـ / ٦٦٨ م، وعزله وولى مكانه مسلمة بن مخلد الأنصاري – رضي الله عنه. وفي سنة ٦٧٦ هـ / ٥٥٥ م عَهِد مسلمة بن مخلد الإمارة على إفريقيا إلى أبي المهاجر دينار. استطاع الانتصار على عمالة قسنطينة سنة ٥٩ هـ، وجعل مركز قيادته مدينة ميلة فابتلى فيها دار الإمارة، ومكث فيها سنتين، وقد تقدّم أبو مهاجر في الجزائر حتى تلمسان.<sup>٢</sup> في خلافة يزيد بن معاوية، ردَّ الاعتبار لعقبة ونَصْبَه واليًا على إفريقيا بداية من سنة ٦٨٢ هـ / ٧٠٣ م، وبعد إعادة تأهيله للقيروان، بدأ حملته الشهيرة فاتحًا وغازيًا للأمازيغ والروم بعدما تيسّر له أسر أبي مهاجر وكسيلة بن لزم القائد الأمازيغي الذي اعتبر العرب غزاؤً في بداية فتحهم، وكان ذا وجاهة في قومه.

وقلنا: كسيلة كان مصيبة  
وكاهنة الحي أعلم منا!  
فأهلاً وسهلاً بأبناء عم  
نزلتم جزائنا فاتحينا  
ومنحرى لعقبة في أرضنا  
يُعلي الصوامع في القيروان  
ويُرتفعها للدفاع حصونا  
يراعت أساليبه العالمينا  
يبتُ المراحل في كل فج

<sup>١</sup> مبارك بن محمد الميل، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩ م، ص ٢٢.

<sup>٢</sup> عبد الحليم عويس، «دولةبني حماد: صفحة رائعة من التاريخ الجزائري»، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٣٣.

على هامش المقطع الخامس والعشرين من الإلياذة، تطرق الأستاذ مولود قاسم — رحمة الله — إلى استراتيجية عقبة الحربية في مسیره من مصر إلى المغرب، وكيفية الحفاظ على جيشه من خلال إنشاء المخيمات على طول المسار، ومدى اقتباس الأлан من خطة عقبة العسكرية، كما أشار إلى التبادل التجاري للسلع الذي تم بمقاييس ملح فزان بفضة إفريقية السوداء من أجل تجهيز الجيش.

وبادله السمر تبرأ بملح وما كان عنه فزان ضئينا

## (٢) المواجهة الأمازيغية للفتح الإسلامي

عند عودة عقبة من المغرب، توجهَ تلقاء تهودة، فسرّب كسيلة المأسور إرسالاً يطلب فيه النجدة، ويعطي فيه تفاصيل جيش المسلمين. انقض البربر على الجيش فألحقوا به خسارة شنيعة، وقتل عقبة وأبو مهاجر ومعظم جند المسلمين في تلك المعركة في أواخر ٦٨٢هـ / ١٢٨٦م، وقد سجلَ التاريخ موقفاً جليلاً لكلٍّ من عقبة وأبي مهاجر، قال عقبة لمهاجر: «الحق بال المسلمين وقم بأمرهم، وأنا أغتنم الشهادة». فأجاب مهاجر: «وأنا أيضاً أغتنم الشهادة».٢

بعد انتصاره في معركة تهودة، استطاع كسيلة أن يجيء جُلَّ العرب الوفادين على إفريقية وتوطّن بالقيروان، وأقام مملكة لمدة ثلاثة سنوات بداية من سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨٧م.

وما إن عين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٦٩٦هـ / ١٢٨٨م زهير بن قيس البلوي واليًا على إفريقية وأمده بجيشه قوامه ٤٠٠٠ مقاتل حتى سار في طلب كسيلة وجنوده، ووقعت معارك بين جنود المسلمين والبربر قُتل على إثرها كسيلة في موقعة «ممش»، وفرَّ بقية جيشه.٣ استُشهد زهير سنة ٧١٥هـ / ١٢٩٥م في معركة ضد الروم.

<sup>٣</sup> عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، «تاريخ الجزائر العام»، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٥م، ص ١٧٣.

<sup>٤</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٢٨.

أمر الخليفة عبد الملك بن مروان بتشكيل جيش تعداده ٤٠ ألفاً، وعيّن قائداً له حسان بن النعمان الغساني<sup>٦</sup>.

لم تستسِغْ دهيا بنت تابت بن تيفان الشهيرة باسم الكاهنة أمر انتصارات المسلمين، فأعلنت الحرب على حسان، واستطاعت الانتصار عليه في معارك عدة، كان أهمها معركة وادي «نيني» بالأوراس سنة ٧٦هـ، لكنها لم تصمد كثيراً؛ فقد تمكّن من إحكام السيطرة على معاقلها مستغلّاً ما كان يردد إليه من خالد بن يزيد الأسير لدى الكاهنة الذي صوّر له وضعية جيش البربر المنقسم على نفسه. تُوفّيت الكاهنة، وقيل قُتلت بيّر العاتر سنة ٧٠١هـ/١٥٨٢م. لقد دلّت بعض الروايات التاريخية أنَّ الكاهنة لما أدركت حقيقة الإسلام وهدف الفتوحات أوصت أبناءها وقبيلتها الأمازيغية بالدخول فيه واعتناقه. تفطن حسان لخلفيات التعامل مع مقتضيات الانتماء العربي والأمازيغي، فقام بتعريف الدواوين، وطور أساليب التعليم ونظم الخراج والأسواق.

كسب حسان بن النعمان مودة الأمازيغ ففتح لهم التجنيد الطوعي في الجيش وأصبحوا قادة فيه. توَسَّعَت رقعة الإسلام في بلاد البربر وحملوا رايته في إكمال الفتح تحت إمرة موسى بن نصير وطارق بن زياد، ووصلت رسالة الإسلام إلى كامل الشمال الإفريقي وبضع من إفريقيا والأندلس. أصبح الأمازيغ دعاةً لهذا الدين، حاملين تعاليمه وجاهدين من أجل نشر هديه الرباني. «لما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز إسماعيل بن عبيد الله واليَا على المغرب أرسل معه عشرة من التابعين يعلّمون البربر الدين ولغته، فعم الإسلام البربر ولم يقف دون قلوبهم».٧

في سنة ٧٠٤هـ/١٩٨٥م، أقال الوالي عبد العزيز بن مروان حسان بن النعمان وعيّن موسى بن نصير واليَا على شمال إفريقيا، ثم تُوفي حسان - رحمه الله - أواخر ١٩٨٥هـ

<sup>٦</sup> هو حسان بن النعمان بن عدي بن مغيث بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن الأزد (صالح بن قربة، وسامية بوعمران، وخالف محمد نجيب: «تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر»، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤م، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص ٢٣).

<sup>٧</sup> مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م، ص ٣٨.

أو أوائل ٨٦هـ؛ لأنَّ ولاية موسى بن نصیر علی المغرب بدأت أواخر حکم عبد المللک بن مروان سنة ٨٥هـ.<sup>٧</sup>

في استعداداته لخوض غمار الفتوحات الإسلامية في الأندلس، قام موسى بن نصیر سنة ٨٩هـ / ٧١٠م بتجهيز جيش من البربر يبلغ تعداده ٧٠٠٠ مقاتل تحت قيادة طارق بن زياد.<sup>٨</sup>

### (٣) التوافق العربي الأمازيغي

والملاحظ تاريخيًّا أنَّ توافقًا كبيرًا بين العرب والبربر بدأ يتَّسَّس منذ إمارة حسان بن النعمان. يورد مبارك الملي قولاً عن البيروني يبَرُّ فيه سرعة انسجام العرب مع البربر، فقال: «احتار كل المؤرخين من سرعة تأثير العرب على البربر في دياناتهم وعاداتهم وأخلاقهم، ويوجّه ذلك بعضمهم بأن العرب والفينيقيين متقاربون في اللغة، ومتحددون في الأصل الذي ينشأ عنه تقارب في الطبائع».٩ غير أنَّ هذا الانسجام، رغم أصوله التاريخية، إلا أنه لا يرقى إلى درجة الجزم؛ بل يرجع إلى التعاليم الإسلامية الناصحة على الإخاء والمحبة بين المسلمين. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَأُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ ...﴾<sup>١٠</sup>

بدأت الانشقاقات والانقلابات تنخر السكينة في بلاد المغرب بين العرب والبربر في زمن عصيٍّ مرَّت به الأمة، كانت دوافع الشقاق داخلية لكن الجانب الخارجي وما يحمل من دسائس ومكر بال المسلمين كان حاضرًا.

تصدَّع الصرح واستقرت في نفوس المسلمين الشكوك والظنون فيما بينهم. قال الحاكم العسكري لجایة إدوارد لبان Edouard Lapène في بداية الاستعمار الفرنسي

<sup>٧</sup> صالح بن قربة، وسامية بوعمران، وخالف محمد نجيب، «تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر»، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤م، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص ٦٥.

<sup>٨</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢م»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٣٠.

<sup>٩</sup> مبارك بن محمد الملي، مرجع سابق، ص ٤٢.

<sup>١٠</sup> سورة الفتح (آلية: ٢٩).

في كاتبه «ستة وعشرون شهراً في بجاية»، إنَّ عقبة بن نافع قتل سكان مدينة صالدai (بجاية فيما بعد) سنة ٦٦٦م، بالرغم من أنَّ عقبة لم يمر في حملته إلى تلك المناطق. واعتبر غوتبيه كسيلة والكافنة كرمز لبطولة البربر في سبيل استقلالهم زمن «الغزوة» العربية.<sup>١١</sup>

#### (٤) النزعة الانفصالية عن الإمارة الإسلامية

وتعود ثورات البربر لتطفو على سطح بلاد المغرب، وتتأثر بها الجزائر في نظام حكمها ومذهب سكانها، لم تكن الحرب هذه المرة حرباً ضد الإسلام والفاتحين؛ بل حرصُ، في اعتقادهم، على الحفاظ عليه من نظام التوريث الذي اعتمد الحكم العربي في تسirيه للشأن العام، وظهرت بوادر بؤر الفتنة تتخر جسد هذه الأمة بالرکون إلى مبدأ الخروج عن الحاكم الذي أقرَّه وأسَّسه «الخوارج». <sup>١٢</sup> اخذت العصبية للقبيلة وللمذهب منحنياً خطيراً، وتناسي المؤججون لنار الفتنة من العرب والبربر تعاليم السماحة التي جاء بها الدين الحنيف، وثارت في نفوسهم دواعي النقمـة. وفي بادرة لثورة البربر على الإمارة الإسلامية، تمذهب الناس بداية من ١٢٢هـ / ٧٤٠م على الصفرية، وانتقل الصراع في الجزائر، أو بالأحرى في المغرب، من سجالٍ مذهبـيٍّ إلى حربٍ طاحنةٍ بين المسلمين.

<sup>١١</sup> علاوة عمارـة، «دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي»، ديوان المطبوعات الجامعـية، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص ٤٨٠ - ٥٠.

<sup>١٢</sup> الخوارج في التاريخ اسمٌ لطائفة أو طوائف كانت بايعت علي بن أبي طالب بالخلافة ثم خرجت عنه ونقضت بيعتها في قضية التحكيم المشهورة (عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٥م، ص ٢٠١).

## الفصل الثاني

# الدواليات المستقلة في الجزائر

ظهرت دواليات مستقلة، وانقسمت الجزائر بين ثلاث دول: الدولة الرستمية: وضمت منطقة الراي وقسنطينة وتلمسان. الدولة الإدريسيّة: وهران، وشلف ومعسکر. والدولة الأغلبية: سكيكدة، وسطيف وميلة.

### (١) الدولة الرستمية: ١٦٠-٥٢٩٦ـ٧٧٦ م

بتحالف مع الإباضية، انتُخب عبد الرحمن بن رستم إماماً حاكماً، وأسس الدولة الرستمية بتيهرت.<sup>١</sup>

فرّ بن رستم من العباسين كما فرّ إدريس بن عبد الله وفرّ عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس (صقر قريش كما ورد عن أبي جعفر المنصور) «هكذا تأسست دولة الرستميين: إسلامية في قضاها، عربية في معارفها، بربرية في عصبيتها، وفارسية في إدارتها». <sup>٢</sup> وإباضية في مذهبها. أنشأ البربر الدولة الرستمية وكوّنوا جبهة صمود ورقة انفصال عن إدارة الحكم بالقيروان، وتعتبر أول دولة إسلامية بقيادة بربرية نشأت في الجزائر، كان أول من أسّسها ورسم سياستها ومنهج حكمها عبد الرحمن بن رستم، وانتهت بمقتل اليقظان بن أبي اليقظان (٩٠٧ـ٥٢٩٤). دائمًا في خضم الحراك المذهبي

<sup>١</sup> أصل هذا الإمام فارسي، وينسب إلى الأسرة الملكية الكسروية. وهو من موالي عثمان بن عفان، بُويع بالإمامنة سنة ١٦٠ هـ/٧٧٦ م بتأهله ... كانت وفاته سنة ١٧١ هـ/٧٨٦ م (عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، مرجع سابق، ص ٢٢٢).

<sup>٢</sup> مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص ٦٥.

والمتحول إلى اقتتال طائفي، أقدم أبو عبد الله الشيعي على اغتيال أبي اليقظان سنة ٩٠٩هـ / ١٩٩٦م في إطار مخطط شامل يقضي باسترجاع «الخلافة المغتصبة»، بزعيمهم، أسس له وضبط قواعده ومناهج تنفيذه القائد الشيعي جعفر الصادق.

تولى عبد الرحمن بن رستم حكم الجزائر فاستقلَّ بحكمها، واتخذ من مقومات البربر وموروثهم التاريخي والثقافي ركناً منيعاً في نمط حكمها. أسس بالعاصمة تيهرت نظاماً شاملاً للحكم الأمازيغي:

حال ابن رستم ألا نسود      ونبني كياناً لنا مستقلاً  
فقام بتiéرت يُعلي اللواء      ويرسي نظاماً وينشر فضلاً

وضبطه بتنظيم أمني تولى القيام به الشارة. تعود تسمية الشارة، كما ذكر، الأستاذ مولود قاسم — رحمه الله — في حاشية الإلياذة، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...﴾<sup>٣</sup> وهي تنظيم شبه عسكري يقوم بمهام الشرطة:

يوجّه حكم البلاد الشراة      بوحي الشريعة حقاً وعدلاً

استند حكم عبد الرحمن بن رستم على نظام الشورى في تسخير الشأن العام وفي انتخاب رئيس الدولة، معتمداً في ذلك على استقلالية الدولة في منهجها وقراراتها السياسية، دون خلفيات العصبية وما تولده من تصدّعات وشقاقات داخل الدولة الواحدة.

ويجعل أمراً الجماعة شورى      وحقّ انتخاب الإمام فصلاً  
فلم يكُ للتابعيات ذليلًا      ولم يكُ بالعصبيات يبلى

شهدت الجزائر في عهده ازدهاراً أدبياً وحضارياً، وكانت تيهرت يومها تضاهي قرطبة وبغداد ودمشق في نموها وجمالها، عُرفت بتطور الحِرَف والصناعات والأسواق والحمامات، ولقد كانت من المدن الحضرية التي زارها عبد الرحمن الداخل.

<sup>٣</sup> سورة التوبة (آلية: ١١١).

في مجال العلوم نبغ بها عالم اللغات والنحو يهودا ابن قريش التاهري.

فدوخ بغداد في أوجها  
وكانت لتهيرت بغداد ظلا  
ويفاض بها العلم يجلو العقول  
ويغمر أرض الجزائر نبلاء

دب الوهن في صفوف الدولة، واعتبرها الضعف بفعل النزاعات الداخلية، وتعاظم شأن الخلافات المذهبية، وتربص زعماء الشيعة بها إلى أن سيطر عليها عبد الله المهدى.

## (٢) الدولة الأغلبية:

استمرت مقاومة الأمازيغ لخلافة العرب، فاضطُرَّ الأغالبة إلى استعمال القوة لإخراج حركة العصيان التي قام بها سكان الزاب والحضنة في الجزائر، وبحكم تحالفهم مع أنصار المذهب الشيعي، أعادت قبيلة كتامة البربرية أبا عبد الله الشيعي بالجند والعدة والعتاد في حربه ضد الدولة الأغلبية.

تأسست الدولة الفاطمية بزعامة عبد الله المهدى و«دانت بعض المناطق الشرقية للجزائر لحكم الدولة الأغلبية: منطقة الزاب ومجانة وبادس والغدير وسطيف».٤

إن تسألوا عن بنى الأغلب سلوا الزَّابَ عن جاره الأقرب

عرفت منطقة الزاب بكثرة شعرائها وأدبائها، ذكر منهم مفدي زكريا: أبا مضر محمد بن الحسين بن محمد بن أسد بن محمد بن إبراهيم بن زياد بن كعب بن مالك التميمي الحمانى من بنى سعد بن منة بن تميم الطبئي،<sup>٥</sup> سكن قرطبة، وكان من

<sup>٤</sup> مبارك بن محمد الميلى، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م، ص ١٢٦.

<sup>٥</sup> محمد بن لخضر فورار، مجلة المخبر، «أبحاث في اللغة والأدب الجزائري»، جامعة محمد خيضر ببسكرة، العدد الثامن، ٢٠١٢م، ص ٢٥٦. ذكر مولده سنة ٣٠٠هـ.

أهل العلم بالأداب واللغات والأشعار، والشاعر نسبة إلى طبنة «بريكة» عاصمة الزاب الجزائري، ولد بها سنة ٣٠٣ هـ.<sup>٦</sup>

### وطبنة هل تذكرین ابن الحسين التميمي وتاريخه القرطبي

قال ابن حزم: «كنت أنا وهو (أي ابن الطبني) متقاربين في الأسنان، وكنا أليفين لا نفترق، وخدنَّين لا يجري الماء بيننا إلا صفاء، إلى أن ألقى الفتنة جرانها وأرخت عزاليها، ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة ونزل لهم فيها». <sup>٧</sup> وورد كذلك اسم أبي القاسم محمد بن هانئ بن سعدون الأزدي الأندلسى، وهو أشعر شعراء المغرب العربى، ولد في إشبيلية في بلاد الأندلس، وترعرع فيها وتعلم الشعر والأدب. ارتحل إلى الزاب وبقي بها إلى أن استقر المعز لدين الله الفاطمي بمصر، فقصده ابن هانئ وأقام عنده.

يرى الفاطميون شعر ابن هانى  
وأبدع حتى تنبأً مثلـي  
علام يُلقب أندلسيـا

بالغ ابن هانئ في مدح المعز وأقاربه، وُعرف بتعصُّبه للمذهب الشيعي استعطافاً للفاطميـين. ومن شعره، قوله:

لي صارم وهو شيعي لحامـله  
إذا المعـز مـعـز الدـين سـلطـه

<sup>٦</sup> وصفه ابن بشكوال بسعة العلم والبحر في الأدب، وقال: «إنه لم يصل إلى الأندلس أشعار منه، تُوفي سنة ١٠٠٤ هـ ٣٩٤ م، وشهد جنازته المظفر عبد الملك بن أبي عامر» (عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٥ م، ص ٢٧٩).

<sup>٧</sup> أبو محمد علي بن حزم الأندلسى، «طوق الحمامـة في الألـفـة والألـافـ»، مكتبة عـرـفة، دـمـشـقـ، ١٩٣١ م، ص ١١٧.

قال عنه ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء: «أبو القاسم الأزدي الأندلسي أديب شاعر مُفْلِق، أشعر المتقدمين والتأخرین من المغاربة، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل الشرق ... وبرز في الشعر فلم يبارِه في حَلْبَتِه مبارٍ ... ثم رحل إلى الزاب واتصل بجعفر ابن الأندلسية وأخيه يحيى، فانتفع باباهما ولزم رحابهما ...»

وقال ابن خلكان عند ذكره لـ ديوانه: «وليس في المغاربة مَنْ هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم؛ بل هو أشعرهم على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة.»

### (٣) الدولة العبيدية: ٩٠٩-٢٩٦ / ٥٣٦١-٩٧٣ م

تأسّست الدولة العبيدية على يد عبيد الله المهي سنة ٩١٠ هـ / ٢٩٧ م، واتخذت من المهدية عاصمةً لها. انتقلت الريادة من المهدية إلى مصر، وُعرفت هناك بالدولة الفاطمية. كان تأسيسها على قواعد مذهبية، وفي مراميها، الهيمنة على حكم الأقطار الإسلامية باسم التشيع الذي أضحت تياراً سياسياً يحاول الغور في أعماق كل دواوين الإمارة، تارةً بإيعازٍ من الزيدية، وتارةً أخرى من الإمامية، وأخرى من الإسماعيلية. من الأمازيغ، حمل هذا التيار خاصة قبيلة كتمة بمنطقة الزاب الأغلبي التي ناصرتها ودافعت عنها، وبخضوعها، انزوت الجزائر تحت حكم الدولة الفاطمية.

وفي قدس جناتنا الناضره  
وجوهه إلى ربها ناظره  
تمد المعز لدين الإله  
فيصنع جوهر والقاهره!

يشير مفدي زكريا إلى جوهر الصقلي، أبي الحسن جوهر بن عبد الله، (ولد بصفلية سنة ٩٢٨ م، وتُوفي بالقاهرة سنة ٩٩٢ م)، يُعتبر من أشهر القادة العسكريين في العهد الفاطمي، أسس القاهرة وشيد الجامع الأزهر، وتُنسب له فتوحات في المشرق والمغرب، وقد سبق لشاعرنا أن أشار إلى اقتباس جوهر الصقلي من الخطبة العسكرية التي قام بها عقبة بن نافع الفهري في فتحه لبلاد المغرب.

وما كان جوهر إلا مدینا      لعقبة ... يوم استقل السفينـا

جَهَّزَ المُعْزَ قَائِدَهُ جَوَهِرًا الصَّقْلِيَّ لِإِخْضَاعِ الْمَغْرِبِ مَصْطَحِبًا مَعَهُ «جَعْفَرُ صَاحِبُ الْمَسِيلَةِ، وَزَيْرِيُّ بْنُ مَنَادِ الصَّنْهَاجِيِّ صَاحِبُ أَشِيرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ خَزَرٍ، وَدَارَتْ حَرَبٌ بَيْنَ الْأَمْوَيِّينَ وَالْعَبَيْدِيِّينَ عَلَى مَقْرَبَةِ مِنْ تِيهَرَتٍ». <sup>٨</sup>

#### (٤) الدولة الزيرية ١٠١٤-٩٧٢ / ٥٤٠٥-٣٦١ م

لم ينسَ المُعْزَ دِينَ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ فَضْلَ الْأَمَازِيْغِ فِي نَصْرِهِ لِلدوْلَةِ العَبَيْدِيَّةِ، فَقَامَ بِتَعْيِينِ أَبُو الْفَتوحِ سَيفِ الدَّوْلَةِ بِلَكِينِ أَوْ بُولُوغِينِ بْنِ زَيْرِيِّ الصَّنْهَاجِيِّ أَمِيرًا عَلَى الْمَغْرِبِ سَنَةَ ٩٧٢ هـ / ٣٦١ م.

أَوْصَاهُ وَصِيَّةً شَهِيرَةً عَنْدَمَا نَزَلَ بِمَصْرِ قَائِلًا لَهُ وَهُوَ يَعْظِهِ: «أَلَا تَرْفَعُ السَّيْفَ عَنِ الْبَرِّ، وَأَلَا تَرْفَعُ الْجَبَابِيَّةَ عَنِ أَهْلِ الْبَادِيَّةِ، وَأَلَا تُولِّيْ أَحَدًا مِنْ قَرَابَتِكَ؛ لَئِلَا يَطْمَعُونَ فِي أَمْرِكَ، وَأَنْ تَحْسَنَ إِلَى الْحَاضِرَةِ». <sup>٩</sup> أَرَادَ المُعْزَ دِينَ اللَّهِ أَنْ يَوْصِلَ رِسَالَةً إِلَى بِلَكِينَ مَفَادِهِ إِكْرَامِ الطَّائِفَةِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُ الْمَدِنَ، وَالتَّشْدِيدَ عَلَى الْبَرِّيِّ الَّذِينَ تَوَطَّنُوا فِي الْبَادِيَّةِ، وَمَرَاقِبَتِهِمْ مَخَافَةً تَمَرِّدُهُمْ ضِدَّ الْحُكْمِ الْفَاطِمِيِّ.

أَسَّسَ بِلَكِينَ أَشِيرَ <sup>١٠</sup> وَضَرَبَ بِهَا السَّكَّةَ ثُمَّ أَسَّسَ مَدِينَةَ الْجَزَائِرَ عَلَى أَسِسِ مَدِينَةِ إِيْكُوسِيُومَ سَنَةَ ٩٦٠ هـ / ٣٤٩ مَأْيَامَ إِمَارَةِ وَالَّدِ زَيْرِيِّ عَلَى صَنْهَاجَةَ، وَسُمِّيَّ آنذاكَ بِ«جَزَائِرِ بَنِي مَزْغَنَة». تُوْفِيَ سَنَةَ ٩٨٤ هـ / ٣٧٣ مَوْعِدُهُ بِالْحُكْمِ مِنْ بَعْدِهِ لَابْنِهِ الْمُنْصُورِ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى ابْنِهِ بَادِيسَ. يَقُولُ مَفْدِيُّ فِي الْمَقْطَعِ الْعَشْرِيِّ مِنِ الْإِلَيَّازَةِ:

وَقَفَنَا نَحْيِي بِهَا أَلْفَ عَامٍ      وَنَقْرِي زَيْرِيُّ الْعَظِيمِ السَّلَامِ

<sup>٨</sup> مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩ م، ص ١٤٤.

<sup>٩</sup> مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص ١٣٩.

<sup>١٠</sup> تقع في طرف إفريقيا الغربية مقابل بجاية، والمدينة في سفح جبل تيطري وشمال قصر البخاري وجنوب شرق مليانة والخمسين وغربي جبل شعبنة. لا تزال أطلال أشير باقيةً إلى اليوم عند «كاف الأخضر» وتُسمَّى اليوم «بنيّة» أو «منزه بن السلطان» (عبد الحليم عويس، دولة بنى حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٨٧).

فقام بولوغين في عيدهنا  
يهُزُّ الدُّنَى ويروع الأنام  
وسيبوس فاض فتاه دللا  
يعانق زيري الملك الهمام

ويضيف عن بولوغين بيّنا آخر في المقطع التاسع والعشرين:

سُنْحَفَظُ عَهْدَكَ وَالْمَوْثُقا  
فَحَيَّرَتِ الْغَرْبَ وَالْمَشْرُقا  
فَكَانَتْ لِمَعَارِجَنَا الْمَرْتَقِي  
بُولُوغِينَ يَا مَنْ صَنَعَتِ الْبَقا  
فِي رِيمُوسَ أَمْ أَنْتَ مَنْ شَادَهَا؟  
بَنَيَّتِ الْجَزَائِرَ فَوْقَ السَّمَاكِ

كان أول ما عرف سكان المغرب العربي من المذاهب الفقهية، مذهب أبي حنيفة النعمان – رضي الله عنه – ثم انتشر وعم مذهب الإمام مالك – رضي الله عنه – في القิروان والأندلس، واعتمد في الجزائر بناء على جهود وحرص العز بن باديس، «وكان الناس يقرءون بقراءة حمزة، لا يعرف قراءة نافع إلا الخواص، إلى أن جاءهم برواية ورش عن نافع محمد بن خيرون الأندلسي نزيل القิروان المتوفى سنة ٢٥٦ هـ».١١ استمرت حملة إخضاع الأمازيغ، غير أن طبيعة الأمازيغ كانت تتجدب دوماً إلى تغيير الولاء كلما لمست جوراً أو ظلماً، ذلك ما دفع قبيلتي مغراوة وزناتة لإعلان ولائهم إلى بني أمية بالأندلس. كان لقبيلة زناتة المعادية دور هام في التصدُّع الذي أصاب باديس، فما كان له من ملأ إلا استنجاد باديس بعمه حماد بن بلکين في القضاء على المعادين. سعى لذلك وأعد العدة فتأسست الدولة الحمادية سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م معلنة ولاءها للعباسيين في بغداد.

#### (٥) الدولة الحمادية: ٤٠٥-١٠١٤/٥٥٤٧-١١٥٣ م

يعود فضل تأسيس الدولة الحمادية إلى قبيلة صنهاجة «التي قدر لها أن تحكم المغرب العربي بعد نزوح الفاطميين إلى القاهرة».١٢

١١ مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص ١٦٨.

١٢ عبد الحليم عويس، «دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري»، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٢١.

يُهادِي تلمسانَ ورْدًا وفُلًّا كأوْصافها عبقرِيًّا وفَحلا فَأَفْلَح خَلْد أَمْجادها	وَتَاه الرَّبِيعُ بِجَنَاتِهَا فَكَان ابْن حَمَادُ مِنْ وَحِيهَا وَأَفْلَح خَلْدُ أَمْجادِهَا
---	---

بعد سقوط الدولة الزييرية، أسسَ حماد بن بلکين الدولة الحمادية وابتني القلعة<sup>١٣</sup> سنة ١٠٠٧ هـ/٣٩٨ م كأساس لحكمه، ودعم لاستقلال دولته بعدما أعلن الولاء لبني العباس. وبعد وفاته قام حَلْفُه بتأسيس بجاية سنة ٤٦٠ هـ. يرى بعض الدارسين أنَّ قلعة بني حماد أُسست على أنقاض قلعة رومانية في القرن الرابع الهجري – أي قبل بناء القلعة الحمادية بنصف قرن – اتخذ أبو يزيد الشهير بصاحب الحمار من هذا المكان حصناً يحتمي به في صد القوات الفاطمية.<sup>١٤</sup> وما لَحِقَ القلعة من دمار يعود، على حسب الكثير من المؤرخين، إلى الهلاليين والموحدين على حد سواء. كان من أهم القرارات الاستراتيجية للدولة الحمادية بعد انهزام الناصر بن علناس الحمادي سنة ٤٧٥ هـ/١٠٦٤ م في معركة «السبيبة» – غربي القิروان – نقلُ مركز الحكم من القلعة إلى بجاية، «ويذهب إلى هذا الرأي ابن الأثير والتوفيري وصاحب كتاب الاستبصار وبعض المؤخرين».١٥

وَقَلْعَة بَنِي حَمَادْ عَنْ مَجْدَنَا وَيُصْنَعْ قَوَافِيهِ مِنْ وَحِينَا تَرُقُّ وَتَقْسُوْ عَلَى بَعْضَنَا وَأَسْطُولُنَا الضَّخْم يَغْزُو الدُّنْـا	سَلْ ابْن عَلْنَاسْ عَنْ ذَكْرِنَا يُجْبِكَ ابْنُ حَمْدِيسْ فِي الْخَالِدِين وَتَنْبَئُكَ عَائِشَةَ كَيْفَ كَانَتْ وَتَذَكَّرْ بِجَايَةَ أَحْلَافِنَا
--	--

وابن حمديس المذكور في المقطع السابق هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي، المشهور بابن حمديس الصقلي.

<sup>١٣</sup> ذكر ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» أن قلعة بني حماد «مدينة متوسطة، لها قلعة بُنيت فوق قمة جبل سُميّت باسم تقربوست، هذه القلعة جد محصنة وتقع شرق المدينة.»

<sup>١٤</sup> عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص. ٩٠.

<sup>١٥</sup> عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص. ١٠٠.

ولد ابن حمديس الصقلي سنة ١٠٥٣هـ / ١٤٤٧ م بسرقوسة، كبرى مدن جزيرة صقلية. هاجر إلى الأندلس بعد هجمة النورمان لصقلية سنة ٤٧١هـ. لازم المعتمد بن عباد ومدحه، ودخل إفريقيا يوم كان يحكمها تميم بن العز. له ديوان شعر حققه الأستاذ إحسان عباس سنة ١٩٦٠ م.

كُفَّ بصره عند بلوغه ثمانين سنة، وتُوفِّي في رمضان من سنة ٥٢٧هـ ودُفن في جزيرة ميورقة، «ويُرجح أنه تُوفي في بجاية في الجزائر؛ لأن الذي دُفن في ميورقة بجانب ابن اللبانة هو أبو العرب الصقلي، فخلط الناس بينهما». <sup>١٦</sup> وفي البيت الذي يلي ذكر الشاعرة الحمادية عائشة العمارية.

يعود أصل تسمية الناصر بن عناس إلى «أعلى الناس»، تقلَّد إمارة الحمادية سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢ م. بهدف حماية نفوذه، طلب الناصر التصالح مع ابن عمه تميم بعد موقعة سبيبة المذكورة، وتَوَسَّطَ في هذا الأمر وزيره أبو بكر بن أبي الفتوح، ولم يُكتب للصلاح تمامًا إلا سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧ م رغم ما رُوي عن خيانة ابن البعث له، ولم يُدعَم إلا بزواج الناصر من بلارة ابنة تميم.

وفي القصرِ تختالُ بلَّارة  
تَصَاهِرُ فيها الدَّهَا والجَمَالُ  
فَضْمَّ انصهارُهُمَا شَملَنَا  
وأَعْلَتْ بِجايَةً هَامَ الجَزَاءُ  
رِّعْلَمًا وشَادَتْ صَرُوحَ الْهَنَا

يقول في شأن هذا القصر ابن خلدون: «إنه كان من آنق الرياض وأحفلها». حطَّمه المرينيون سنة ١٣٠١هـ / ١٧٠١ م.<sup>١٧</sup>

اشتهرت بجاية بوفرة العلم وتطور الفنون وتقدير الصناعات المتعلقة بالعتاد الحربي وأواني النحاس والفضة وصناعة الشمع، وقد بلغت التجارة الخارجية أوج

<sup>١٦</sup> محمد كمال سليمان حمادة، «الخطاب الشعري عند ابن حمديس الصقلي»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٢ م، ص ٢٥.

<sup>١٧</sup> عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام»، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٥ م، ص ٣٨٧.

سموها؛ حيث عرفت بجاية تصدير الشمع إلى إيطاليا، «ولا يزال مسمى الشمع عند الأوربيين بوجي Bougie وهو اسم بجاية في نطقهم الإفرنجي».١٨

شهد العهد الحمادي هجرة الهلاليين إلى المغرب العربي، وخاصة إلى الجزائر، يقول توفيق المدنى: إن «ال الخليفة الفاطمي بمصر حين أراد أن ينتقم من المعز الصنهاجى لخلعه سلطانه وانتمائه للعباسيين، أرسل عليه وعلى بلاده القبائل الأعرا比ة من بنى هلال وبني سليم ومن معهم، فأقبلوا بخيالهم ورجالهم، وطغت موجتهم الأولى على دولة صنهاجة بالبلاد التونسية، ثم اجتاحوا دولة الحماميين».١٩

أخذ الصراع بين العرب والأمازيغ بعدها ومنحني آخر، استهدفت فيه المعالم الثقافية والتاريخية، وهذا ما وقع عند الهجرة الهلالية لبلاد المغرب في منتصف القرن الحادى عشر الميلادى، أو بالأحرى ما علق بالعرب الهلاليين من تخريبهم لإفريقية كما ورد عن المؤرخين المسلمين والمستشرقين. حملت المدرسة الفرنسية القبائل الهلالية مسئولية انحطاط المغرب وفقدانه لمقومات البقاء من خلال ما نشره إرنست مرسى Ernest Mercier في كتابه «تاريخ استقرار العرب بإفريقية الساحلية من خلال وثائق المؤلفين العرب، وعلى الخصوص تاريخ البربر لابن خلدون» (١٨٧٥) وكتابه «تاريخ إفريقية الساحلية من الأزمنة البعيدة إلى الفتح الفرنسي» (١٨٨٨)، وقادس هذه النزعه العنصرية كلٌّ من جورج مارسي Georges Marçais وإميل فليكس غوتى Emile Félix Gautier بشهادتهم حول إشاعة الهلاليين للفوضى وإجبار البربر إلى الانسياق لبداوة الجزيرة العربية، واغتصاب أراضيهم ومصادرتها، مكيفين تعريب المنطقة البربرية من «الجرائم الكبرى».

لقد وظفوا ما قاله ابن خلدون في تأريخه لهذه الهجرة في قالب إيديولوجي استعماري.٢٠ انساق العديد من الكتاب والمفكرين العرب وراء طرح المدرسة الاستشرافية،

<sup>١٨</sup> عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، مرجع سابق، ص ٣٨٤.

<sup>١٩</sup> أحمد توفيق المدنى، «كتاب الجزائر»، المطبعة العربية، الجزائر، ١٩٣١م، ص ٢٥.

<sup>٢٠</sup> انظر الفصل ٢٦ في أن العرب «إذا تغلبوا على أوطانِ أسرع إليها الخراب»، عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء الأول «المقدمة»، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١٨٧.

ويمكن فقط ذكر ما توصل إليه فكر الهادى روجي إدريس من أن هجرة بنى هلال تصنف ضمن «الكوراث» التي حلّت بالغرب العربي و«ضربة قاضية لحضارة المغرب».٢١ يقول عبد الرحمن بن خلدون عن إفريقية والمغرب: «ما جاز إليها بنو هلال وبني سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها للثلاثمائة وخمسين من السنين؛ قد لحق بها وعادت بسائطه خراباً كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمراناً، تشهد بذلك آثار العمran فيه من المعالم وتماثيل البناء وشهاد القرى والمدر، والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين».٢٢

### وتنتصب أندلس عندنا وتزتاوج للعرب النازحين

بغض النظر عن بعض عوائد التوحش التي ألفها العرب في صحراء مصر، والسلوكيات السلبية المحسوبة على الهجرة الهمالية، غير أنها لم ترق إلى اعتبارها عاملاً من عوامل السقوط؛ بل إن الواقع التاريخي يُشيد بالدور الرائد لبني هلال في الحروب ضد الصليبيين وفي فتوحات الأندلس؛ بل أبعد من ذلك ما أثبته ابن خلدون في كتابه «العمان»، عندما أعزى احتطاط العالم الإسلامي وركونه إلى الضعف بسبب تراجع العصبية العربية، ووصول القيادات القبائلية العسكرية المتمثلة في الأتراك والبربر إلى قيادة الأمة الإسلامية، حسب قوله.

شهدت الدولة الحمادية غزو النورمان لجيجل سنة ٥٣٧هـ،<sup>٢٣</sup> واتسمت بودية علاقتها بالسيحيين، وصارت مركزاً تجارياً، وتجلّت فيها معالم الحضارة في قصورها ومساجدها ومساكنها وطرقها. سادت فيها اللغة العربية وأصبحت اللغة الرسمية للدولة. تقلّص استعمال اللغة الأمازيغية في بعض مناطق المغرب العربي، وأصبحت حكراً شفوياً على سكان بعض الجهات في الجزائر.

<sup>٢١</sup> علاوة عمارة، «دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص ١٣-١٦.

<sup>٢٢</sup> عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص ١٨٨.

<sup>٢٣</sup> أصل الكلمة نور ثمن: « رجال الشمال »، وهم من النرويج والدانمارك، انتقلوا أيام شارلمان إلى منطقة نورمنديا وعرفوا بالقرصنة البحرية (مبarak بن محمد الميلى، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م، ص ٢٥٦).

لم يفلح عبد الله المهدى في نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي في الأوساط الجزائرية، ولعل أهم عامل قضى على هذا التيار السياسي والمذهبى هو ثورة أبي زيد المحتسب الملقب بصاحب الحمار (ت ٩٤٧ هـ / ١٥٣٦ م) تحت لواء المذهب الإباضي.<sup>٤</sup>

ساد المذهب المالكى في الجزائر واعتمد في تأصيله تدريس موطأ الإمام مالك بن أنس – رضي الله عنه – ويرجع توسيع الأخذ به، في عهد سحنون بن سعيد التنوخي (ت ٩٢٤ هـ / ٨٥٥ م) عندما شغل منصب قاضي إفريقية، ثم تولى نشره وتعلمه أبو زيد القيروانى (ت ٩٩٦ هـ / ٢٨٦ م)، وقد ألف في ذلك العديد من المؤلفات: «الرسالة» و«النواذر والزيادات».<sup>٥</sup>

سعى أبو حفص عمر بن الحسين الصابوني على رأس السادة المالكية في الجزائر في نشر المذهب المالكى بتأييده من سلطة بنى حماد. أما عن انتشار المذهب الإباضي، فاقتصر تواجد هذا المذهب في بعض مناطق الجزائر، «لم ينجح أتباع مذهب جابر بن زيد إلا في الحفاظ على جزء صغير من نفوذهم بوارجلان (ورقلة) وأسفوف (واد سوف) وخصوصاً ببلاد مصعب (ميزاب)؛ حيث لجئوا إلى هناك وبنوا مدن العطف وبنورة وبني يسجن وغرداية ومليكة». <sup>٦</sup> أطاح المرابطون بأخر أمراء الدولة الحمادية يحيى بن عبد العزيز سنة ٥٤٧ هـ، وانتهى بذلك حكم الدولة الحمادية من بجاية.

## (٦) دولة المرابطية: ٤٧٢-٥٣٩ هـ / ١٠٧٩-١١٤٥ م

وهم من الأمازيغ الذين ربّطوا أنفسهم لخدمة الدين من قبائل لمدونة ومسوفة وجدة، التي استقررت بجنوب المغرب وضفاف نهر السنغال والنiger، ويُقال لهم الملثمون. عاشوا حياة الاعتزال في الصحاري، وانقطعوا بجزيرة،<sup>٧</sup> وربّطوا أنفسهم للطاعة والذكر

<sup>٤</sup> علاوة عمارة، «دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٨ م، ص ١٣١.

<sup>٥</sup> علاوة عمارة، مرجع سابق، ص ١٣٣.

<sup>٦</sup> علاوة عمارة، مرجع سابق، ص ١٣١.

<sup>٧</sup> يرى ابن خلدون أنَّ الجزيرة ببحر النيل. أما الأستاذ يحيى بوعزيز – رحمه الله – فيرى أنَّها تقع بحوض نهر السنغال.

مع شيخهم عبد الله بن ياسين المتوفى سنة ١٠٥٩هـ / ٥٤٥١م مؤسس طائفة المرابطين،  
وهم الذين يُقال لهم التوارق.<sup>٢٨</sup>

تزعَّم الدعوة المرابطية في منطقة السودان أبو بكر بن عمر اللموني، وفي المنطقة الساحلية مراكش يوسف بن تاشفين. أخذت هذه الدعوة الإصلاحية في التوسيع واستحوذت على قلوب الكثير من المربيين، وانتقلت من مرحلة الدعوة إلى مرحلة قيام الدولة.

أسَّس يوسف بن تاشفين مدينة مراكش سنة (٤٦٥هـ / ١٠٧٣م)، وتمكَّن من السيطرة على كامل المغرب من مراكش إلى الحدود الشرقية لملكة بني حمام. عُرف يوسف بن تاشفين بدهائه في المارك؛ فقد استطاع أن ينتصر على جيش الإسبان بقيادة «الأذفونش السادس» في معركة الزَّلاقة سنة (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م)، بعدها تفطن لخداع طمأن فيها الإسبان المسلمين بعدم مواجهتهم يوم الجمعة لقادسته، إلا أنَّ جيش ابن عبادة كان مستعدًا وقت صلاة الجمعة، فانتصر المسلمون انتصارًا عظيمًا وفرَّ الأذفونش السادس في نفرٍ قليلٍ من أصحابه.<sup>٢٩</sup>

أمَّا على صعيد تعزيز سلطان الدولة المرابطية، فغزا يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٢هـ تلمسان في ٢٠ ألفًا من المرابطين، فعسكر بها وسكَّ اسمه في جهة، وفي الأخرى كتب ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيَنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ سنة ثلث وسبعين ٤٧٣هـ / ١٠٧٧م.<sup>٣٠</sup> وفي سنة ٤٧٤هـ عسكر بتاقرارت وأقام بها وافتَّحَا من أيدي بني يعلى الخزريين، وأصبحت مدينة واحدة مع تلمسان، واتخذها المرابطون عاصمة لهم.<sup>٣١</sup>

<sup>٢٨</sup> آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ١٩٩٠م، ص ١٢٢.

<sup>٢٩</sup> محمد حسن العيدروس، «المغرب العربي في العصر الإسلامي»، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٦٧.

<sup>٣٠</sup> آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ١٩٩٠م، ص ١٢٢.

<sup>٣١</sup> مبارك بن محمد المليي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م، ص ٢٨٣.

بني فيها يوسف بن تاشفين جامعها الكبير سنة ١٠٦٦هـ / ٤٩٥م. ملك وهران  
بعده ابنه علي سنة ١١٠٦هـ / ٥٠٠م، وفي أيامه ظهر أمر الشريف المهدى بن تومرت  
القائم بدولة الموحدين.<sup>٢٢</sup>

توفي يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠هـ، وخلفه ابنه علي بن يوسف. في سنة ٥١٦هـ  
أشعل المهدى بن تومرت الموحدى نار الثورة على علي<sup>٣</sup>; فكانت تلك الحرب سبباً في سقوط  
الدولة المرابطية سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٥م، <sup>٢٣</sup> قُتل في معركة على إثرها قرب مدينة وهران  
تاشفين بن علي بن يوسف، وانتصر عبد المؤمن بن علي الموحدى معلناً بذلك قيام الدولة  
الموحديّة.

#### (٧) دولة الموحديّة: ٥٢٤-١١٣٠هـ / ١٢٦٩-١٢٦٨م

أصل تسميتهم بالموحدين تعود لعلم التوحيد الذي عُرف به أتباع الشيخ الشريف  
المهدى بن تومرت؛ فهو الذي سماهم بذلك تعرضاً بالمرابطين. وهو أول ملوك الدولة  
الموحديّة.<sup>٢٤</sup>

ويمضي ابن تومرت يغزو الضَّ --- لال فِي خلاصٍ لله عقل ودين

اشتهرت الدولة الموحديّة عند نشأتها بانتشار العلوم المختلفة، ولقي ميدان الفنون  
عناية كبرى، نبغ فيها الشريف بن عمارة.<sup>٢٥</sup>

٢٢ آغا بن عودة المزاري، مرجع سابق، ص ١٣٥.

٢٣ عمار بوجوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٣٩.

٢٤ آغا بن عودة المزاري، مرجع سابق، ص ١٤٢.

٢٥ هو أبو طاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، له علم وأدب وفضل ونبل، قضى في بعض  
النواحي بجاجة، كان متقدماً في علم العربية والأدب، وله تأليف في علم الفرائض منظوم، وتواثيقه في  
نهاية الحسن وبها يُضرب المثل، وكثيراً ما يقول الناس عندما يشطط الإنسان على الإنسان في الطلب  
فيجاوبيه: وأغْنِي لك موشحاً لعمارة — عن موقع المكتبة الشاملة [shamela.ws](http://shamela.ws).

ويوسف بن يعقوب الوارجلاني:<sup>٣٦</sup>

ويهُزِّج بالصادفات الشريفة ويلمع يوسف في الامعين

دخل جد المهدى ابن تومرت مع أبيه المغرب مع عقبة بن نافع الفهرى فى فتحه الإسلامي. بُويع سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م وخلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي<sup>٣٧</sup> على رأس الدولة الموحدية، وبُويع سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م بعد وفاة ابن تومرت.

وتتجذب ندرومة الخالدين فتعلّى الجزائر مناً الجبين  
ويصنّع وحدتنا ابن علي فيرفع رايتها باليمين

كان عبد المؤمن بن علي فصيحة اللسان، ضليعاً في علوم اللغة العربية والأدب والتراجم، اعنى بتنظيم الجيش والتعليم والدواوين والأسواق، عقدت في عهده الدولة الموحدية معاهداتٍ مع جمهورية جنوة، كانت العلامة السلطانية عند الموحدين في رسائلهم «الحمد لله وحده».

قالت الشاعرة حفصة الأندلسية بنت الحاج الركوني، مخاطبةً عبد المؤمن بن علي:<sup>٣٨</sup>

يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفده  
امتن على بطرس يكون للدهر عده  
تخطي يمناك فيه «الحمد لله وحده»

<sup>٣٦</sup> هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي والوارجلاني، ارتحل إلى الأندلس وسكن قرطبة، وفيها تعلم علوم اللسان الحديث والتنجيم وغيرها، وفسر القرآن تفسيراً كبيراً فائقاً جمع فيه من العلوم ما لم يذكره غيره. له مؤلفات، أشهرها: تفسير القرآن الكريم، العدل والإتصاف في أصول الفقه، الدليل والبرهان، مرج البحرين في المنطق والفلسفة وفتح المغرب. توفي سنة ٥٧٠هـ - بتصرُّف عن موقع نور الاستقامة .noor-alestiqamah.com

<sup>٣٧</sup> عاشر إفريقيبة عبد المؤمن بن علي التجاري الكومي نسبة إلى كومية، وهي قبيلة بربرية، ولد بضيعة من أعمال تلمسان تُعرف بـ «تاجرا» بنواحي ندرومة سنة ٤٩٠هـ وقيل سنة ٥٠٠هـ (عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٧).

<sup>٣٨</sup> مبارك بن محمد مليي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م، ص ٣٠٩.

بعد قضائه على الدولة الحمادية احتل عناية، ثم واصل مسيرته إلى تونس ومدينة المهدية فاستولى عليهما سنة ٥٥٥ هـ، واستطاع القضاء على الاحتلال النورماندي بالأراضي التونسية.<sup>٣٩</sup>

وتصفو «أعز المطالب» فيه  
فتتصفو المناهج للسالكين  
وتزخر بالعلم أرجاؤنا  
فتسمو المدارك بالنابهين

وقد أورد آغا بن عودة المزاري قولهً لابن رزقون فيه حديث المدونة التي أشار إليها مفدي زكريا بتسمية «أعز المطالب»، قال: «كنت في العلماء الذين جمعهم عبد المؤمن بن علي سنة خمسين من القرن السادس (موافق ١١٥٥-١١٥٦) التي أمر فيها بحرق كتب الفروع، وقام وزيره أبو جعفر بن عطيه وقال: بلغ سيَّدنا أن قوماً تركوا الكتاب والسنّة، وصاروا يفتون بفروع لا أصول لها، « فمن نظر فيها عاقبته»، وأنهم عندهم كتاب يُقال له «المدونة» لا يرجعون إلا إليه، ومن العجب قولهم بإعادة الصلاة في الوقت، مراده بذلك أن يحمل الناس على مذهب ابن حزم الظاهري، قال فحملتني الغيرة، وتكلمت بأن رسول الله ﷺ لما صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا صَلَّى أَعْرَابِي أَمَامَهُ قَالَ لَهُ: «صَلِّ إِنَّكَ لَمْ تَصُلْ». كما في صحيح البخاري.

قال: لا أحسن غير هذا، فعلمته، فلم يأمره بإعادة ما خرج وقته، فقام عبد المؤمن وسكن الحال ولم أر منه بعد هذا إلا الكراهة.<sup>٤٠</sup> في سنة ٥٥٨ هـ ندب عبد المؤمن عرب بجایة إلى الحرب في الأندلس بر رسالة ختمها بأبياتٍ من نظمِه ذكرها المبارك الميلي في مؤلفه.<sup>٤١</sup>

فرض عبد المؤمن على اليهود والمسيحيين أن يتميّزوا بلباسهم حتى يُعرفوا، وبني القلاع والمصحات. اعتمد المذهب المالكي وأمر جماعةً من المحدثين بجمع الأحاديث من

<sup>٣٩</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٤٠.

<sup>٤٠</sup> آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ١٩٩٠ م، ص ١٤٦.

<sup>٤١</sup> مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩ م، ص ٣٢٤.

الموطأ والصححين والترمذى وأبى داود والنسائى والبزار وابن أبى شيبة والدارقطنى  
والبيهقى.<sup>٤٢</sup>

انتهج السكان الأمازيغ من الحضر والرحل عقيدة أهل السنة والجماعة، واتخذوا من المذهب المالكي مسلكاً فقهياً لهم، «وكان للتقارب بين القيادات الفقهية المالكية بالغرب الأوسط، وخصوصاً ببلاد المرابطين في المغرب الأقصى والأندلس، الأثر الكبير في بناء ثقافة فقهيةٍ مالكية».«<sup>٤٣</sup>

تُوفى عبد المؤمن بن علي سنة ١٦٣ هـ / ٥٥٨ م، ودُفن بتمليل بجوار شيخه المهي  
بن عبد الله تومرت. تولى من بعده الإمارة أبو يعقوب يوسف (ت ٥٧٩ هـ)، ثم المنصور  
(ت ٥٨٠ هـ) وانتهت بعد حكم إدريس الواقى سنة ١٦٦٨ هـ / ٦٦٨ م.

ظهر في عهد الدولة المؤمنية التصوف بالجزائر، واشتهر به أبو مدين شعيب الأندلسي  
دفين تلمسان المتوفى سنة ٥٩١ هـ أو ٥٩٤ هـ على خلاف. تعرّف بالشيخ عبد القادر  
الجيلاوي بعرفة وأخذ عنه، واستوطن بجایة، فكان يُقرئ بها رسالة القشيري وغيرها،  
وكثُر أتباعه فاستقدمه يعقوب المنصور إلى مراكش، فلما بلغ تلمسان تُوفى بها، ودُفن  
برابطة العباد.<sup>٤٤</sup>

تلمسان أنت عروس الدُّنا  
بحسنك هام أبو مدين  
وحلم الليالي وسلوى المحب  
وفي معبد الحب شاد القبب

وقال في موطن آخر:

أوروبا العجوز لها طوعنا  
ليُّ هنا، يَرْفعان الْبَنا  
وأرقامُنا العربية مالت  
وكان أبو مدين والثَّغا

<sup>٤٢</sup> مبارك بن محمد الميلى، مرجع سابق، ص ٣٣٩.

<sup>٤٣</sup> علاءة عمارة، «دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٨ م، ص ١١٥.

<sup>٤٤</sup> مبارك بن محمد الميلى، مرجع سابق، ص ٣٤٧.

يشهد علماء المشرق والمغرب بفضل الرعيل الأول من رجالات الجزائر في التمدن والتحضر ورفة الكعب في العلم، ولقد أحسن مفدي زكريا إذ خلَّ في إليازته تميم بن خريف في التأسيس للأرقام العربية التي تعتمد على الزوايا وقيمة الرقم؛ فإذا كانت زاوية واحدة فهو واحد، أو زاويتان فهو اثنان ... وهكذا على تسع.<sup>٤٥</sup>

استطاع الموحدون توحيد المغرب العربي، وردَّ هجمات الصليبيين عن شمال إفريقيا، وبسطَ نفوذ المسلمين في الأندلس بعد انهيار دولة الأمويين بالأندلس في سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م واستيلاء الطوائف على كل مقاطعة.<sup>٤٦</sup>

كانت هزيمة معركة «الغراب» على المسلمين سنة ١٢١٤هـ/٦٠٩م نكبةً كبيرةً في تاريخ المسلمين، وكان لها الأثر البالغ في تمُّر الأندلسيين على الموحدين، وفتحت أبوابَ حربِبني مرين علىبني عبد المؤمن بدايةً من سنة ٦١٣هـ بالغرب الأقصى، واعتلى الدولة الموحدية الضعف والوهن وألت إلى السقوط.

قامت على أنقاض الدولة الموحدية ثلاثة دول: الحفصية، والمرinية، والزيانية. كان الصراع المفضي إلى الاقتتال أبرز مظاهر نشأة هذه الدول، ولعل طمع الإسبان في الإغارة على المغرب واستعماره كان ناتجاً عن ضعفها وذهباب ريحها وإطلاق عنان الحملة الصليبية عليها، ولو لا قيام الدولة التركية بأساطيلها في وجود الدول الأوروبية للحق المغرب بالأندلس وصقلية.<sup>٤٧</sup>

وقد سبق لصلاح الدين الأيوبي أن طلب من المنصور عام ٥٨٠هـ يستجد به فيها على الإفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد الشامية، خاصةً أن أساطيلهم كانت تمر بممر جبل طارق، وكان حامل الرسالة شمس الدين بن منقد، غير أن طلبه قُوبل بالرفض.<sup>٤٨</sup>

<sup>٤٥</sup> محمد حسن العيدروس، «المغرب العربي في العصر الإسلامي»، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٦٣٩.

<sup>٤٦</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤.

<sup>٤٧</sup> مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م، ص ٣٥٥.

<sup>٤٨</sup> لم يُجبه سلطان الموحدين لذلك، لا شيء سوى أنه لم يخاطبه بأمير المؤمنين، فضاعت فرصة غالٍة لاتحاد المسلمين ضد الصليبيين بالشرق والمغرب (محمد حسن العيدروس، «المغرب العربي في العصر الإسلامي»، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٦٧٧).

(٨) الدولة الحفصية: ١٢٢٩/٥٩٤٣-١٥٣٦ م

يعود أصل الحفصيين إلى أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي، أحد العشرة المقربين من ابن تومرت،<sup>٤٩</sup> تُوفي سنة ٥٧١ هـ، ومن أشهر أبنائه: أبو زكريا، سمح له موقعه ونفوذه باحتلال قسنطينة وبجاية والجزائر وتلمسان.

احتلت إسبانيا في سنة ٩١٥ هـ/١٥١٠ م بجاية، ودلس والجزائر من غير مقاومةٍ حفصية، وفي سنة ٩١٩ هـ احتلت جيجل، وفي سنة ٩٤١ هـ تنازل الحسن عن بونة فتم خروج الجزائر من أيدي الحفصيين.<sup>٥٠</sup> تسبّبت الفتنة الداخلية وغارات الإسبان والبرتغاليين ووهن الجيش في إضعاف الدولة الحفصية، فكان سقوطها حتمياً سنة ١٣٤٧ هـ/١٧٤٨ م.

بدأت أولى التدخلات العثمانية في بلاد المغرب على يد بربuros وخير الدين من جهة تونس، وقد تمكّن من تحرير بجاية وبقية السواحل التي ملكتها إسبانيا، وسرّ به الحفصيون، ثم استرجع جيجل سنة ٩٢٠ هـ والجزائر سنة ٩٢٢ هـ، فولأه سليم العثماني عليها، وكان ذلك أول قدمٍ للعثمانيين بالجزائر.<sup>٥١</sup>

(٩) الدولة المرinية: ١٢٦٩/٥٧٩٦-٦٦٨ م

يُنسب المرinيون إلى جدهم مرин بن أمير الناس على قولٍ، وابن ورتاجن على قولٍ آخر، وأما تسميتهم ببني حمامه فنسبة لجدهم حمامه بن محمد بن ورزين.<sup>٥٢</sup> في خضم الحروب الصليبية المعلنة وتحالفات الإمبراطوريات الأوروبية، انشغل المرinيون بالصراع مع بني عبد الواد، فوهنت قواهم، وتشتّت شملهم، واشتدت بهم عواصف الفرقة، وضعفت لذلك غرناطة التي كانت تستمد منهم المدد العسكري والمالي، فسقطت على يد الإسبان سنة ٨٩٧ هـ.

<sup>٤٩</sup> مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص ٣٨٢.

<sup>٥٠</sup> مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص ٤١٢.

<sup>٥١</sup> مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص ٤١٣.

<sup>٥٢</sup> آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعود في أخبار وهان والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ١٩٩٠ م، ص ١٦٨.

(١٠) الدولة الزيانية: ٦٣٣-٥٩٦٢/١٤٥٤ م

امتد نفوذ الدولة الزيانية إلى معظم التراب الجزائري، وكانت عاصمتها تلمسان، ومن المرجح، أن تلمسان هي اسم علم زناتي مركب من «تم» بمعنى تجمع، و«سان» بمعنى اثنين؛ أي أنها تجمع بين اثنين: التل والصحراء، لاعتبارات مصرية تخص بقاء الدولة واستمرار نفوذها. تحالف الزيانيون مع الموحدين وبقوا على خلافهم مع المرينيين والحفصيين. تُنسب إلى زياد بن ثابت بن محمد بن زيدان والد يغمراسن منبني طاع الله، «وبينو طاع الله من بطون بني القاسم من عبد الواد». <sup>٥٣</sup> ويرتفع نسبهم إلى إدريس بن عبد الله الكامل، نسبتهم لعبد الواد من جدهم لأمهם عبد الوادي <sup>٥٤</sup> بن يادين بن محمد ر Zigjik بن واسين.

دلال المدينة أعيما الملوك  
وكم خاطب ودها أخلفها  
تنازعها الروم والمسلمون  
وحماول زيان أن يسبقا

كان أول من حكمها، أبو يحيى يغمراسن بن زياد بن ثابت بن محمد العيد الوادي، <sup>٥٥</sup> ولد سنة ٦٠٣ هـ، أسسها سنة ٩٦٣ هـ ويُو碧ع في هذه السنة يوم كان الحكم لبني عبد المؤمن، أما الذين من قبله فلم يكن لهم الحكم والسيادة؛ بل مجرد المشيخة والريادة، «وفي رواية، أنه بدأ حكمه في أيام الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون». <sup>٥٦</sup>

ُعرف يغمراسن بتدبُّره ومحبته لأهل العلم والأدب ومجالسة الصالحين، ومن آثاره صومعتا جامعي تلمسان القديمة والحديثة.

<sup>٥٣</sup> مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص ٤٣٩.

<sup>٥٤</sup> أصله عبد الوادي، صفة لبيته بواه هناك (عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام»، الجزء الثاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٤١).

<sup>٥٥</sup> أورد آغا بن عودة المزاري في كتابه «طلوع سعد السعود في أخبار وهان والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر» في صفحته ١٦٢ قولاً للحافظ أبي راس في كتاب «الحاوي» أن معنى يغمراسن بلغتهم كثيُّ المرق، ولُقب بذلك لكثرَة جوده.

<sup>٥٦</sup> آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعود في أخبار وهان والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ١٩٩٠، ص ١٦٢.

سُئل أن يأمر بكتب اسمه في صومعة الجامع الأعظم، فأبى وقال: «علم ذلك عند ربِّي». وقد أورد محمد بن عبد الله التنسِي في كتابه<sup>٧</sup> قوله لِيحيى بن خلدون أن يغمراسن قال بالزناتية: «يسنت ربِّي؟ أي علمه الله، غيرَ يغمراسن — عندما استقر له الأمر وكثير ماله — اسم تاجرارت من اسمها القديم إلى تلمسان، المعروفة الآن».<sup>٨</sup>

إليك تلمسان ننهي المطافا وغالب خمسين عاماً عجافا وما اسطاع بابن مرين اعترافا وأمرُ الجزائر فيها ائتلافا وزيان يحسم فيه الخلافا فتغزو الحياة، ثقلاً خفافا	تلمسان مهما أطلنا الطوافا يغمراسن الشهم ضاق اصطبارا وأصلىبني حفص حرباً عوانا فكانت تلمسان دار سلام فأكِرم بمُشَورِها الوطني ويدفع خطو بنى عبد واد
---	--

بعد محاولات عدة للسيطرة الحفصية على الجزائر، أغارت أبو زكريا الحفصي على تلمسان سنة ١٢٤٢م، لكن جيش يغمراسن كان بالمرصاد واستطاع صد الهجوم. هذا عن الحفصيين، أما عن أطماع المرinيين فلم تثبت أن طفت مرة أخرى على سطح العلاقات بين الإمارات الإسلامية، وتعَرَّضَ صفو الدولة الزيانية، حتى بادر يعقوب بن عبد الحق المريني للتوجيه جيشه للإغارة على يغمراسن.

كانت الموقعة بوادي تлагُّ سنة ١٢٦٦هـ / ١٢٦٧م، انهزم فيها الجيش الزياني شر هزيمة، قُتل فيها أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان، وكان كبير أولاده وولي عهده، وهلك في المعركة نفرٌ من أكبر رجال بنى زيان.<sup>٩</sup>

بعد ثلاث سنوات، من موقعة تlag، أعاد يعقوب الكَرَّة على الدولة الزيانية، ومنْيَّة أخرى يغمراسن بهزيمة في معركة إيسلي الشهيرية، وفقد هذه المرأة ابنه أبي عدنان

<sup>٧</sup> محمود آغا بوعياد، «تاريخ بنى زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعيان في بيان شرف بنى زيان»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ٢٠١١م، ص ١٢٥.

<sup>٨</sup> ابن الأحمر، «تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان»، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠١م، ص ٣٨.

<sup>٩</sup> ابن الأحمر، «تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان»، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠١م، ص ١٩.

فارس وبضعاً من أهل بيته. استغل يعقوب المريني شقاً بين يغمراسن وطائفة من بني عمومته، وجعله عاملًّا من عوامل القضاء على يغمراسن، وكان على رأسهم أبو زيان محمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن توجين من زناتة.<sup>٦٠</sup>

تُوفي يغمراسن — رحمه الله — يوم الإثنين ٢٩ ذي القعدة سنة ٦٨١ هـ الموافق ٢٨ مارس ١٢٨٣ م بـ «رهيو» بعد عودته من مليانة وعمره ٧٦ سنة.<sup>٦١</sup> خلفه ابنه أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان ٦٨١ هـ / ١٣٠٣ م، ثم جاء من بعده ابنه محمد بن السعيد سنة ٦٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م، وجدد الدولة أبو حمو موسى الثاني.

في غمرة التهديدات التي كان يطلقها الأسطول الإسباني على الجزائر، دخل الأتراك إلى الجزائر في عهد الحسن بن عبد الله الثاني ٥٥٧ هـ / ١٥٥٠ م، وقد كان آخر عهد الدولة الزيانية بالحكم.

ويُنسب لبني عبد الواد حرصهم على العلم وترقية القضاء والعمaran، ويعود لهم الرسم الحالي لحدود الجزائر المعاصرة. الحق الأتراك إمارة بني زيان للحكم العثماني، ونقلوا العاصمة من تلمسان إلى الجزائر بعدما استنقذوها من الإسبان، وأخذت الجزائر يومها نظام حكم آخر وسياسة مخالفة لما سبق.<sup>٦٢</sup>

<sup>٦٠</sup> ابن الأحمر، مرجع سابق، ص ٢٣.

<sup>٦١</sup> محمد بن عبد الله التنسبي، «تاريخ بني زيان ملوك تلمسان»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعية، الجزائر، ٢٠١١ م، ص ١٢٨.

<sup>٦٢</sup> ابن الأحمر، مرجع سابق، ص ٥١.

المبحث الثالث

## العصر الحديث والمعاصر



## الفصل الأول

# التدخل الأجنبي في الجزائر

تนาزع في دخول الجزائر الإسبانُ باعتبارهم قوَّةً بحرية أرادت الهيمنة على المنطقة وبث نفوذها، والأتراءُ باعتبارهم قوَّةً عظمى تم الاستنجاد بها من طرف الجزائر، ثم فرنسا المتحيَّنة لفرصة الاحتلال.

### (١) ملوك الإسبان: عين على الجزائر

كان اجتماع الإسبان بداية من سنة ١٤٨٤ هـ/١٩٨٨ م على ملك واحد اشترك فيه هو وزوجته إيزبيللة، ودام مدة ٣٥ سنة.<sup>١</sup> راوده افتاك الأندلس كاملة من المسلمين؛ لذلك عزم على غزو غرناطة في سنة ١٤٩٠ هـ/١٩٩٥ م وكان أميرًا بها أبو عبد الله محمد حسن، وسقطت في أيدي النصارى الإسبان سنة ١٤٩٢ هـ/١٩٩٧ م، وانتهى بذلك حكم المسلمين في أوروبا، كما يؤرِّخ العالم الغربي لبداية الاكتشافات الجغرافية وانطلاق النهضة الأوروبيَّة؛ فحرى بالعالم الإسلامي أن يعتبر سنة ١٤٩٢ م بداية لاستعمار الدول الإسلامية ودخولها في دوامة الغزو الصليبي وتدمير مقوماتها ومقدساتها.

غزا الإسبان مرسى وهران سنة ١٥٠٥ هـ/١٩١١ م، ودخلوا وهران سنة ١٥٠٩ هـ/١٩١٥ م، لم يكن للغزاة أن يدخلوها لولا غدر يهودي ذمي يُدعى «سطورا»، كان يشتغل قابض مكns، ففتح الباب للإسبان، على حين غفلة من المسلمين بمعية عيسى العربي وابن قائص،

<sup>١</sup> آغا بن عودة المزاري، «طلع سعد السعوض في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ١٩٩٠ م، ص ٢٠٨.

وقد أسفـر الغزو عن مقتل ٤ آلاف مسلم وأسر ٨ آلاف، وإنقاذ ٣٠٠ أسير مسيحي.<sup>٢</sup>  
وما استطاعت يومها السلطة الزيانية فعل شيء لرد العدون.  
بعدها بسنة واحدة، أي سنة ١٥١٠م، غزا فرناندو مدينة الجزائر، يقول مفدي  
زكريـا:

أوغر قلب الصليب الحقود  
علـنا، وأمعنـ فيـنا الحـسـود  
وطافت بوهران جـيـطـانـ عـدـراـ  
وزـيانـ ماـ اـسـطـاعـ حـشـدـ الجنـودـ

في سنة ١٥١٦م وفي ظل الهجمة الإسبانية المسيحية، استنجد سالم بن تومي بالسلطة التركية، حـسـبـ غالـبـ الروـاـيـاتـ، فـلـبـيـ لـنـدـائـهـ الأـخـوـانـ «ـعـرـوجـ» وـ«ـخـيرـ الدـينـ» واستطاعـ رـدـ الغـزوـ الإـسـبـانـيـ عنـ الجـازـيـرـ. قـتـلـ عـرـوجـ — رـحـمـهـ اللهـ — فيـ مـعرـكـةـ سـقوـطـ تـلـمـسـانـ سـنةـ ١٥١٨ـمـ ضدـ الإـسـبـانـ فيـ السـنـةـ التـيـ تـوـقـيـ فـيـهاـ السـلـطـانـ أبوـ حـمـوـ الثالثـ، فـاستـنـجـدـ خـيرـ الدـينـ بـالـسـلـطـانـ سـلـيـمانـ العـثـمـانـيـ فـأـمـدـهـ بـأـسـطـولـ بـحـرـيـ. فيـ سـنةـ ١٥١٩ـهـ/٩٢٦ـمـ حـرـرـ خـيرـ الدـينـ الجـازـيـرـ منـ الإـسـبـانـ. عـدـ الأـسـطـولـ الجـازـيـريـ إـلـىـ مـواجهـةـ «ـشـرـلـكـانـ» سـنةـ ١٥٤١ـمـ فيـ عـرـضـ الـبـحـرـ، مـُنـيـ عـلـىـ إـثـرـهـ الإـسـبـانـ بـخـسـارـةـ قـدـرـتـ بـ ١٢ـ أـلـفـاـ مـنـ الـجـنـدـ وإـتـلـافـ ١٥٠ـ سـفـينـةـ.

ولـلـعـلـعـ فـيـ بـرـبـروـسـ نـدـاهـاـ  
فـثـارـ ...ـ وـأـقـسـمـ أـنـ لاـ يـعـودـ

## (٢) العثمانيون في الجزائر: نظام الحكم ورد العدون الإسباني

قبل دخـولـ العـثـمـانـيـنـ، حـكـمـ الجـازـيـرـ الشـيـخـ العـالـمـ الجـلـيلـ سـيـديـ عبدـ الرـحـمـنـ الثـعالـبـيـ،<sup>٣</sup>  
فـلـماـ تـوـقـيـ تـوـقـيـ الحـكـمـ منـ بـعـدـ سـالـمـ التـوـمـيـ، وـانتـقلـتـ الرـئـاسـةـ منـ الثـعالـبـةـ إـلـىـ بـنـيـ سـالـمـ.

<sup>٢</sup> عـمـارـ بـوـحـوشـ، «ـالتـارـيخـ السـيـاسـيـ لـلـجـازـيـرـ مـنـ الـبـداـيـةـ وـلـغـاـيـةـ ١٩٦٢ـمـ»، دـارـ الغـربـ الإـسـلـامـيـ، الطـبـعةـ الأولىـ، بـيـرـوتـ، ١٩٩٧ـمـ، صـ ٤٧ـ.

<sup>٣</sup> فـخـرـ عـلـمـاءـ الـجـازـيـرـ الـإـلـمـاـنـ أـبـوـ زـيـدـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بنـ مـخـلـوفـ الثـعالـبـيـ، نـسـبةـ إـلـىـ عـبـدـ اللهـ بنـ جـعـفـرـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ، وـلـدـ سـنـةـ ٧٨٥ـهـ بـوـاديـ «ـيـسـرـ»، وـهـوـ مـوـطنـ آبـائـهـ وـأـجـادـهـ الثـعالـبـةـ أـبـنـاءـ ثـلـبـ بنـ عـلـيـ مـنـ عـرـبـ المـقـلـ، تـوـقـيـ يومـ ٢٣ـ رـمـضـانـ سـنـةـ ٨٧٥ـهـ/١٤٧٠ـمـ (عنـ كـتـابـ عـبـدـ الرـحـمـنـ الثـعالـبـيـ، «ـغـنـيـةـ الـوـافـدـ وـبـغـيـةـ الـطـالـبـ الـمـاجـدـ»، تـحـقـيقـ مـحـمـدـ شـاـبـ شـرـيفـ، دـارـ اـبـنـ حـزـمـ، الطـبـعةـ الأولىـ، بـيـرـوتـ، ٢٠٠٥ـمـ، صـ ٥٦ـ).

## التدخل الأجنبي في الجزائر

انتزع العثمانيون السلطة من الجزائريين، وكان «الريّاس» أول طبقة حاكمة للجزائر في العهد العثماني.

يليهم «اليولداش» وهم طبقة الجيش البري، ينحدر معظمهم من أصل تركي، ومنهم تتشكل الفرق الإنكشارية.

### (١-٢) فترات الحكم العثماني

مر الحكم العثماني بالجزائر بأربع فترات:  
عصر البايلربايات (أمير الأمراء) ١٥١٤-١٥٨٧ م، وعصر الباشوات ١٥٨٧-١٦٥٩ م،  
وعصر الأغوات ١٦٥٩-١٦٧١ م، وانتهى بعصر الديايات ١٦٧١-١٨٣٠ م.

### (٢-٢) التقسيم الإداري للجزائر

دار السلطان: الجزائر العاصمة وضواحيها ومقر الداي.

بايلك الشرق: المقاطعة الشرقية للجزائر وعاصمتها قسنطينة.

بايلك الغرب: المقاطعة الغربية وعاصمتها وهران — بعد إجلاء الإسبان عنها سنة ١٧٩٢ م.

بايلك التيطري: وعاصمتها المدية.

انتقل خير الدين من مجرد «رایس» بحر تركي إلى رئيس دولة جزائرية، أوصلها القهرُ  
الخارجيُّ والفرقُّة الداخليةُ ودورةُ الزمان من صفة الدولة الرائدة صاحبة السيادة إلى  
دولة مرتبطة بالإمبراطورية العثمانية.

وللدين خيرُ يصون حماه  
قراصنة البحر عاثوا فسادا  
وخاص الأمazigh ساح الفدا  
وآزرنا الترك حتى انتصرنا  
وأسطولنا في البحار يُسود  
فأدَّب ليث البحار القرود  
تُباركهم صلوات الجُدد  
ولم يخفر الترك ماضي العهُود

وقد أحسن شاعر الثورة إذ أضاف:

وَقَمْنَا نَسُوسَ الْبَلَادِ بِعَدْلٍ  
وَلَمْ نَكُنْ لِلتَّرَكِ بِالْتَّابِعِينَ  
وَنَحْنُ أَنَاسٌ نَعْدُ الْجَمِيلَ  
وَنَرْعَى ذَمَامَ الصَّدِيقِ الْوَدُودِ

لم يستمر الأتراك كثيراً في مهام الدفاع عن الجزائر؛ لقد استغلت السطوة على البحر الأبيض المتوسط للقيام بأعمالٍ وُصفت بالقرصنة، كان الغرض منها الحصول على موارد تموين الخزينة العثمانية خارج مجال الأتاوى المعهودة. غَدَت هذه الأعمال شعور الانتقام من الحكم التركي لدى العديد من دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

### (٣) الأطماع الفرنسية في الجزائر

كان بادياً أنَّ علاقة فرنسا بالجزائر وديةٌ على أبعد الحدود، لكن الواقع التاريخي أثبت أنَّ هذه العلاقة كانت تخفي وراءها نية القضاء على الحكم العثماني في الجزائر واحتلالها منذ ١٢٧٠ م في عهد الملك لويس التاسع. حظيت فرنسا بامتيازات تجارية ودبلوماسية، كان أهمها الترخيص لفرنسا، سنة ١٧٩٤ م، بالتمويل من ميناء الجزائر عندما صُدِّت أبواب الأسواق التجارية أمامها.

جاءت فرنسا ... فكنا كراما      وكنا الألى يطعمون الطعام

رغم اعتراف الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة المنبثقة عن الثورة الفرنسية، إلا أنَّ ذلك لم يمنعها من التفكير في مشروعها «الحضاري» المتمثل في الاستعمار. يشير الأستاذ مولود قاسم – رحمه الله – إلى رسالة نابليون بونابرت التي بعث بها إلى وزير «ديكرييس» يوم ١٨٠٨ م يقول فيها: «فَكُرُوا فِي إِعْدَادٍ غَزْوَةٍ لِلْجَزَائِرِ، وَذَلِكَ عَلَى كُلِّ الْمُسْتَوَىَيْنِ؛ الْبَحْرِيِّ وَالْبَرِّيِّ».٤

٤ مولود قاسم نايت بلقاسم، «شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة ١٨٣٠»، دار الأمة، الجزء الثاني، الجزائر، ٢٠٠٧ م، ص ٣٠.

كَلَفْ نابليون «بوتان» لإعداد خطة هجوم على الجزائر من سيدى فرج في يوليو ١٨٠٨ م.

أبوتانُ ... هل سيدى فرج وإن طال ليل ... أقرَّ النظام؟

في بداية الأمر كان دفع المقابل المالي لأي معاملة تجارية يُسَدِّد من الحكومة الفرنسية إلى الجزائر بصفة مباشرة، فلجأت فرنسا إلى اعتماد وساطةٍ ماليةٍ يقوم بها ميشيل بكري كوهين المعروف بابن زاهوت، ونافتالي بوشناق المعروف ببوجناح، وهما تاجران يهوديان قدما من إيطاليا سنة ١٧٧٠ م واستقراً بالجزائر، يعود لهما أمر الوهن الذي أصاب الاقتصاد الجزائري، والقيود السياسية التي أُدِّت إلى حصار الجزائر والحملة عليها واحتلالها.

أورد الأستاذ عبد الله شريط في كتابه<sup>٥</sup> «لحمدان خوجة»، يروي فيه قصة ثراء بوشناق حينما طلب منه الباي حلية كريمة تُعرف بالصريمة، فاشترتها منه بـ ٣٠٠ ألف فرنك ودفع مقابلها ٧٥ ألف كيلة من القمح، ثم باع بوشناق القمح في فرنسا، وقد كان محتكراً لتجارته فربح ٣ ملايين و٤٥٠ ألف فرنك. ورحم الله صاحب الإلإيادة حين يقول:

وكم تُبِطِّر الصدقات اللثاما فباع ضمير اليهود الذماما وما كان بوشناق إلا ابن آوى	فأبطرهم قمُحنا الذهبي وباعت فرنسا ضمير اليهود وما كان بوخريص إلا طُغاما
--	---

بلغ نفوذ اليهوديّين مبلغ القدرة في توجيه سياسات الجزائر واقتصادها، وكان لهما الباع الطويل في تعين موظفي الدولة الساميين، وعقد الاتفاقيات مع الخارج والتفاوض مع الدول الأجنبية.

كان التحضير للانتقام من بوشناق عاملًا مشتركًا بين العديد من الجزائريين والأتراك؛ حيث قام أحد الجنود الإنكشاريين سنة ١٨٠٥ م باغتياله. ثارت نعرة اليهود لقتله، ويرجح أن يكون مقتل الباشا مصطفى في تلك السنة في سياق الانتقام.

<sup>٥</sup> أبو القاسم سعد الله، «محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث: بداية الاحتلال»، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، الجزائر، ١٩٨٢ م، ص ١٥.

في زمن تجاذب المصالح والنزاعات الحاصلة عن دفع الديون وتهديدات الحرب البحرية واكتشاف الداي حسين لخدمة إيقاع الجزائر التي نسج خيوطها القنصل الفرنسي بالجزائر دوفال مع شركة يهودية، وقعت في يوم عيد الأضحى المصادف ٢٩ أبريل ١٨٢٧ م حادثة المروحة المشهورة؛ فقد حضر كالعادة القنصل الأجانب، ومن بينهم دوفال، لتهنئة البasha حسين، ودار حديث بين البasha والقنصل الفرنسي حول رد فرنسا على طلبه المتعلّق بدفع الديون، فكان رد القنصل غامضًا، ولعله كان مهينًا للبasha ... وأمره بالخروج، وعندما لم يتحرك ضربه بالمروحة التي كانت بيده.<sup>٦</sup>

ومروحة الدّاي لم تُكِ إلا كما يستبيح اللصوص الحراما

أعلن التحالفُ المسيحيُّ للحرب على الجزائر في يوم ١٦ يونيو ١٨٢٧ م، وجهزت فرنسا وإنجلترا وروسيا عدّتها وعددتها لخوض المعركة النهائية ضدّ الجزائر، فوّقعت معركة نافارين الشهيرة يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ م التي تحطّم فيها الأسطول الجزائري تحطّمًا كليًّا، ثم ضُرب الحصار البحري على الجزائر.

قرَّ مجلس الوزراء الفرنسي في ٣٠ يناير ١٨٣٠ م القيام بحملة على الجزائر، وفي ٧ فبراير ١٨٣٠ م أقرَّ الملك شارل العاشر مشروع الحملة، وعيَّن الكونت دي بورمون قائدًا لها، والأميرال دوبيري قائداً للأسطول البحري.

وخرَّب شارل المريض فرنسا  
وضاق الفرنسيس بالعاطلين  
وأوحى له قمحنا غزونا  
وصبَّ النفايات في أرضنا

نزلت القوات الفرنسية المحتلة أرض الجزائر عبر سidi فرج في ١٤ يونيو ١٨٣٠ م، ونصب القائد العام الفرنسي دي بورمون مقْرَّ قيادته في زاوية سidi فرج.

استنفر البai إبراهيم جنوده لمقاومة القوات الغازية، غير أنه انهزم في معركة إسطاوي في ١٩ يونيو ١٨٣٠ م. لم يكن الوضع يدعو للطمأنينة؛ فبعد تمرُّز الفرنسيين

<sup>٦</sup> أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص ٢٤.

بساحل سيدي فرج وفشل محاولات الجزائريين لرد العدوان، أصدرت القوات الفرنسية الغازية بياناً للسكان الجزائريين تدعوهم فيه للتعاون مع الفرنسيين للتخلص من «جور الأتراك».<sup>٧</sup>

لم يكن أمام البشا حسين إلا التوقيع على معاهدة الاستسلام في ٥ يوليو ١٨٣٠ م مع شارل العاشر، والتي أمضها نيابة عنه الجنرال دي بورمون.<sup>٨</sup> تضمنت المعاهدة البنود التالية:

- تسلّم قلعة القصبة وكل القلاع الأخرى المتصلة بالمدينة وميناء هذه المدينة (الجزائر) إلى الجيش الفرنسي هذا الصباح على الساعة العاشرة صباحاً.
- يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي أمام سعادة باشا الجزائر أن يترك له الحرية وكل ثرواته الشخصية.
- سيكون البشا حِرّاً في أن يذهب، هو وأسرته وثرواته الخاصة، إلى المكان الذي يقع عليه اختياره. فإذا فضل البقاء في الجزائر فله ذلك هو وأسرته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي، وسيعين له حرساً لضمان أمنه الشخصي وأمن أسرته.
- يتعهد القائد العام لكل الجنود الإنكشاريين بنفس المعاملة ونفس الحماية.
- سيظل العمل بالدين الإسلامي حِرّاً، كما أن حرية السكان مهما كانت طبقتهم ودينهن وأملاكهن وتجارتهم وصناعتهم لا يلحقها أي ضرر. وستكون نساؤهن محل احترام، ويلتزم القائد العام على ذلك بشرفه.
- وسيتم تبادل وثائق هذا الاتفاق في الساعة العاشرة هذا الصباح، وسيدخل الجيش الفرنسي حالاً بعد ذلك إلى القصبة، ثم يدخل كل القلاع التي حول المدينة كما يدخل الميناء.

(توقيع الكونت دي بورمون، وختم حسين باشا داي الجزائر).<sup>٩</sup>

<sup>٧</sup> ملحق رقم ٤، ص ١٥٥.

<sup>٨</sup> مولود قاسم نايت بلقاسم، «شخصية الجزائر الدولية وهيبيتها العالمية قبل سنة ١٨٣٠»، دار الأمة، الجزء الثاني، الجزائر، ٢٠٠٧ م، ص ٢٤٤.

<sup>٩</sup> أبو القاسم سعد الله، «محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث: بداية الاحتلال»، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، الجزائر، ١٩٨٢ م، ص ٤٦، عن كتاب «المراة» لحمدان خوجة.

نصَّب دي بورمون أول مجلس بلدي (كان مقره ما يُصطلح عليه «قصر خداوج العمياء»)، ترأَّس المجلس أحمد بودربة، وضم كلاً من حمدان خوجة وعدد من الأعضاء المسلمين واليهود، وأبرق دي بورمون تقريرًا حول الاجتياح مذكًّراً بإخفاق القوات الإسبانية والبريطانية والهولندية والدنماركية والأمريكية في دخول الجزائر فيما سبق.<sup>١٠</sup> نُقل الداي حسين باشا بتاريخ ١٠ يوليو ١٨٣٠ م إلى مدينة نابولي الإيطالية، ثم التحق بفرنسا، وأخيرًا توجَّه إلى الإسكندرية حيث أقام بها حتى يوم وافته المنية ودُفن بها سنة ١٨٣٤ م.<sup>١١</sup>

---

<sup>١٠</sup> انظر الملحق رقم ٧، ص ١٥٩.

<sup>١١</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ١٠٠.

## الفصل الثاني

# الانتفاضة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي

لم تكن تلك الجيوش الجرارة من الفرنسيين الغزاة حجّاً للجزائريين في الاستسلام الكامل لفرنسا. ما فتئت القوات الفرنسية الاستعمارية تستقر في العاصمة حتى بدأ التفكير في المقاومة. لم يكن لنضال حمدان خوجة السياسي أن يرقى لمستوى تحدي دولة استعمارية؛ فلقد بات مؤكداً لدى الجزائريين أن استرجاع السيادة الوطنية لا بد أن تُعبأً لها التضحيات بالنفس والنفيس.

كان للداعي الديني دور إيجابي في إيقاظ همة الثورة لدى زعماء ومريدي الطرق الدينية المختلفة بالجزائر التي استطاعت أن تُشكّل هاجساً لفرنسا وكابوساً نَفَصَ عليها استقرارها. تزَّعم الثورة في بداية الاستعمار عدد من هؤلاء الزعماء من بينهم بن زعمن، وال حاج سيدى السعدي، وال حاج محيى الدين بن المبارك، والأمير عبد القادر.

لم تكن استكانة الطبقة الحاكمة العثمانية في صد العدوان واستسلامها، عاملاً مشتركاً بين جميع الحكماء من الأصل التركي؛ بل عمد بعض البايات والقادة الذين عملوا بالإدارة العثمانية إلى تزَّعم الثورة ضد الفرنسيين بعد استسلام الداي حسين وتسلیمه العاصمة الجزائرية، نذكر منهم باي التيطري مصطفى بومرزاق، وإبراهيم باي قسنطينة السابق، وال حاج أحمد باي قسنطينة.

وفي ردّها على ثورة الجزائريين، أرادت فرنسا، أن تبلغ رسالة لكل الشعب الجزائري من خلال إقدامها على إصدار حكم بالإعدام في حق كلٍّ من مسعود بن عبد الواد، والعرببي بن موسى في فبراير ١٨٣٣ م في عهد الدوق دي روفيفو، ونُفذ في نفس التاريخ، وكان هذا أول حكم بالإعدام في تاريخ الجزائر.

تعالت أصوات غربية وشرقية تندد بتدور حقوق الإنسان في الجزائر، أوفد على إثرها لويس فيليب ملك فرنسا في 7 يوليو ١٨٣٣ م لجنة لتقسيم الحقائق، وإعداد تقرير حول الوضع العام في الجزائر، كانت نتيجة اللجنة أن سكان الجزائر «ينعمون بما تقدمه حضارة فرنسا» وأنَّ الوضع مستقر. اقترح تعيين حاكم عام للجزائر، والسماح لكل الجنسيات بدخول الجزائر والاستقرار فيها، وخرجت بتوصية الحفاظ على الجزائر كمتلكة فرنسية في أفريقيا. عند احتلالها للجزائر، قامت كذلك السلطة الاستعمارية «القائمة على مبادئ الإخاء والمساواة وحقوق الإنسان» على نهب أوقاف الحرمين الشريفين – مكة والمدينة – في الجزائر. أُحصت فرنسا سنة ١٨٣٧ م في العاصمة وحدها ١٢٢٥٠٣ فرنكًا قيمةً لتلك الأوقاف.

### (١) الأمير عبد القادر يؤسس للدولة الجزائرية

بناءً على كِبَر سنِه وعدم قدرته الصحية، اعتذر الشيخ محبي الدين بن مصطفى؛ لعدم استطاعته تلبية نداء السكان لقيادة المقاومة ضد فرنسا. واقتراح عليهم تقديم ابنه عبد القادر للمبايعة. قبلَ الجزائريون اقتراح محبي الدين، فباعيوا الأمير عبد القادر يوم ٣ رجب ١٢٤٨ هـ / ٢٧ نوفمبر ١٨٣٢ م.

يقول مفدي زكريا في الإلإياذة:

فطال عملها الأنجمـا	معسـكر فـجر عزم الشـباب
فـكان بها القـائد الملـهما	وـبـويع شـاعرها الـهاشـمي
فيـقطـر ذـاك وـهـذا ... دـما	يـصـوغ النـظـام ويـبرـيـ الحـسـامـ

فقام الشاب المعروف بتدينه وشاعريته وقوَّته بالعمل على تأسيس دولة جزائرية عصرية. نظمَ الجيش وأسسَ الديوان، وأقامَ نظامَ الشورى. أقامَ النظام الإداري على تقسيمَ الجزائر إلى مناطق، تنقسم إلى دوائر، وكل دائرة يرأسها «أغا»، وكل دائرة إلى وحدة يحكمها «قайд» مستعيناً بشيخ القبائل.

وكـان النـضـال طـويـلا عـسـيرا	أـيا عـبد قـادـر ... كـنت الـقـدـيرا
وـنـاجـاك رـبـ، فـكان النـصـيرا	شـرـعـت الـجـهـاد، فـلـبـاك شـعـبـ

ونظمَت جيًّساً، وسُسْتَ بلاًداً  
فكنتُ الأميرُ الخبيرُ الخطيرًا  
وألهبتُ في القابعين الحناءِ  
وأيقظتُ في الخانعين الضميراَ

لم تمض ثلاثة أشهر على مبايعة الأمير حتى بدأ شتات القبائل المناهضة لدولة الأمير والمناصرة لفرنسا يلتـفـ، فـما كان من الأمير إلا أن قرر صد عدوـانـها وردـها إلى رـشـدهـا بالـهـجـومـ علىـ مـعـاـقـلـ الـقـوـاتـ الفـرـنـسـيـةـ بتاريخ ٤ فـبـرـاـيـرـ ١٨٣٣ـ مـ. اـضـطـرـرـ الجنـرـالـ «ـديـمـيشـيلـ»ـ أنـ يـبرـمـ مـعـاهـدـةـ معـ الأمـيرـ عبدـ القـادـرـ فيـ ٢٦ـ فـبـرـاـيـرـ منـ سـنـةـ ١٨٣٢ـ مـ وـالتـزـمـ فيهاـ الـطـرفـانـ بماـ يـليـ:

- يـعـيـنـ الأمـيرـ عبدـ القـادـرـ وكـلـاءـ لهـ فيـ مـدـنـ مـسـتـغـانـمـ وـوهـرـانـ وأـرـزيـوـ كـمـاـ تعـيـنـ فـرـنـسـاـ وـكـيـلاـ لـهـ فيـ مـعـسـكـرـ.
- اـحـتـرـامـ الـدـيـانـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ.
- التـزـامـ الـفـرـيقـيـنـ بـرـدـ الأـسـرـىـ.
- إـعـطـاءـ الـحـرـيـةـ الـكـامـلـةـ لـلـتـجـارـةـ.
- التـزـامـ كـلـ طـرـفـ بـإـرـجـاعـ كـلـ مـنـ يـفـرـ إلىـ الـطـرـفـ الـآـخـرـ.
- لاـ يـسـمـحـ لـأـيـ أـورـوبـيـ أنـ يـسـافـرـ دـاـخـلـ الـبـلـادـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ يـحـلـ رـخـصـةـ منـ وـكـلـاءـ الأمـيرـ وـمـوـافـقـةـ الجنـرـالـ الفـرـنـسـيـ.

لم تلتزم فـرـنـسـاـ بـالـتـزـامـاتـهاـ،ـ فـماـ كـانـ منـ الأمـيرـ عبدـ القـادـرـ إـلـاـ أـنـ يـعلنـ الـحـربـ مـرـةـ أـخـرىـ وـيـسـتـنـفـرـ الـجـيـشـ يـوـمـ ٢٦ـ يـولـيوـ ١٨٣٥ـ مـ بـمـعـرـكـةـ «ـالمـقـطـعـ»ـ الـتـيـ اـنـتـصـرـ فـيـهاـ وـانـهـزـمـ فـيـهاـ الجنـرـالـ «ـتـرـيزـلـ»ـ مـنـسـحـبـاـ إـلـىـ أـرـزيـوـ.ـ فـيـ شـهـرـ دـيـسـمـبـرـ مـنـ نـفـسـ السـنـةـ،ـ أـغـارـ المـارـيـشـالـ «ـكـلـوزـيـلـ»ـ عـلـىـ الـمـنـطـقـةـ الـتـيـ عـسـكـرـ بـهـ جـيـشـ الأمـيرـ فـانـسـحـبـ مـنـهاـ الـجـيـشـ الـجـازـائـريـ لـيـعـيدـ حـسـابـاتـهـ وـيـنـظـمـ صـفـوفـهـ لـلـمـعـارـكـ الـقادـمةـ.

فيـ ١٨٣٦ـ مـ تـمـكـنـ جـيـشـ الأمـيرـ مـنـ إـلـحـاقـ هـزـيمـةـ كـبـرىـ بـفـرـنـسـاـ فـيـ مـعـرـكـةـ «ـالتـافـنةـ»ـ الشـهـيرـةـ.ـ بـدـأـ الـجـيـشـ يـسـتـنـفـدـ طـاقـاتـهـ الـعـسـكـرـيـةـ فـيـ ظـلـ إـمـداـدـاتـ الـتـيـ كـانـتـ تـصلـ إـلـىـ الـجـيـشـ الـفـرـنـسـيـةـ،ـ وـخـيـانـةـ بـعـضـ الـقـبـائـلـ الـتـيـ أـضـحـىـ شـغـلـهـ الـوـحـيدـ قـطـعـ الـمـدـ عنـ الـجـيـشـ وـتـثـيـطـ مـعـنـويـاتـ السـكـانـ فـيـ مـحاـوـلـاتـ الـالـتـحـاقـ بـجـيـشـ الأمـيرـ.

<sup>١</sup> عـمـارـ بـوـحـوشـ،ـ «ـالتـارـيـخـ السـيـاسـيـ لـلـجـازـائـرـ مـنـ الـبـداـيـةـ وـلـغاـيـةـ ١٩٦٢ـ»ـ،ـ دـارـ الغـربـ إـلـاسـلـامـيـ،ـ الطـبـعةـ الأولىـ،ـ بـيـرـوـتـ،ـ ١٩٩٧ـ مـ،ـ صـ ١١١ـ.

ولله در شاعر الثورة حين يقول متفاخراً بالأمير عبد القادر:

وَجَرَعْتَ بِيَجُو الْعَذَابَ الْمَرِيرَا  
وَتَجَزَّى السَّرَايَا، وَتَبَنَّى الْمَصِيرَا  
فَكُنْتَ الضَّلِيلَ وَكَانُوا الْحَمِيرَا  
فَلَمْ تُكْ غَمْرًا صَبِيًّا غَرِيرَا  
وَكُنْتَ بِمَا يَضْمُرُونَ بَصِيرَا  
وَمَا خَسْتَ مَذْخُوفُكَ أَسِيرَا  
وَحَمَلْتَ مَارِيَانَ مَا لَا تُطِيقُ  
ثَمَانَ وَعَشْرًا تَخْوُضُ الْمَنَيَا  
وَتَدْمُغُ بِالْعِلْمِ مَنْ جَادَلُوكَ  
وَكُمْ رَامَ إِغْرَاءَكَ الْعَابِثُونَ  
وَكُمْ عَاهَدُوكَ وَكُمْ أَخْلَفُوا  
وَعَبَّدْتَ لِلنَّاسِ دَرَبَ الْفَدَا

ضاقت السبل بالأمير، ولم يكن أمام الأمير سوى قبول معاهدة التافنة في ٢٠ مايو ١٨٣٧م في ضوء معطيات خطيرة كانت تشير إلى إبادة جماعية لكل من يقف في وجه فرنسا. نصّت المعاهدة بين الجنرال «بيجو» قائد القوات الفرنسية وبين الأمير عبد القادر على أحقيّة الحكم الذاتي لـكلّ من فرنسا والأمير على الأقاليم الجزائريّة، وممارسة الدين الإسلامي في أقاليم السيادة الفرنسيّة، والضرائب الواجب تسديدها على الأمير، وتنظيم عمليات اقتناص الأمير للبارود والكربـيت من فرنسا، وممتلكات وتنقلات «الكول أوغلي»، وحرية التجارة بين فرنسا والجزائر، والتبادلـات التجاريـة ...

وتم تعديلها بموجب اتفاقية مؤرخة في ٤ يولـيو ١٨٣٨م.<sup>٢</sup> نظـرـاً لنـكـثـ العـهـودـ التي عـرـفتـ بها فـرـنـسـاـ، أـعـلـنـ الأـمـيرـ عبدـ القـادـرـ الحـرـبـ مـجـدـاـ عـلـىـ فـرـنـسـاـ فيـ ١٩ـ نـوـفـمـبرـ ١٨٣٩ـ مـ؛ـ حـيـثـ قـامـ جـيـشـ الـجـازـائـريـ بـهـجـمـاتـ مـخـلـفـةـ مـنـظـمـةـ عـلـىـ إـقـامـةـ الـجـيـوشـ الـفـرـنـسـيـةـ فـيـ مـنـاطـقـ وـادـيـ عـلـىـ بـالـمـتـيـةـ وـقـتـلـواـ جـمـيعـ مـنـ فـيـهـ (١٠٨ـ جـنـودـ وـضـبـاطـ).<sup>٣</sup> أـعـلـنـ قـائـدـ الـجـيـشـ الـفـرـنـسـيـ «ـبـيـجوـ»ـ خـوـضـ حـرـبـ الإـبـادـةـ ضـدـ الـجـازـائـريـنـ.ـ وـنـظـرـاـ لـعـنـ الـمـواـجهـةـ وـقـساـوةـ الـحـصارـ،ـ التـجـأـ الـأـمـيرـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ الـأـقـصـىـ فـيـ أـكـتوـبـرـ ١٨٤٣ـ مـ،ـ لـكـنـهـ فـوـجـيـ بـتـسـلـيمـهـ سـجـيـنـاـ مـنـ قـبـلـ سـلـطـانـ الـمـغـرـبـ مـوـلـايـ عـبـدـ الرـحـمـنـ إـلـىـ الـقـوـاتـ الـفـرـنـسـيـةـ،ـ وـفـرـضـ عـلـيـهـ قـبـولـ شـرـوطـ «ـلـامـوريـسيـيرـ»ـ سـنـةـ ١٨٤٧ـ مـ.

<sup>٢</sup> ملحق رقم ٦ ص ١٥٧-١٥٨.

<sup>٣</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١١٤.

سُجن الأمير لمدة خمس سنوات بسجن «أمبواز» في فرنسا، ثم أطلق سراحه واستقر بدمشق إلى أن تُوفي — رحمة الله — يوم ٢٤ مايو ١٨٨٣م ودُفن بها. عند استقلال الجزائر، نُقل جثمانه بقرار من السيد رئيس الجمهورية الراحل هواري بومدين — رحمة الله — إلى مقبرة العالية يوم ٥ يوليو ١٩٦٦م.<sup>٤</sup>

من أفح المجازر البشرية التي وقعت آنذاك في حق الشعب الجزائري مجررة غار الظهرة بتاريخ ١٩ / ٦ / ١٨٤٥م، على بُعد ٨٠ كم من مدينة مستغانم؛ حيث أُبْدِيَ أكثر من ألفٍ ومائتين من السكان الجزائريين اختناقًا بدخان الحرق على يد الكولونيل السفاح بيليسي بأمرٍ من المارشال Bugeaud، عندما احتمى السكان بهذه المغارة، ولم تُكتشف هذه المغارة إلا في ١٩ / ٦ / ٢٠١١م من قِبَل فريق بحثٍ أكاديمي من جامعة مستغانم.

## (٢) المقاومة الشعبية تخلط الحسابات الاستعمارية

### (١-٢) ثورة الحاج أحمد باي

تَزَعَّمَ أحمد باي قيادة قسنطينة، واستطاع جمع شتات الجزائريين على كلمة واحدة تقضي بالثبات وصد العدوان الفرنسي. لقي دعماً من أهالي قسنطينة رغم أنه كوروغليا وحاكم في الحقبة العثمانية. حَقَّقت الثورة الشعبية في الإقليم القسنطيني انتصاراً في سيدي مبروك على الجيش الفرنسي سنة ١٨٣٦م، فجهَّزَت القوات الاستعمارية حملة عسكرية لإخضاع أحمد باي في ١ أكتوبر ١٨٣٧م بقيادة الجنرال «دامريمون» ورئيس الأركان «بيريكو».

لم تكن معركة قسنطينة سهلة المثال بالنسبة للجيش الفرنسي؛ فقد تمكَّن الجيش الجزائري من القضاء على الجنرالين المذكورين، وعدد من ضباط وجنود الرتل الفرنسي، استعمل فيه أحمد باي المدفعية المتطورة، ولو لا خيانة فرحات بن سعيد، حسب تقدير العديد من المؤرخين، لما سقطت قسنطينة في يد فرنسا، ولما أجبر أحمد باي للانسحاب إلى الصحراء.

<sup>٤</sup> عمار بوحوش، مرجع سابق، ص ١١٥. انظر الملحق رقم ٥، ص ١٥٦.

غزا لاموريسيير أحمد باشا  
وثرنا نقاوم: بيتاً فبيتاً  
ولولا تخاذل بعض الكسالى الرّ  
فقمنا بسيرتا نصون الحمى  
وشبراً فشبراً ونُسبِي الدّمى  
عاديد لم نُفلت المجرما

أمضى الحاج أحمد باي عشر سنوات في ترحال دائم إلى أن استسلم للقوات الفرنسية في ٥ يونيو ١٨٤٨ م، توفي — رحمه الله — بالجزائر العاصمة سنة ١٨٥٠ م، ودُفن بزاوية سيدى عبد الرحمن.

للتمكّن من التقرُّب من الأهالي وتتبع كل حركاتهم أقبلت فرنسا على إنشاء «المكاتب العربية» في محاولة منها لـ جسرٍ يربط الجزائريين بالفرنسيين ويكسب مودة رؤساء العشائر والقبائل. ظاهر المشروع أن تقيم فرنسا جهازاً إدارياً يسمح بالترجمة، إلا أنَّ حقيقة الأمر هو مد استعماري في كامل الأوساط الشعبية.

أَسَّسَ المكاتب العربية النقيب «لاموريسيير» سنة ١٨٣٣ م، ثم طُورَها بيجو Bugeaud سنة ١٨٤٤ م.<sup>٥</sup> أُعطيت لهذه المكاتب سلطة التسيير المحلي وجمع الضرائب، وإحصاء السكان والأراضي، وجمع البيانات ذات الطابع الأمني والإشراف على تنفيذ الأحكام القضائية. تفاقم الوضع الأمني والاجتماعي جراء توافق المعمرين، وسيطرة الجيش الفرنسي على السكان، واعتقال وتصفية كل رافض للوضع الاستعماري، وظهرت ثورات شعبية أخرى في نواحٍ مختلفة من الجزائر، نوردها باختصار:

## (٢-٢) ثورة أولاد سيدى الشيخ

قام بها الأعلى بن بوبكر بن حمزة:

بنو سيدى الشيخ قادوا النضالا  
سليمان حمزة آلى يمينا  
سلوا بوبيريت العقيد المسجى  
فهزوا الشرى وأذابوا الجبالا  
فبرَّ وأصلى المغير الوبالا  
وحمزة يغرس فيه النبالا

<sup>٥</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ١٢٩.

## الانتفاضة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي

ويستل من صدره روحه      بيمناه يبكي عليه الثكالي  
ووهران تصرخ فيها الدماء      بساح الفدا تستفرز الرجالـ

قاد سليمان بن حمزة معركة ضد جيش العقيد بوبريت Beauprêtre، فهزمه ويروى أن القائد حمزة هو من قتله بنفسه.

## (٣-٢) ثورة محمد بن تومي شوشة

مؤسس حركة التوارق بالصحراء، تعاون مع ثورة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب، في ٥ مارس ١٨٧١ م هاجم حامية ورقلة فهزمهما، وعيّن عليها بن ناصر بن شهرة. في ١٣ مايو ١٨٧١ م هاجم توهرت، وانتصر على قوات الاحتلال بها. اعتُقل في معركة مارس ١٨٤٧ م، حُكم وصدر في حقه حُكْم بالإعدام ونُفذ فيه — رحمة الله — بتاريخ ٢٩ يونيو ١٨٧٥ م بقسنطينة.

وصحراؤنا وابن شهرة فيها      يهيل على الغاصبين الرمالـ  
وحيش أبي شوشة المستimit      بصحرائنا ينسف الإحتلاـ

## (٤-٢) ثورة الزعاطشة

بقيادة عبد الرحمن بن زيان سنة ١٨٤٦ م بمنطقة بسكرة.

فهبَ لنصرتهم كل ثائرـ      وهبَ الزعاطشة الثائرونـ  
فمات الشهيد فداء الجزائرـ      تحذَّى ابن زيان سخف اللئامـ  
ويحني جيئناً أمام الصرافـ؟      وهل يُخِفِّض ابن الجزائر هاماـ  
وصدق ندانا أمام المجازـ      لتشهدْ بسكرة إصرارناـ  
وتَحْكِ الرمال صمود القساورـ      وتَرُو النخيل لعقبة عـاـ

## (٥-٢) ثورة محمد الأُمَّاد بن عبد الملك

ابتدأت ثورة محمد الأُمَّاد بن عبد الملك، المعروف بالشريف «بوبغة» سنة ١٢٦٧هـ:

صراع أبي بغلة في المغارب وأبطال سرتا جليل المفاخر شعاليه في القرى والحاواضر وكانوا البغاث فكنا الكواسر	ويذكر أبو معزة للجبال وتحفظ سطيف لأبطالها ودام الصراع ولم تخُب يوماً وكانوا البغاة فكنا المنايا
---	--

## (٦-٢) انتفاضة أولاد عيدون بالمليلية

وقدت بداية من ١٥ فبراير ١٨٧١م في شمال قسنطينة.

## (٧-٢) ثورة لالة فاطمة نسومر

لما اعتُقل الحاج عمر شيخ الزاوية الرحمانية ونُفي إلى تونس، قادت زوجته «لالة فاطمة» الحركة بنفسها، وهي بنت الشيخ علي بن عيسى الخليفة الأول لمؤسس الزاوية الرحمانية.<sup>٦</sup>

بطولات، سيدتي فاطمه فترجف باريس والعاصمه فزگي قداسته الدائمه تفدي قراته الحاسمه رفضت التواكل يا فاطمه وتعصف بالفئة الظالمه	وتذكر ثورتنا العارمه يفجر بركانها جرجرا وخلد باسم أنها ذكره وفاضت دماءبني راتن نسومر مذ نسبوك لتاكلا وألهبت ناراً تذيب الثلوج
---	--

<sup>٦</sup> محمود شاكر، «التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر، بلاد المغرب»، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٣٠.

وجند يُباع ويُشتري كما  
تُباع و تستأجر السائمه  
و دست على أنفه الراغمه  
و أرغفت راندون في كبره  
فخابت نوايامن الآثم  
و صعرت للجنرالات خدا  
أتنسى الجزائر حواءها  
و أمجادها لم تزل قائمه؟

استمرت ثورتها حتى ٢٠ ذي القعدة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧ م.

## (٨-٢) ثورة المقراني والشيخ محمد أمزيان الحداد وبومرزاق

هاجم المقراني القوات الفرنسية المعتصمة ببرج بوعريريج في ١٦ مارس ١٨٧١ م، واشترك المقراني والشيخ الحداد في معركة جبل تقارطاست في ١٢ أبريل ١٨٧١ م.

وصوت ابن حداد دوى دوىًّا  
ينادي: البدار، ويدعو: القتالاً  
ومن آل مقران في الشاهقاتِ  
نسورٌ بواشقُ تهوى النزالاً

في ٥ مايو ١٨٧١ م أثناء خوضه لمعركة بسور الغزلان ضد الكولونيل «ترومي»، هاجمه جنود الزواف فاستشهد رفقة ثلاثة من رفقاءه، ثم دُفن في قلعة بنى عباس. خاض بعده الشيخ الحداد المقاومة في منطقة القبائل إلى أن اعتقلته القوات الفرنسية بداية يوليو ١٨٧١ م بقيادة الجنرال «لامان». في ٨ أكتوبر ١٨٧١ م خاض بومرزاق معركةً ضد الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال «سوسي» في ناحية بجاية، وانهزم فيها بعد مقاومة عظيمة.

وقال بومرزاق حان الجهاد فحقق بالمعجزات المحلا

توجه إلى ورقلة للانضمام إلى بوشوشة وابن شهرة، غير أنه تاه وأُلقي القبض عليه في ٢٠ يناير ١٨٧٢ م بواحة الرويسات، واقتيد بعدها إلى سجن كاليدونيا الجديدة وبقى هناك ٣٠ سنة، ثم تُوفى بها.<sup>٧</sup>

<sup>٧</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ١٤٨.

شمل النفي إلى كاليدونيا ١٤٠ جزائريًّا في قضية استبدال الأحكام القضائية الصادرة عن محكمة الجنائيات بقسنطينة في ١٩ رجب ١٨٧٢ هـ / ١٢٨٩ م القاضية بالإعدام في حق بومرزاقي والسجن للبقية.<sup>٨</sup>

فيا آل مقران أسد الكفاح  
نهدمت شقون درب الخلود  
وحداد في السوق ألقى عصاه  
كمثل عصاي ... سألقي الفرنسي  
سلام لمقران يمضي شهيدًا  
ولابن الثمانين يغدو أسيراً  
ومرحى لمالك يطغى بشرشًا  
ونبع الندى، والهدى والصلاح  
فعبدتموا نهجه بالسلاح  
وأعلنها في الذرى والبطاح  
س في البحر، أركلهم بالرماح  
بسوفلات رمز الفدا والكفاح  
وما كبل القيد فيه الطماح  
ل بركانه بالألماني الفساح

انتفاضاتُ أخرى: الحسين بن أحمد الملقب بمولاي الشقة، يحيى بن محمد، أولاد بن عاشور ...

## (٩-٢) ثورة الشيخ بوعمامنة

الشيخ بوعمامنة بن العربي بن التاج من قبيلة أولاد سidi الشيخ التي ثارت على الاستعمار. تمكَّن رجال المقاومة في ٢٢ أبريل ١٨٨١ م من إلحاق هزيمة بالقائد الفرنسي «واينبرينار» وبعدها انتصروا على بعثة الكولونييل «فلاتير». تُوفي — رحمه الله — في ٧ أكتوبر ١٩٠٨ م.

فردَّ رجع صدأ أبو عمامة يدنى حظوظ النجاح

<sup>٨</sup> محمود شاكر، «التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر، بلاد المغرب»، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦ م، ص ٢٣٢.

## (١٠-٢) ثورة الشيخ آمود

شيخ قبائل التوارق:

وهقار تزهو بآمودها ينزو عن الشرف المستباح

### (٣) حملات التمسيح ... الفشل في استمالة الجزائريين

يظهر جليًّا أمر الروح الصليبية في احتلال الجزائر في أول تصريح لوزير الحربة الفرنسي (كلاير مونت طونيير)، حينما أعلن أمام مجلس الوزراء طالبًا من لويس العاشر في ١٤ أكتوبر ١٨٢٧ م غزو الجزائر عقب حادثة المروحة: «إنَّ العناية الإلهية تستثار جلالتكم للانتقام لقتلكم (يقصد القنصل دوفال) من أعتى أعداء المسيحية (أبي الداي حسين)؛ لذلك سيدني فإنَّ العناية تدعو لأنفاس خاصة ابن سان لويس (شارل العاشر) للانتقام في نفس الوقت للدين وللإنسانية، ومن سباب الداي ... وسوف تكون سعاده بمرور الزمن عندما نحضرُ الجزائريين بتصيرهم مسيحيين، وإن كان هذا الاعتبار غير كافٍ للقيام بحرب فإنه سيكون على الأقل سبباً للسير بثقة أكبر إلى النصر الذي تحضره العناية الإلهية لنا ... إنني أتوسل إلى جلالتكم باسم أغلى مصالح الوطن ... أن تعزموا على الانتقام للمسيحية وللسباب الذي تعرضتم له».٩

عند الغزو الفرنسي، اصطحب دي بورمون ١٦ قسيسًا وعلق الصليب في أعلى بناية في القصبة بتاريخ ٦ يوليو ١٨٣٠ م، وأقيمت فيه الطقوس الدينية المسيحية في حفل كبير، بدأت في حينها عملية بناء الكنائس وتحويل المساجد إلى كنائس، واستقبال المبشرين المسيحيين على أرض الجزائر. قام كلوزي الذي خلفَ دي بورمون بطلب مسجد من بلدية الجزائر لكي يُحوَّل إلى مسرح، كما قام بتهديم ثلاثة مساجد، وصدر عنه قرار الاستيلاء على الأموال الوقفية لملكة المكرمة والمدينة المنورة.

استمرَّت مظاهر التنصير وتدمير مقدسات المسلمين، وشُيدت كنيسة نوتردام الإفريقية سنة ١٨٥٨ م، وحُوَّل جامع كتشاوة الذي بُني في العهد العثماني سنة

<sup>٩</sup> شاوش حباسي، «من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر ١٨٣٠-١٩٦٢»، دار هومه، الجزائر، ١٩٩٨ م، ص ١١.

١٦١٢ هـ / ١٠٢١ م إلى كاتيدرائية؛ حيث قام الجنرال الدوق دو روفيغو قائداً للحملة الفرنسية، عند قرار التحويل، بنصب الصليب، ورفع علم فرنسا المحتلة، وإحرق المصاحف الموجودة به في ساحة الشهداء.

بعد الإعلان عن تحويله إلى كنيسة «سانت فيليب»، أقام المصلون احتجاجاً، قُوبل بمجزرة رهيبة، ذهب ضحيتها المئات من الشهداء، سُميّت من يومها ساحة المجزرة بـ«ساحة الشهداء» تخليةً لذكرهم. صلَّى المسيحيون فيه أول صلاة مسيحية ليلة عيد الميلاد ٢٤ ديسمبر ١٨٣٢ م، فتوافت الهدايا والتبريات من ملوك المسيحية وقدسيتها. وفي تاريخ ٤ / ١١ / ١٨٤٠ م حُول كذلك مسجد البليدة إلى كنيسة، واتسعت رقعة التمسح إلى المضايقات التي سُلطَت على الزوايا والمرافق الدينية الجزائرية. في إحدى حملات بيجو Bugeaud الهمجية على مدينة بوفاريك، اعتقل ٢٥٠ طفلاً وقدمُهم إلى «الأب» بروموم قائلاً: «إِنَّهُمْ يَتَامَى لُقْطُوا فِي سَاحَةِ الْوَغْيِ، رُبُّوهُمْ وَاجْعَلُوهُمْ مُسْكِنِيْنَ».١٠ كما أنَّ نشاطَ المسيحيين من أمثلَ دِي فوكو كان كثيفاً وموجهاً خاصاً إلى سكان الصحراء. في رُدِّه على وفد المؤتمر الإسلامي الثاني الموفد إلى باريس، صرَّح رئيس الحكومة الفرنسي دلاديير Daladier بقوله: «ليس في إمكان فرنسا أن تمنح شعبكم حقوق المساواة مع الشعب الفرنسي ما دمت متمسكين بشريعتكم الإسلامية، وأعلمكم أنَّ فرنسا لا تزال قوية، وأنَّ مدافعتها لا تزال طويلة المدى ...».١١

لقد أبان القرآن الكريم عن تلك الكراهية الدفينَة المعادية لرسالة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهَدَى وَلَيَنِ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِلِيٌّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٢٠).

يقول مفدي زكرياء في الإلياذة:

أَمَا انفَكَ رِمْزاً لأجيالنا  
وَجَامِعَ كِتْشَاوَةِ الْمُسْتَعَدِ  
فِي سِتْنَجْدُونَ بِأَسْلَافِنَا  
يَنَاجِيهِ فِي النَّيلِ أَزْهَارِنَا

١٠ شاؤش حباسي، مرجع سابق، ص ٢٥.

١١ شاؤش حباسي، مرجع سابق، ص ٤٤.

دبورمون هل دام حقد الصليب؟  
أنالَّ قريقوار من يأسنا؟  
وهل فتَّ فيليب في عزمنا؟  
وحطَّ القساوس من شأننا؟  
يده، استهان بإصرارنا؟  
وهل نابليون ومن وسمته

«استغل رجال الدين المسيحي المجاعة والأوبئة التي وقعت بين ١٨٦٧ م و ١٨٦٨ م والتي راح ضحيتها نصف مليون جزائري، نتيجة قلة الأمطار، وفساد المحصول وهجوم الجراد، وصاحب تلك الماجاعة حدوثُ زلزال، ثم وباء الكولييرا والтиفوнос، ونجحوا في جمع عدد من هؤلاء الأطفال الجزائريين في أديرتهم، ثم منحوهם مساحات صغيرة من أراضي وادي الشلف، وهذا أصل فرقة الآباء البيض الجزائريين التي كُوِّنَّها المنسيير لافيجري <sup>١٢</sup>».Lavigerie

وهل لافيجري وطول السّنين اسـ تَطَاعَـا المروق بـأطـفالـنا

<sup>١٢</sup> نبيل أحمد بلاسي، «الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٠ م، ص ٢٦.



### الفصل الثالث

## الحركة الوطنية الجزائرية

في عام ١٨٨١ م أنشأ فرنسا نظام «الإنديجيينا» الذي يحدّد القوانين السارية المفعول على السكان الجزائريين. تقرّر تعين متصرف إداري Administrateur لضبط تنفيذ هذا النظام.

### حركة محمد البدوي

سلوا ساحة الشهداء أَمَا  
بها قرَر البدوي المآل؟  
ودَوَى بشرشال صوت التغيير  
وإن كان يبدو بعيداً المنال

بالرغم من الإغراءات للحصول على الجنسية الفرنسية، فإن معظم الشعب الجزائري رفض هذا التجُّس، وفضلوا حياة الـقهر بالجنسية الجزائرية على حياة الرفاهية في ظل الجنسية الفرنسية.

وهذا ما أكدّه الحاكم العام الفرنسي «فيوليت» في إحصاءٍ قدّمه بين ١٩١٩ م و١٩٢٥ م بأنه لم يتقدم لطلب الجنسية إلا ٦٤١ فرداً.<sup>١</sup>

<sup>١</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٢٠١.

## (١) النضال السياسي والإصلاحي

في خضم تعظيم وقهر الجزائريين، نهض تيار سياسيٌّ من المتعلمين في المدارس الفرنسية وتشكلوا في حركة «الشبان الجزائريين» للمطالبة بحق التمثيل والاعتراف بالشخصية الجزائرية، وشكلوا سنة ٤ ١٩٠٨ جريدة «المشع». اتخذت النخبة الجزائرية موقفاً إزاء قانون التجنيد الإجباري الصادر في ١٩٠٨ والمطالبة بإلغاء قانون الإنديجينيا.

في سنة ١٩١٣ ضم قادة حركة «الشبان الجزائريين» بقيادة الشريف بن حبليس جهودهم إلى الأمير خالد ابن الهاشمي – حفيد الأمير عبد القادر – لتصعيد احتجاجاتهم المطالبة بالحقوق الكاملة لكل الجزائريين، وحق التمثيل في البرلان الفرنسي.

وراودَ صدقَ الضميرِ الأميرِ  
فقام يلاحُق طيفَ الخيالِ  
ويُنادِي بـ«فرساي» خلفَ الوعودِ  
يُناشدُ «ولسون» فرضَ المحالِ

في سنة ١٩١٧، شارك الأمير خالد في مؤتمر رابطة حقوق الإنسان الذي نظم بفرنسا من قبل بعض المثقفين الجزائريين والتونسيين. لم يدم نضاله السياسي طويلاً بسبب العارقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية أمامه، ثم الانتقال إلى مرحلة تزوير الانتخابات المحلية التي فاز بها سنة ١٩٢٢ م. كان هذا العامل الأساسي الذي أدرك فيه الأمير خالد أنَّ فرنسا ليست راعية عهود، وأنَّ الاندماج سياسةً ماكرة وخاطئة، ليست سبيلاً لحصول الجزائريين على حقوقهم المشروعة، وأنَّ الركود وراء تصريحات الرئيس الأمريكي «ولسون» في تقرير المصير سراب؛ بل وهمُ لم يكن ليتحقق في ضوء التكتلات الغربية. رغم ذلك، نجد شاعر الثورة مفدي زكرييا يرثب نضال الأمير خالد ضمن التجارب السياسية الممكنة للتعامل مع الاستعمار دون أن يبخس حقَّه في جهده من أجل حصول الجزائريين على حقوقهم.

تجاريبُ خالد مهما تكن فلم تُنعطف قدر الرجال

قررَ الأمير خالد ترك النضال السياسي الذي طلما نادى به وانسحب من الحياة السياسية. استقرَّ بسوريا، وعاش بها إلى أن توفي – رحمه الله – في ٩ يناير ١٩٣٦، ودُفن بها.

فرضت فرنسا سياسة التمييز العنصري، وبدأت تظهر نتائج تطبيق قانون الإنديجينيا على الشعب الجزائري في صور انتشار الفقر وعموم الجهل، وتفشي الأمراض المعدية. فضلُّ الكثير من الجزائريين الهجرة إلى الخارج. لم تفُتْ نار الاحتلال على الشعب الجزائري رغم دور شبابه الذين جنّدوا قهراً في صفوف الجيوش الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى في إطار ما يُسمى بالتجنيد الإجباري.

### (١-١) الذكرى المؤدية للاحتلال

قررت السلطات الاستعمارية الاحتفال بمرور قرنٍ من الزمان لاحتلال الجزائر، فجهّزت لذلك عدّة وعثاً، وحضرت وفوداً أجنبية أخرى، وأرغم الشعب الجزائري إرغاماً على المشاركة في تمويلها.

وذكري احتلال الجزائر شakra	جزى الله عنّا الشدائِد خيراً
وما تزال الجراحات حمراً	وإن ننس ... هلا نسينا الجراح
حفلنا بعيد الجزائر دهراً	وإن آلمونا بمائة عام
وأحيوا على مذبح الشعب ذكري	وإن رقصوا فوق أشلاءنا
ورحنا نبث المقادير سراً	رقصنا على نغمات الرصاص

كانت الحركة الإصلاحية نشطة في مواجهة تيار التغريب بقيادة زعماء جزائريين استطاعوا باندماجهم في الحركة الفكرية العربية المنتشرة في بلاد المشرق أن يؤسسوا لنهضة فكرية شاملة، ولعل أبرز مناصر القضية الجزائرية من زعماء الإصلاح السياسي الأمير شكيّب أرسلان. يقول مفدي زكريّا:

وصوت شكيّب يهُزُّ الدُّنْـا فترجف منه النفوسُ السقيمة

تتلذذ الأمير على يد الشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٦م. كان على علاقة بعائلة الأمير عبد القادر بسوريا. تحدّث عن الأمير في كتابه «حاضر العالم الإسلامي»، كان نائباً عن حوران في المجلس العثماني ببرلين اسطنبول. وفي اضطهاد جمال باشا لبعض زعماء

العرب، علّق أرسلان أنَّ جمال باشا لم يرعِ حرمة جهاد والد الأمير علي — أيُّ الأمير عبد القادر — وتشفَّع في الأمير عمر ابن الأمير عبد القادر فلم يُصْنَع إلَيْهِ وحكم بشنقه. وقال عن الأمير خالد إِنَّهُ «على رأس الحركة الوطنية الحاضرة في الجزائر» وكان أرسلان على صلة بالأستاذ توفيق المدنى منذ ١٩٢٢ م.

أنشأ جريدة «الأمة العربية» باللغة الفرنسية في جنيف في مارس ١٩٣٠ م، وكان على علاقه وطيدة بين الشيخ عبد الحميد بن باديس والطيب العقبي وال الحاج بنونة وسعيد الزاهري ومصالي الحاج، وكان يناضل من أجل الوحدة العربية.<sup>٢</sup>

الشيخ أحمد سحنون — رحمه الله — أولَ مَنْ أَبْنَى شَكِيبَ أَرْسَلَانَ، وذُكر نضاله من أجلعروبة والإسلام ومساهمته في القضية الوطنية.<sup>٣</sup> أُقيم حفل تأبين في ذكرى وفاة أرسلان بنادي الترقى سنة ١٩٤٧ م، وحضر المناسبة الأستاذ محمد الحسن فضلاء — رحمة الله.<sup>٤</sup>

لم يتوقف النضال السياسي بفشل الأمير خالد، ولم تتلاشى سياسة الاندماج من مخيَّلة الجزائريين. حرك خيوط فكرة الاندماج، هذه المرأة، بن جلول، ولكن سرعان ما تصدَّى له حزب «نجم شمال إفريقيا» وقرر عزله سنة ١٩٣٦ م.

وأغفى صرير الرماح العوالى يقود سراياه نجم الشمال ويندُر ساستها باللوبال	لئن مجَّ صوت السيف الصقال فحربُ اليراع أعاد الصراع بأرض فرنسا يُدكُ فرنسا
---	---

أخذ النضال السياسي بُعدًا آخر في التعامل مع الوضع الاستعماري. وكان للإبداع الفني دور هام في رفع الهمة للجزائريين من خلال نظم أول نشيد وطني للجزائر، نظمه بكل اعتزاز شاعر الثورة مفدي زكرياء في ١٧ نوفمبر ١٩٣٦ م عندما كان مناضلاً في «نجم شمال إفريقيا» ومطلعه «فداء الجزائر، روحي ومالي».

<sup>٢</sup> أبو القاسم سعد الله، «أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر»، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٦ م، ص ١١٦.

<sup>٣</sup> العدد الأول من جريدة البصائر ٢٣ يوليو ١٩٤٧ م بعنوان «حارس الشرق».

<sup>٤</sup> أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص ١٣٥.

وقال الألى: ناصروا حزبنا  
سنقضي على لعنة الاحتلال  
وقال الذي خلّدوا شعره  
فداء الجزائر روحي ومالي

أخذ «حزب الشعب الجزائري» بعد ذلك، بزعامة مصالي الحاج، زمام الريادة  
والقيادة ووقف ضد مشروع «بلوم فيوليت» المنادي بالاندماج:

إذا ما فيوليت ضلل قوماً  
وغرّ ضعاف العقول وأغري  
وخدّر قوماً بمؤتمرات  
فلاشعب حزبٌ يصون المبادئ  
فقطنَت سرابَ المتأهات نهراً  
وشعوبُ الجزائِر بالناسِ أدرى

## (٢-١) جمعية العلماء المسلمين

جمعية جزائرية أخذت على عاتقها إصلاح الأمة، والتفكير في الخروج من مأزق الاستعمار الذي بات يقوّض أركان الشعب الجزائري، ويهدّم مقوماته ومقدّساته. ترأّسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقاد حركتها الإصلاحية، واتخذت الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي نائباً له.

وُلد الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة ١٨٨٩ م بقسنطينة، تتلمذ على يد الشيخ حمدان الونسيي والتحق بجامعة الزيتونة. أصدرت الجمعية أول جريدة (المنفذ) في ٢ يوليوا ١٩٢٥ م، صُودرت من قبل السلطات الاستعمارية بدعوى المساس بأمن فرنسا وإثارة الفوضى. كانت المصادر تلاحق كلّ جريدة لها طابع إصلاحي، ومن ذلك جريدة «السنة» و«الشريعة المطهرة» و«الصراط».

تأسّست جمعية العلماء المسلمين في ٥ مايو ١٩٣١ م بالجزائر العاصمة، استقطبت جهود العديد من علماء ومفكري الجزائر، فازدادت قوّة إلى فوقها، وكان من بين أعضائها المؤسسين: الشيخ المبارك الميلي (أمين المال)، والشيخ إبراهيم بيوض (نائب أمين المال)، والطيب العقبي (أمين عام مساعد)، والشيخ الأمين العمودي (أمين عام)، والأستاذ أحمد توفيق المدنى. ونورد على سبيل الذكر لا الحصر بعض رسائل الشيخ مبارك الميلي إلى الأستاذ توفيق المدنى؛ لنتتّشّق درجة التمسّك بالوطنية والحرص على حماية مقوماتها.<sup>٠</sup>

<sup>٠</sup> انظر الملحق رقم ١٠.

أصدرت جمعية العلماء جريدة «الشهاب»، ثم «الدفاع» في «البصائر»، وحاصرت سلطات الاحتلال الفرنسي نشاط الجمعية بدعوى التخفي وراء الدين من أجل مقاصد سياسية، وبث العداوة لفرنسا، والتحريض والتخابر مع قوى أجنبية، كانت إشادة الإلياذة بها في المقطع ٤٤:

تُغْذِي العقول بوحى السماء  
وتغرس فيها معانى الإباء  
وتغمر أكوانه بالسَّنَاء  
فتزخر بالخلُّص الأصفياء  
مع الوهم في موكب الأغبياء  
بِ تمحو بها وصمة الدخلاء  
فُيعلِي ابن باديس صرح البناء  
وفي الدار جمعية العلماء  
وتهدي النفوس الصراط السُّوي  
تواكب نجم الشمال اندفاعاً  
ويَعْضُد باديس فيها البشيرُ  
وتغزو الضلالات في التائبين  
وتروسي جذور الأصالة في الشَّعْرِ  
وتتبني المدارس عرض البلاد

طلب الشيخ عبد الحميد بن باديس بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٣٧ م في رسالة إلى شيخ الأزهر مصطفى المراغي يطلب فيها منه قبول وفده جمعية العلماء المسلمين للتكون في الأزهر.<sup>٦</sup>

تُوفِّيُّ الشِّيخ عبد الحميد بن باديس — رحمه الله — في ١٦ أبريل ١٩٤٠ م، واتخذت الجزائر من ذكرى وفاته محطةً تاريخية لتمثيل العلم وترقية المعرفة والعلوم. وختم مفدي زكريا المقطع بـ:

كذا عَبَّدَ الْعَلَمَاءُ الثَّنَائِيَا بِوْحِيِّ السَّمَاءِ، وَوْحِيِّ الدَّمَاءِ

لم يقتصر نشاط جمعية العلماء على الجانب الدعوي والإصلاحي؛ بل تمدد إلى غاية النضال السياسي في خطوة منها لتكامل الجانبين، وأن كلِّيهما يكمل الآخر، ومن ذلك استنكار الجمعية لقانون التجسس ومقاطعة البضائع اليهودية.

<sup>٦</sup> انظر الملحق رقم ٨.

انعقد بالجزائر العاصمة مؤتمرٌ يوم ٧ يونيو ١٩٣٦م، خرج بجملة من التوصيات والمطالب تحورت جلها حول وجوب إلغاء القوانين الاستثنائية والولاية العامة، كما طالبت السلطات الاستعمارية بالحفظ على الدين الإسلامي باعتباره مرجعاً لا بديل عنه للجزائريين، وضمان حرية تعليم اللغة العربية، وتعيم التعليم لكل شرائح المجتمع الجزائري، كما رفع المؤتمر مطلباً يضمن تمثيل الجزائريين في البلدان الفرنسية ... انتقل وقد عن المؤتمر برئاسة بن جلول إلى باريس، ورفعت المطالب إلى رئيس الحكومة الفرنسية «ليون بلوم» يوم ٢٣ يوليو ١٩٣٦م،<sup>٧</sup> كانت تلك المطالب سراباً يحسبه الظمان ماء، وصدق مفدي زكريا إذ يقول:

وخدَّر قوماً بمُؤتمرات  
فظنَّت سرابَ المتأهّات نهراً  
فلا شعبٌ حزبٌ يصون المبادئ  
وشعُّبُ الجزائّر بالناسِ أدرى

سبق انتقال وقد المؤتمر إلى باريس، بأيام قليلة تصريح مصالي الحاج خلال تجمعٍ شعبي بالملعب البلدي للجزائر بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٣٦م:

ويوليُوز والملعب البلدي  
وأحمد يعلن فيه الأذان  
ويصعق فيه بصوت جديد  
فيصعق منه العُتلُ الجنان

كانت الإدارة الاستعمارية وراء اغتيال مفتى الجزائر «كحول» في شهر أغسطس من سنة ١٩٣٦م، وألصقت التهمة في عقب الشیخ الطیب العقیبی بحكم انتمامه إلى جمیعیة العلماء المسلمين، وسُوقَت فرنساً لدعوى العداوة التي كانت بين المفتی والجمیعیة بهدف اعتقال الشیخ الطیب العقیبی، وتصدُّع وحدة الصُّف الوطّنی. واعتبر مصالي أنَّ هذا الاغتیال سذاجة من الجمیعیة، وقد تنفس بـ«إنجازات النضال السياسي».

ولاذت فرنسا بأسنانها  
تحاول بالدّس كسب الرهان  
فتغتال كحول تلقى دماه  
على الطیب الواسع الصولجان

<sup>٧</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢م»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٢٦٠.

لئن خاننا الدهرُ في طيب  
وأصغى مصالى لغدر الزمان  
فلن يجحد الفضل تارينا  
وهذى الدُّنَا للرجال امتحان

انعقد مرةً أخرى مؤتمر كذلك في ٧ يوليو ١٩٣٧ م لكنه لم يحقق أي نتيجة.  
بدأت فكرة إنشاء دولة مستقلة بعيدة عن أي طرح إدماجي تراود التيار الوطني.  
قال فرحت عباس لمصالى الحاج: «لقد كنت ضدك، أدفع بحرارة عن الاندماج ووقفت  
ضدك، لقد أثبتت الأحداث أنك كنت على صواب، وكنت أنا على خطأ، اليوم أعترف لك  
بأنني سأتابع خطاك». <sup>٨</sup>

اعتبر الحاكم العام «كاترو» فكرة استقلال الجزائر إهانةً لفرنسا، وقال: إنَّ الجزائر  
«جزء لا يتجزأ عن فرنسا، وأنه لا يقبل أن تكون النقاط المقترحة من طرف الجزائريين  
قواعد للعمل والتفاوض». وكان جوابه على موقف فرحت عباس والسائح عبد القادر  
الذين قاطعا رفقة زملائهما مداولات المجلس المالي، استصدار أمر القبض عليهم بتهمة  
العصيان والتحريض.

أفاق من الوهم حزب البيان  
فأسلم للمخلصين العنان  
وزايله الشَّكُ في أصله  
فمدَّت لحزب البيان اليدان  
لحزبيين مرماهما توأمان  
وأوحى اندماج فرنسا اندماجاً  
فبارك باديسُ جمعَ الصفواف  
ودشن باديسُ عهد الأمان

فور إفراج السلطات الاستعمارية عن فرحت عباس في ديسمبر ١٩٤٣ م، التحق  
مجددًا بالنضال السياسي وأنشأ حركة «أصدقاء البيان والحرية» في ١٤ مارس ١٩٤٤ م،  
ضمت كلاً من جمعية العلماء المسلمين، والحزب الشيوعي الجزائري، وحزب الشعب،  
ولاحت في الأفق بوادر مطالبة بإنشاء حكومة مؤقتة، وتحرير دستور جزائري، وإلغاء  
نظام الاستعمار، وإنشاء نقد وطني جزائري.

<sup>٨</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٢٣٧، عن بن جامان ستورا في كتابه «مصالى الحاج» الصادر بفرنسا سنة ١٩٨٢ م.

كان الظرف الذي ساد الحكم الفرنسي آنذاك مساعدًا لطرح بدائل في صالح الجزائريين، اهتدى «البيان» فيها إلى كسب مودة فرنسا واستعطافها السعي لمساعدة الجزائريين للقوات الفرنسية في حربها ضد الألان.

### (٣-١) مجازر الثامن مايو ١٩٤٥ م

انتصر الحلفاء فخرج الشعب الجزائري عن بكرة أبيه مبتهجًا بالنصر الذي اعتقاد فيه وفاء فرنسا بوعدها في حصول الجزائر على استقلالها، لكن كانت الفاجعة أكبر مما تصور العالم؛ مجازر رهيبة لم يسبق للبشرية أن شهدتها، جرت بداية من ٨ مايو ١٩٤٥، تحولت فيها المسيرات السلمية إلى مجزرة بكل مقاييس الجبن والحمامة في حق الشعب الجزائري، استشهد فيها ٤٥ ألفًا من الجزائريين، ثم حلّت على إثرها كل الأحزاب السياسية، وألقت القبض على الزعماء السياسيين.

ولم ننس في أربعين وخمس  
طربنا مع الحلفاء اغترارا  
فكانوا مع الغدر عوناً علينا  
وكانت مجازرهم بسطيف

ضحايا المذابح في يوم نحس  
وقدمنا نصفق في غير عرس  
ودرساً لقادتنا أي درس  
وقالمة للشعب، دقات جرس

بات يقيناً بعد هذه المجاز أنَّه لم يَعُد للمراوغات السياسية سبيلاً يخلاص هذا الشعب من قيد الاستعمار، وأن كل نضالها السياسي لم يَعُد إلا وهماً وحلماً.

وكانت تلاحق أقلامنا  
 وكانت تُكافح أحزابنا  
 فعطل صوت الرصاصات اللثى  
 فقامت تعبد أكبادنا

سراب الضياع فباءت ببس  
مع الوهم، بين صرخ وهمس  
 وأنطقَ ألسنةَ غير حرس  
 طريق التخلُص من كل رجس

اعتقل الشيخ البشير الإبراهيمي عقب المجزرة، ثم أطلق سراحه بموجب عفو عام. استمرت جمعية العلماء في نشاطها بنضال ومؤازرة من الأستاذ الفضيل الورتلاني، والشيخ العربي التبسي، والشيخ محمد خير الدين، والأستاذ أحمد توفيق المدنى.

## (٢) العمل المسلح ... التنظيم، الانطلاق ثم التفاوض

في ١٥ فبراير ١٩٤٧ م خلال المؤتمر الأول لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، تقرر تكوين «المنظمة الخاصة»، وهي منظمة شبه عسكرية بقيادة محمد بلوزداد أولكلت لها مهام جلب الأسلحة والتحضير للعمل المسلح، شارك فيها كلُّ من السادة: حسين آيت أحمد، بلحاج جيلالي، أحمد بن بلة، محمد بوسيف، رجمي الجيلالي، أحمد محساس، محمد ماروك.<sup>٩</sup>

وَضَرْبُ الْمَوَائِدِ، ضَرِبًا شَدِيدًا  
هَلْ الْجِبْرُ فِي الْحَرْبِ كَانْ مَفِيدًا؟  
فَمَا حَرَرَ الْقَوْلُ يَوْمًا عَبِيدًا  
أَهَالَ عَلَيْهِ الْغَرُورُ الصَّدِيدًا  
وَعَاشَ الْحَدِيدُ ... يَفْلُ الْحَدِيدًا  
وَمَا الْإِنْتَصَارُ دُخُولُ اِنْتَخَابٍ  
وَلَا كَلْمَاتُ عَلَى جَدَرَانِ  
وَلَا بِالْهُتَافَاتِ عَاشَ وَيَحْيَى  
وَلَا بِالْوَفُودِ ... وَسَمِعَ فَرْنَسَا  
وَلَنْ يَغْسِلَ الْعَارَ إِلَّا الدَّمَا

كان تأسيس المنظمة الخاصة نهايةً حتميةً لأي حسم عن طريق الخطابات والتنديدات والانتخابات، وببدايةً لعهد جديد لا يفلح فيه إلا النفي والدخول في ثورة عارمة ضد المستعمر الغاشم. غير أن انكشف هذا التنظيم سنة ١٩٤٩ م بالمنطقة الشرقية من البلاد، أدى إلى تقييد العمل المسلح، ووضع كل الناشطين تحت الرقابة البوليسية.

وَمَا بَلَغَ الشَّعْبُ فِيهِ الْمَرَامِ  
وَمَنْ كَاشَفَتْهُمْ بِسَرِّ النَّظَامِ  
وَقَدْ بَلَغَ الشَّعْبُ فِيهَا الْفَطَامِ  
وَإِنْ أَخْفَتُوهُمْ بِلَغْوِ الْكَلَامِ  
وَطَالَتْ خَرَافَاتْ حَرْبِ الْكَلَامِ  
فَآمَنَ بِالنَّارِ مَنْ عَرَفُوهَا  
إِلَى أَرْبَعينِ وَتَسْعَ سَلَامِيِّ  
فَكَانَتْ شَرَارةُ حَرْبِ الْخَلَاصِ

<sup>٩</sup> عمار بوجوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٣٢٠، عن «جبهة التحرير الوطني: السراب والحقيقة» لحربي.

أشاد مفدي زكريا في الإلياذة بذلك الرعيل الأول من المجاهدين والمناضلين في الأحزاب السياسية والشهداء، في التفاتة طيبة مباركة لتضحياتهم الجسمان في سبيل إنهاء الاحتلال ونيلهم للحصول على الاستقلال، وذكر منهم: عمر عيمش، أرزقي كحال، رابح موساوي، إبراهيم غرافه، حسين عسلة، محمد طالب، محمد دوار ...

رعى الله عيمش في الخالدين  
ورابح تَغْيِّبَ أَنفاسُهُ  
وعَسْلَةٌ يَنْدِبُ طَالِبٍ  
وَدَوَارٌ يَسْتَقْبِلُ الشَّهِيدَاءِ  
هُمُ الثَّائِرُونَ الْأَلَىٰ وَلَدُوا  
مَتَى نَزَّلَتْ ثُورَةً مِنْ سَمَاءِ  
نَزْولُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

بعد وفاة محمد بلوزداد — رحمه الله — في ١٤ يناير ١٩٥٢ م خلفه السيد حسين آيت أحمد. ولتفادي عزلة العمل الثوري على العالم، قام زعماء المنظمة بتأسيس مكاتب اتصال بالقاهرة وتونس وبغداد والرياض؛ لإيجاد مت نفس تتفادى به الثورة خطر الاختناق.

بغية إسماع صوت الجزائر في الأمم المتحدة قام الشيخ البشير الإبراهيمي بزيارة إلى محمد فاضل الجمامي في سنة ١٩٥١ م عندما كان شاغلاً لمنصب نائب رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة. كان هدف الإبراهيمي وضع القضية الجزائرية في جدول أعمال منظمة الأمم المتحدة، ولم يكن بيان جمعية العلماء المسلمين إلى الجامعة العربية في ٦ يناير ١٩٥٤ م إلا قيمة مضافة لحصول الجزائر على مساندة تقيها خطورة العزلة.

## (١-٢) التحضير لاندلاع الثورة

شهدت الساحة السياسية بين المناضلين انشقاقةً بين المركزيين والثوريين لحركة الانتصار للحرفيات الديمقراطية، أسفرت في بادرة للم صفوف عن إنشاء «اللجنة الثورية للحرية والعمل» في شهر مارس ١٩٥٤ م. وفي ٢٥ يونيو ١٩٥٤ م، اجتمع الأعضاء الـ ٢٢ من المناضلين الذين آتوا على أنفسهم عناء الثورة المسلحة.

## (٢-٢) المنظمون الرئيسيون

ديدوش مراد، والعرببي بن مهيدى، ومحمد بوضياف، ومصطفى بن بولعيد، ورابح بيطاط.

## (٣-٢) الممثلون لمنطقة العاصمة

محمد مرزوقي، وعثمان بلوزداد، والزبير بوعجاج، وغلياس دريش.

## (٤-٢) الممثلون لمنطقة البليدة

سويداني بوجمعة، وأحمد بوشعيب.

## (٥-٢) الممثلون لمنطقة وهران

عبد الحفيظ بوصوف، ورمضان بن عبد المالك.

## (٦-٢) الممثلون لمنطقة قسنطينة

زيغود يوسف، ولخضر بن طوبال، ومحمد مشاطي، وعبد السلام حبashi، وعبد القادر العمودي، ورشيد ملاح، والسعيد بوعلي، وعمار بن عودة، ومختر باجي.

انتُخب محمد بوضياف مسؤولًا وطنيًّا، وخلصت المشاورات بين أعضاء لجنة الـ ٢٢ وبين كريم بلقاسم إلى ضرورة تضافر الجهود، وتوحيد العمل المسلح وتنظيمه عبر كامل التراب الوطني، وتقرر إلغاء كل الأحزاب والتكتلات الوطنية، والانضواء تحت «جبهة التحرير الوطني» الناطقة الوحيدة والرسمية باسم الشعب الجزائري، وتسمية المنظمة العسكرية بـ«جيش التحرير الوطني».

جمعنا لحرب الخلاص شتاناً سلكنا به المنهج المستعيناً

تقرر أيضًا تحديد تاريخ انطلاق الثورة التحريرية في الفاتح من شهر نوفمبر، وتوزيع المهام عبر مناطق الوطن، ولتفادي تداخل الصالحيات، أعطيت أولوية الداخل

على الخارج والعمل السياسي على العسكري في اتخاذ القرارات السيادية. أذيع بيان أول نوفمبر عبر أمواج «صوت العرب» من القاهرة.

ضبط الأستاذ أحمد توفيق المدنى لقاء مع الشيخ عمر دردور<sup>١٠</sup> في أكتوبر ١٩٥٤، تم التحضير فيه لاجتماع المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين، وعليه تم الإعلان عن مساندة الجمعية لاندلاع ثورة التحرير تحت قيادة جبهة التحرير الوطني، ودعوة كل الجزائريين للمشاركة فيها، كان يومها الشيخ البشير الإبراهيمي في القاهرة، فقام بمعية الفضيل الورتلاني بإصدار بيان للشعب الجزائري حثّ فيه الشعب الجزائري للانضمام إلى الثورة، استمر الوضع متأمّلاً إلى أن قامت ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ م وفق القواعد والمبادئ المنصوص عليها في بيان أول نوفمبر.<sup>١١</sup>

تأذن ربك ليلة قدر  
وألقى السّtar على ألف شهر  
وقال له الشعب: أمرك ربي!

وقال:

وكنتَ نوفمبر مطلع فجر!  
فقمنا نضاهي صحابة بدرًا  
نوفمبر غيرت مجرى الحياة  
وذكرتنا في الجزائر بدراً

وقال:

أّلسْتَ الّذِي بَثَ فِيْنَا الْيَقِيْنَ؟  
وَاللّنْسُرُ رُحْنَا نَسْوَقُ السَّفِيْنَا  
وَنَصْنُعُ مِنْ صَلْبِنَا التَّأْيِنَا!  
نوْفَمْبَرْ جَلَّ جَلَالَكَ فِيْنَا  
سَبَحْنَا عَلَى لُجُجِ مِنْ دَمَانَا  
وَثَرْنَا، نَفَجَّرْ نَارًا وَنُورًا

<sup>١٠</sup> الشيخ عمر دردور، عالمٌ ومجاهدٌ عضوٌ في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولد سنة ١٩١٣ م في قرية حيدوس بدائرة ثنية العابد، نشط في منطقة الأوراس، لقب بنبراس جبال الأوراس وباديسها، توفي - رحمه الله - سنة ٢٠٠٩ م، ودفن في تازولت (على سبيل الإشارة، رسالة الشيخ البشير الإبراهيمي إليه

في الملحق رقم ٩، ص ١٦١).

<sup>١١</sup> انظر الملحق رقم ١١، ص ١٦٥.

وَنُلْهُمْ ثُورَتَنَا مُبْتَغَانَا  
فَتَلَهُمْ ثُورَتَنَا الْعَالَمِينَا  
وَتَسْخَرُ جَبَهَتُنَا بِالْبَلَى  
فَنَسْخَرُ بِالظُّلْمِ وَالظَّالَمِينَا

كان أثر العمليات العسكرية الدقيقة على ثكنات العدو والاستيلاء على أسلحة وجلبها من تونس والمغرب والقاهرة، قويًا على فرنسا، أربك قوّاتها وزاد من عزيمة صفوف الثورة الجزائرية.

لم يكن رد القوى الاستعمارية على اندلاع الثورة، وانتشار الهجمات العسكرية غربيًا من فرنسا؛ فلقد أعلن رئيس الحكومة الفرنسية منديس فرانس أمام الجمعية الوطنية بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٥٤ م توعده بالقضاء على هذا «التمرد» ورفضه لأي تفاوض مع «المراديين». أما وزير الداخلية الفرنسي فرنسوا ميتان، فقد وصف إعلان الثورة بـ«العمل الإرهابي» وهدد الجزائريين يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٤ م بإعلانه الحرب عليهم. استعملت فرنسا في قمعها للثورة الجزائرية، القتل الجماعي والاغتيالات والتدمير الشامل للقرى والمداشر، والاعتقالات العشوائية والمحاكمات الجائرة، وسلطت القهر والتعذيب والتنكيل بكل فئات الشعب.<sup>١٢</sup> صدر قانون الأحكام العرفية بتاريخ ٣ أبريل ١٩٥٥ م، وتم بموجبه نقل السلطات القضائية والتنفيذية إلى الجيش.

#### (٧-٢) هجوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٥ م

كان لهجوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٥ م الذي قاده زيفغوت يوسف على الشمال القسنطيني الأثر البالغ على قوات الاستعمار وعلى سياسات القمع والاندماج، وأعطى دفعًا للثورة الجزائرية.

علينا فضائح باعَ حقوَد سكيكدة التائرين أعيدي  
ويذكروا ألفُ ألفٍ شهيدٍ أغسطس عشرون ... لم يَنْسَها  
جلالٌ ... يهدَّد صدر الوجودِ وخمسون في الذكريات  
نواجه تُلهم سِفَرَ الخلوَدَ وعطرُ للمذابح في ساجِها

<sup>١٢</sup> صورة فوتوغرافية لمشهد من مشاهد الإهانة والتعذيب، الملحق رقم ١٥، ص ١٦٩.

أما سياسة «سوستيل» التي أراد بها فصل الثورة عن الشعب فلم تُجد نفعاً، وإنشاؤه في ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥ م «أقسام العمل المتخصل» SAS في الأرياف لاحتواها، لم يزد الشعب الجزائري إلا تمسكاً بثورته.

أَنْسَى ثلَاثَةِ أَيَّامِ نَحِسٍ  
وَأَخْضَرُ يَحْصُدُ حُمْرَ الْحَوَاصِ  
وَسُوسْتَالٌ يَنْدِبُ فِي النَّاثِينَ  
لِفِيهَا، وَيَقْطَعُ مِنْهَا الْوَتِينَ

### (٨-٢) مؤتمر الصومام ٢٠ أغسطس ١٩٥٦

استضافت الولاية الثالثة مؤتمر الصومام، وقام العقيد عمريوش بتجنيد ٣٠٠٠ جندي لحماية المؤتمرين من أي هجوم فرنسي مفاجئ<sup>١٣</sup>، وانتهت أشغاله يوم ٥ سبتمبر ١٩٥٦ م. خرج المؤتمر بترتيبات استراتيجية وهامة في مسار الثورة، كان أهمها: إنشاء تنظيم قائم على تقسيم التراب الوطني إلى ست ولايات، كل ولاية إلى مناطق، وكل منطقة إلى نواحٍ ثم قسمات، وتنظيم الجيش في شكل كتائب وفرق وأفواج. وُضعت اللبنات الأولى لمجلس وطني للثورة الجزائرية، كما تعزّز اعتبار جبهة التحرير الوطني الهيئة السياسية الرسمية الوحيدة المخولة لأي تخطيط أو قرار يخص الشأن الوطني.

حفظنا عهودك أَيَّانَ ثُرَنا  
سياسةَ ثورته فانطلقاً  
يباركُ وحدتنا، فالتحمّنا  
لستُ وخمسينَ يومَ اجتمعنا  
الأَصْمُ، وأَرْهَفَ لِلسمعِ أَدْنَا<sup>١٤</sup>  
فلذُنَا بساحِ الْوَغْيِ، فاختصرنا  
فِسْرُنَا عَلَى هَدِيَّها، فانتصرنا  
تباركَ واديكَ صُوماماً إِنَّا  
أَصْوَاماً بِاسْمِكَ، صَمَّ شَعبُ  
وَجَلَّ صَوْتُكَ بَيْنَ الْجَبَالِ  
كَانَ لِخَمْسِ وَخَمْسِينَ نَجْوِي  
وَأَصْغَى لَنَا المَجْمُعُ الدُّولِيُّ  
رَأَيْنَا السِّيَاسَةَ درَبًا طَوِيلًا  
وَقَرَرَ صُوماماً أَهْدَافُنَا

<sup>١٣</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٣٩٣.

## ملحمة الجزائر

انتشرت الثورة الجزائرية في ربوع التراب الوطني، واتخذت فرنسا من سياسة عزل الثورة أسلوبًا لقطع الدعم وتمكين الأفواه. زرعت حكومة «بورجيس مونوري» الأسلام الشائكة المكهربة واللغمة على الحدود الغربية والشرقية فأوقعت ٦٠٠٠ شهيد والعديد من الإصابات المؤدية للبتر والإعاقات.

اعتقُل في سنة ١٩٥٦م الشيخ العربي التبسي، ولم يُعرف إلى يومنا هذا مكان اعتقاله أو دفنه — رحمه الله.

تباركها هبات العصُورِ  
يهيد، فتحتلُّ عرش النسورِ  
حياة أصالتها في الجذورِ  
مضارِّجةً بدماءِ، ونُورِ  
وتقفو تبَسْةً آثارها  
ويدفعها العربيُّ التَّبَسِيُّ الشَّـ  
ويُجرِي العلومَ بأوصالها  
على العربي الشَّـهيد، صلاةً

بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٩٥٦م، حَوَّلت الطائرة المغربية المقلة للزعماء الخمسة المتوجهين لحضور مؤتمر بتونس؛ حيث أُودعوا السجن بفرنسا إلى غاية مارس ١٩٦٢م.

تعددت أطیاف الثورة وتنوعت أساليب احتجاج الشعب الجزائري، وبات ضروريًّا رفع درجة الضغط على فرنسا الاستعمارية بالإضراب سنة ١٩٥٧م.

قال مفدي زكرياء:

فعاثت بعرض البلد فساداً  
تبارك شعبٌ تحدى العناداً  
ووجَّنت فرنسا لإضراب شعُـ  
بكت، فضحكتنا ... وقال الزمان:

وقال أيضًا:

وقام تجارنا خطينا  
فَشِدَّنا بهذه، وذاك، البناءـ  
مصالتنا، فبهمنا الدُّـناـ  
مشاتلنا، فقطفنا الجَـنـىـ  
وكم عاش طلابُـنا حربـنا  
وغمَّ النَّـضـالـ وفاضـ النَّـوـالـ  
ومن عرقـ الكـادـحـين صـنـعـناـ  
ومن نَصَـبـ الـزارـعين غـرسـناـ

صادق البرلان الفرنسي في 1 يونيو ١٩٥٨ على تعيين ديغول رئيساً للحكومة الفرنسية، وخُوّل له كامل السلطات ورَكِّزَها بيده، دون إخضاع سياسته المطلة على رقاب الجزائريين لأي رقابة شعبية.

انتُخب رئيساً لفرنسا في يناير ١٩٥٩، وصار من الأكيد بعد عدم قدرته على إخماد الثورة البحُث عن سبل ودية للمصالحة والتفكير في أي مشروع يؤدي إلى وقف التصعيد. أعلن ديغول، لتحقيق ذلك مشوّعاً اجتماعياً في ٣ أكتوبر ١٩٥٨ أم أطلق عليه مشروع قسنطينية لكسب ثقة الشعب الجزائري ومحاولة عزله عن الثورة.

بدأ الصف الفرنسي يتصرّع وظهرت أزمة بين «سالان» وديغول، وتكلّلت ضدّ ديغول كل التيارات الداعمة لفكرة «الجزائر فرنسية».

#### (٩-٢) مظاهرات ١١ ديسمبر ١٩٦٠ م

كان لإلقاء الثورة في الشارع واحتضانها من طرف الشعب الأثُر البالغُ على السياسة الاستعمارية، وفضح جرائمها أمام الرأي العالمي. إثر المطالب المتعددة لتقدير المصير، خرجت مسيرات حاشدة للجزائريين في مظاهرات بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٦٠ م، فقوبلت بقمع المشاركين والتنكيل بالداعين إليها.

فيما عام ستين قص علينا  
فضائح جيش يذوب غليلاً  
هموا زرعوا، فأقمنا الدليلاء  
ويا زارع الموت في أرضهم

#### (١٠-٢) مظاهرات ١٧ أكتوبر ١٩٦١ م

وذاق العذاب الأليم الوبيلا  
وكم صنعوا المذهل المستحيلا  
أهالوا عليه التراب الثقيلا  
من الداء والغدر عاش عليلا  
فاللهب منه القصاص الفتيلا  
وكم أحقوا بالمهاجر ذلاًّ  
سل السين كم قذفوا من ضحايا؟  
وسل في المناجم كم من قتيل  
وكم في سجون فرنسا بريءُ  
هو الحقد طير صبر الرصاص

بعد استفتاء شعبي ٨ يناير ١٩٦١ م في فرنسا والجزائر كان لصالح تقرير المصير في الجزائر بدأت المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، وهو نفس التاريخ الذي حُلَّ فيه الاتحاد العام للطلبة المسلمين واعتُقل أعضاؤه.

## (١١-٢) المفاوضات

٢٠ مايو ١٩٦١ م مفاوضات بين الوفد الجزائري: «كريم بلقاسم، وأحمد بومنجل، وسعد دحلب، وأحمد فرنسيس، وقائد أحمد، ومحمد الصديق بن يحيى، وعلى منجلي»، والوفد الفرنسي: «لويس جوكس، وبرنارد تريكو». وقد شهدت «منظمة الجيش السري» سنة ١٩٦١ م اغتيالات في صفوف مناضلي جبهة التحرير والمعاطفين مع ديجول.

بعد مصادقة المجلس الوطني للثورة بطرابلس في ٢٧ فبراير ١٩٦٢ م على أرضية المفاوضات بين الوفدين الجزائري والفرنسي، تقرر الشروع في المفاوضات يوم ٧ مارس ١٩٦٢ م بإيفيان، توصل الجانبان إلى اتفاقٍ يسري مفعوله بداية من يوم ١٩ مارس<sup>١٤</sup> م ١٩٦٢.

- إطلاق سراح المساجين خلال ٢٠ يوماً من اتفاق وقف إطلاق النار.
- يبقى الجيش الفرنسي في الجزائر لغاية يوم تقرير المصير.
- إنشاء حكومة تنفيذية.
- يختار الجزائريون بين الاستقلال التام أو الارتباط بفرنسا.
- احتفاظ الفرنسيين الذين يريدون البقاء في الجزائر بين الجنسية الفرنسية والجنسية الجزائرية.
- احتفاظ الأوروبيين بأملاكهم في الجزائر.
- مصالح فرنسا في الصحراء تبقى مضمونة لمدة ٥ سنوات.
- تبقى القاعدة العسكرية بمرسى الكبير مؤجرة لفرنسا لمدة ١٥ سنة.

<sup>١٤</sup> انظر الصفحة الرئيسية لجريدة «الفيقارو» الفرنسية: الملحق رقم ١٣، ص ١٦٧.

أَتَى أَمْرُنَا صَارَحًا فَانْطَلَقْنَا  
وَفَاوْضَنَا الْقَوْمُ فِي أَمْرُنَا  
وَقَالُوا: سَنُجْرِي عَلَيْهَا اقْتِرَاعًا  
فَرْنَسًا ... تَنَاسِيَّتْ مَا لَيْسَ يُنْسِي  
وَأَجْرَى عَلَيْنَا الرَّصَاصَ انتخابًا  
وَقَلَّا وَقَالَتْ لَنَا الْكَائِنَاتْ  
فَلَمْ نُكُنْ نَرْضِي بِنَصْفِ الْحَلُولِ  
وَدِيغُولُ الْقَى بِيَادِقَهُ  
وَخَافَ الْحَوَاجِزَ تَحْمِيَ الْغَلَةَ  
وَفَكَرَ دِيغُولُ فِي حَمْقِهِمْ

وَلُدْنَا بِوْحَدْتَنَا فَانْعَتَقْنَا  
وَأَمْرِ سِيَادَتَنَا ... فَرَفَضْنَا  
بِلَا وَنَعَمْ - خَدْعَةَ - فَاعْتَرَضْنَا  
أَمَّا فِي نُوْفَمْبَرَ ... كَنَا اقْتَرَعْنَا  
وَخَضَبَ أُورَاقَنَا فَانْتَخَبْنَا؟  
خَذْنَا حِذْرَكُمْ وَاثْبَتْنَا فَثَبَّتْنَا  
وَلَا بِالْدُومَنِيَّونَ نَحْنُ انْخَدَعْنَا  
فَطَاوِلَهَا رُخْنَا فَانْتَصَرْنَا  
وَتَبَكَّيَ فَرْنَسَا لَهَا فَضَحَّكَنَا  
وَفِي صَدْقَنَا ... ثُمَّ قَالَ: «فَهَمْنَا»

في يوم ١ يوليو ١٩٦٢ مُ أُجْرِيَ الْاسْتِفْتَاءُ، عَبَرَ ٦ مِلَيْيَنْ جَزَائِيرِي عن رأيهِمْ في الْاسْتِقْلَالِ  
الْتَّامِ: ٥٩٥١٥٨١ صوتًا بِنَعَمْ، وَ٥٣٤٦٠ معارضًا.<sup>١٥</sup>

## (١٢-٢) التفاتة طيبة لدور الحيوان إبان ثورة التحرير

سَخَّرَ اللَّهُ تَبارُكَ وَتَعَالَى الْحَيْوَانَ لِلإِنْسَانِ فِي حِلِّهِ وَتَرَحالِهِ وَحَمْلِ أَنْقَالِهِ، يَقُولُ تَعَالَى  
فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَالْأَنْعَامُ حَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءُ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَلَكُمْ فِيهَا  
جَمَالٌ حِينَ تُرْيَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ \* وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْرِ إِلَّا بِشَقَقِ  
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ \* وَالْخَيْلُ وَالْبَيْغَالُ وَالْحَمِيرُ لِتَرْكِبُوهَا وَزِينَةٌ وَيَخْلُقُ مَا لَا  
تَعْلَمُونَ﴾ (الآيات: ٨-٥).

على نهج القرآن الكريم، عَدَّ مُفْدِي زكريا مناقب الحيوان إبان الثورة التحريرية،  
ودوره الدقيق في نقل السلاح، وحرق مزارع المعمرين، وتضليل العدو، وفي السكوت عن  
إصدار أصواته إذا تعلق الأمر بسلامة المجاهدين.

<sup>١٥</sup> عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢ م.»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٤٦٠. ورقة التصويت، الملحق رقم ١٤، ص ١٦٨.

أينسى مغامرة الحيوان؟  
وهل ببطولاتها يُستهان؟  
ثقيلاً فيكبره الثقلان  
ويغشى المعاهم ثبت الجنان  
فيخلع بالرعب قلب الجبان  
وقد عاف ذل الشقا والهوان  
ويخدع أحلاسه بالأمان  
ويهوى التميمة بالطيران  
لما أحرز الشعب كسب الرهان  
فأذكى التحيات يا حيوان  
إذا الشّعر خلَدْ أسد الرهان  
أينسى البغال أينسى الحمير  
سلام على البغل يعلو الجبال  
وعاش الحمار يُقلُّ السلاح  
وببارك فأراً يوزع ناراً  
ويلقى الشهادة شهماً كريماً  
وطوبى لعنزٍ يضلّ جنداً  
وللكلب يهجر طبع النباح  
فلولاك يا حيوان الفدا  
بذكراك تعترِّز إلياناتي

ومن طرائف الشاعر مفدي مع الحيوان، هجاؤه لحمار الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أسقطه من على ظهره بنظمه لأبياتٍ في مأدبةٍ أقيمت على شرف المشاركين في المؤتمر الخامس لطلبة شمال إفريقية المسلمين بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٣٥م:<sup>١٦</sup>

أبَت بالجوع والضرب الوجيع  
وهو ذو قدر على الأرض رفيع  
كمار هادئ الظهر وديع  
يا حمار الشيخ لا نلت المنى  
كيف أسقطت على الأرض امرأً  
تتمنى الشمس لو تغدو له

### (٣) الاستقلال الوطني

ويُعلن الاستقلال مدوياً في سماء الجزائر معلناً الخلاص من ربقة الاستعمار، ومبشراً بعده ينعم به الجزائريون في كنف الحرية على مبادئ مقومات الأمة الأساسية التي ضحت من أجلها القوافل من خيرة هذا الشعب الأبي، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام: ١١٥) اقتبس صاحب

<sup>١٦</sup> مفدي زكريا، «أمجادنا تتكلّم»، مؤسسة مفدي زكريا والوكالة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص ١٣٦.

## الحركة الوطنية الجزائرية

الإلياذة من هذه الآية الكريمة حقيقة أزلية وسُنة كونية، مفادها أنَّ بعد العسر يسراً، وأنَّ من جَدَ وجَد، وأنَّ من قام دون حقٍّ مدافعاً ومطالباً ومضحياً كان على الله نصره على أعدائه.

فرضنا إرادتنا الفارعه  
وصُغنا مصائرنا بالرَّصاص  
وتَمَّت بها كلماتُ الإله الـ<sup>ا</sup>  
ولاحَ الخلاصُ بِحُلمِ الليالي  
ودُوَى نشيدُ الجزائر يغزو الدُّ<sup>ا</sup>  
ولم تُخْبُ نيراننا الدالعه  
وبالرأي والحجَّةِ القاطعه  
تي وقعت باسمها الواقعه  
ترفرفُ أعلامه اللامعه  
نا قسمًا بالدماء الناصعه<sup>١٧</sup>

بدأت ثورة البناء والتثبيت مستلهمةً قواعدها وسياساتها وأهدافها الاستراتيجية من بيان أول نوفمبر الذي أسس لمشروع دولة مستقلة تحفظ فيه الحقوق وتصان الواجبات، ويتحقق فيها النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وَقَمَنَا نُشِيدُ صَرْحَ الْبَلَادِ      وَتَبَنَّى سِيَادَتَنَا الطَّالِعَه

<sup>١٧</sup> النشيد الوطني الجزائري. انظر الملحق رقم .١٢



## الفصل الرابع

# جزائر العلم والنهضة الفكرية

كان فضل الجزائر على الأمة العربية والإسلامية خاصة وإنسانية عامة بارزاً من حيث مساهمة علمائها في نشر العلوم الشرعية واللغوية والتجريبية، وإنه من دواعي الاعتراف بالجميل، وإظهار هذا البُعد الحضاري الذي تميّزت به الجزائر أن تُلقى الأضواء وتُتنَظَّم الملتقيات لإبراز حياة ومؤلفات هؤلاء العلماء.

### (١) علماء الجزائر ... المفخرة الوطنية

أشاد مفدي زكريا بأبي حمزة، والأخضرى، وأبى مروان الذين نبغوا في شتى العلوم وبالأخص في الرياضيات.

تُجلُّ كفاح النقوس العظيمه وأفكاره النيرات العلieme وآراءه الناصعات السليمه تصدّى لفك الرموز القديمه تموجُ به المعجزاتُ الجسيمه	أصالة هذى البلاد الكريمه تحيي أبا حمزة في بناتها وتكبر عالمها الأخضرى وعالم بونة مروان مهما عباقر أرض الجزائر كونُ
---	--

## (١-١) أبو حمزة

هو علي بن ولی بن حمزة المغربي، عالم رياضيات جزائري، ولد سنة ١٥٥٤ م في الجزائر، حفظ القرآن الكريم بها ثم انتقل إلى إسطنبول في عهد مراد بن سليم. من مؤلفاته الشهيرة «تحفة الأعداد لذوي الرشد والسداد» و«تحفة الأعداد في الحساب» الأول كتبه في إسطنبول والثاني بمكة المكرمة. كان بفضل بحوثه ودراساته من المؤسسين لعلم اللوغاريتم. عُيِّن خبيراً للحسابات بديوان المال في قصر السلطان العثماني، بعد وفاة والده، رجع ابن حمزة إلى الجزائر وامتهن التجارة، تُنسب له «المسألة المكية» في حساب النخل.<sup>١</sup>

## (٢-١) الأخضرى

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضرى من بنى سليم، ولد سنة ٩٢٠ هـ الموافق ١٥١٤ م في بنطيوس بالزاد الغربي.<sup>٢</sup> تلمذ على أبيه محمد الصغير وشقيقه الأكبر الشيخ أحمد، ومن أساتذته كذلك عبد الرحمن بن لقرون والخروبى، وعمر بن محمد الكمام المعروف بالوزان، درس في جامع الزيتونة العامر، وقد أخذ عنه العديد من المشايخ والطلبة والباحثين رغم حداثة سنّه في عدیدٍ من علوم الفلك واللغة والفقه والتوحيد وأصول الدين والتصوف. تُوفي — رحمه الله — على أرجح الأقوال سنة ٩٥٣ م، وترك موروثاً علمياً نفيساً، نذكر منه:

- مختصر الأخضرى على مذهب الإمام مالك.
- المنظومة القدسية.
- السلم الرونق في علم المنطق.
- الدرة البهية في نظم الاجرومية.

١. هدى الصادق أرحومه، المجلة الجامعية، العدد ١٥، المجلد الأول، جامعة طرابلس، ٢٠١٣ م، ص ١٨٠.

٢. بوظيانى الدراجى، «عبد الرحمن الأخضرى العالم الصوفى الذى تفوق فى عصره»، الطبعة الثانية، البلاد، الجزائر، ٢٠٠٩ م، ص ١٤.

- اللامية في مدح الرسول ﷺ.
- أزهر المطال في علم الأسطرلاب.
- الدرة البيضاء.

ُعرف عنه نظم القصائد في العديد من المواضيع التي له باع عظيم فيها. نورد على سبيل الذكر أبياتاً في الرياضيات يقول فيها:<sup>٢</sup>

من مثله كالصفر من صفر بدا  
فاقنع إدأ بعدي قد اعتلى  
فيما عدا الآخر ذي الإتمام  
من الذي من تحته قد شهرا  
والصفر كافٍ إن طرحت العددا  
وإن يك الصفر الذي من أسفلها  
وكل ما ذكرت من أقسام  
لأنه حتماً يكون أكثرها

وله قصائد في غير الرياضيات والحساب والعلوم التجريبية، تلحق قصيدة على  
سبيل الإشارة فقط.<sup>٣</sup>

### (٣-١) طفيش

خَصَّ مُفدي زكرياء مقطعاً كاملاً للتنويه بالشيخ طفيش محمد بن يوسف، لمرتبته  
العلمية ونضاله المستميت.

ومن عاش بالفَكِير يصنع أَمَّه  
وصان لنيل الرسائلات حُرمه  
ويفرِي الظَّلام ويُلْهِب همه  
فأَخْلَصَ للحرفِ عهداً وذمه  
وصانَ عن الجدلِيات علمه  
طُفِيش سقياً ... قطب الأَيمَه  
ومن شقَّ بالعلمِ دربَ الحياة  
ومن قطعَ العَمر يغزو الكتاب  
ودانَ له الحرف بالحالات  
وأنصفَ مَن خالفوه اجتهاً

<sup>٢</sup> بوزيانى الدراجى، مرجع سابق، ص ٥٩.

<sup>٤</sup> ملحق رقم ٣، ص ١٥١-١٥٤.

هو قطب الأمة الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن بكر الحفصي أطفيش، أشهر علماء المذهب الإباضي في العالم الإسلامي الحديث، ولد سنة ١٤٣٧ هـ / ١٨٢١ م ببني يزن.

نبغ في عائلة يميزها العلم والتدين، توفي والده – رحمه الله – وهو ابن الخامسة من العمر، وحرست والدته على تربيته وتعلمه، فحفظ القرآن الكريم.

تلمذ على يد أخيه إبراهيم بن يوسف أطفيش وعمّر بن سليمان وسليمان بن يحيى وإبراهيم بن يوسف بن عيسى، أنشأ معهداً للتدريس وتلمذ على يديه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، أبو اليقظان، إبراهيم الإبريري ... وسلامان الباروني وسعيد بن تماريت وأحمد الرفاعي وغيرهم.

له عدة مؤلفات، من بينها: تيسير التفسير، وداعي العمل لليوم الأمل، وهميان الزاد إلى دار الميعاد، وتلقين التالي لآيات المتعالى، وترتيب الترتيب، والرد على الصفرية والأزرقة، وشرح كتاب النيل وشفاء العليل. توفي – رحمه الله – سنة ١٤٣٢ هـ / ١٩١٤ م.

ونبغ كذلك في الجزائر الشاعر ابن الفكون، محمد القسنطيني، عبد القادر البحاوي، حمدان بن الونسي، ابن باديس والشيخ عاشور.

ذكرنا بها الأعصر الذهبية	ذكرنا بسرتا نفوساً أبيه
وأولادها العبرة	معاهد تزخرُ علمًا وفضلاً
بوحي خميلاتها السندينيه	يصوغ ابن فكون فيها الشوادي
محمد من شرف العربية	تزهو قسنطينة بابنها
فتخلج منها الورود الندية	قوافيه تسري بأنفاس سرتا
وواصل حمدان صنعت البقيه	وخلد سرتا البحاوي الضليل
لعشور في هجوه للبريه	كأن الحطينة عاش مدینا

#### (٤-١) ابن الفكون

هو عبد الكريم الفكون، ولد بقسنطينة سنة ١٤٨٠ هـ / ١٩٨٨ م، من عائلة عريقة ومحافظة، كانت بيدها إمارة الحج لبيت الله الحرام، كان والده إماماً بالجامع الكبير بقسنطينة، تلقى على يديه العلم الشرعي واللغوي وحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف، تلمذ

كذلك على الشيخ سليمان القشي وعبد العزيز النقاشي وأبي عبد الله محمد الفاسي المغربي ومحمد التواتي المغربي ومحمد بن راشد الزواوي.

أورد شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون تعريفاً بجد والده الشيخ أبي زكريا يحيى بن محمد الفكون — رحمه الله — في كتابه «منشور الهدایة» في كشف حال من ادعى العلم والولاية» يقول فيه: «وممن يُذکر في المدينة المذكورة، الجد أبو زكرياء يحيى بن محمد الفكون جد والدي، كان — رحمه الله — من العلماء المتقنين البارزين، وكان من له اليد الطولى في الفقهيات، ومنمن يعرف المدوّنة<sup>٦</sup> وكان من المعتنين بها، وله حاشية عليها بدعة في معناها، ضمّنها نوازل ووقائع قلًّا أن توجّد في المطولات، وهي مسودة بخطه — رحمه الله — ولم تخرج منها نسخة إلا ما يُذکر أن نسخةً أخذها الوادين، وكان من فقهاء البلدة لم تُوجَد للآن، وكان الجد ممن تصدّر الإفتاء في زمن مشيخة أكابر وهو أسنُ من الشيخ الوزان إلا أنه عاصره».<sup>٦</sup>

نبغ في العلوم وتولى التدريس بالجامع الكبير بقسنطينة، وخلف أباه بعد وفاته — رحمه الله — في الإمامة والخطابة. يقول المؤرّخ المهدى البواعبدي الجزائري عن إمارة الحج: تخرّج على يدي الفكون العديد من الطلبة، أشهرهم: أبو مهدي عيسى الثعالبي، برّكات بن باديس، علي بن عثمان بن الشريف، أبو سالم العياشي المغربي، محمد وارث الهاروني، محمد البهلواني، وغيرهم.

تُوفي — رحمه الله — في ٢٧ ذي الحجة ١٠٧٣ هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٦٦٢ م عن عمر يناهز خمساً وثمانين سنة.

## من آثاره

- «منشور الهدایة» في كشف حال من ادعى العلم والولاية، طبع سنة ١٩٨٧ م، بعناية الدكتور أبي القاسم سعد الله — رحمه الله.
- «فتح الهادى» في شرح جمل المجرادي ومخارج الحروف من الشاطبية.

<sup>٦</sup> هو الكتاب المشهور في الفقه المالكي، وقد رواه سحنون عن أبي القاسم عن مالك بن أنس.

٦ منشور الهدایة في كشف حال من ادعى العلم والولاية، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، تقديم وتحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م، بيروت، ص ٤١.

- «الدرر في شرح المختصر.»
- «شرح البسط والتعريف في علم التصريف.»
- «فتح المالك في شرح ألفية ابن مالك.»

#### (٥-١) محمد القسنطيني

هو محمد بن عيسى الشاذلي البوزidi القسنطيني، عالم جليل وأديب مشهور، ولد في قسنطينة سنة ١٨٠٧م، بدأ دراسته في قسنطينة، وقرأ الفقه على الشيخ السعيد طبال الشيخ، واللغة والأدب على يد الشيخ مصطفى باش طرزي والشيخ أحمد العباسi<sup>٧</sup> وتولى القضاء المالكي في قصر أحمد باي، وكان بمجلس حكمه الشيخ المكي بن باديس، جد الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد بن عزوز، كما اشتغل بالتدريس، وتولى إدارة المدرسة الكتانية منذ تأسيسها عام ١٨٥٠م، ودرس فيها علوم الشرع واللغة، لازم الأمير عبد القادر بفرنسا، توفي — رحمه الله تعالى — بقسنطينة سنة ١٨٧٧م.

#### (٦-١) عبد القادر الجاوي

الشيخ عبد القادر الجاوي من رواد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومناضل في الحركة الوطنية، ولد سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م. وُعرف بتسمية «دائرة المعارف» لغزاره علمه، من مؤلفاته الشهيرة «منظومة اللمع في إنكار البدع»، توفي — رحمه الله — سنة ١٣٢٢هـ/١٩١٣م.

#### (٧-١) حمدان بن الونسي

هو الإمام العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد حمدان الونسي، ولد سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٦م بقسنطينة، تلمذ على الشيخ عبد القادر الجاوي، وامتهن التدريس بالجامع الكبير بقسنطينة بداية من سنة ١٨٨١م. برع في علوم الشرع واللغة، تلمذ على

<sup>٧</sup> أبو القاسم محمد الحفناوي، «كتاب تعريف الخلف ب الرجال السلف»، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، ١٩٠٦م، ص ٣٨٦.

يديه الشيخ العربي التباني، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ سعيد بهلول الورتلاني، والمفتى محمود بن دالي كحول وغيرهم.

رحل الشيخ حمدان الونسي إلى البقاع المقدسة واستقر بالمدينة المنورة ودرس بالحرم النبوي إلى أن وافته المنية – رحمه الله – سنة ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م ودُفن بالبقاء.

#### (٨-١) الشيخ عاشور

هو أبو الفيض عاشور بن محمد بن عبيد بن أبي عبد الله محمد المسعود بن أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي الخنقي الشهير بالشيخ عاشور، ولد في خفقة سيدي ناجي ببسكرة سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م، ونشأ في محيط يجلُّ العلم ويشعَّ خلقاً حميداً. حفظ القرآن الكريم والحديث والمتون، تنقل في طلب العلم بين بسكرة وتونس وقسنطينة وبوسعادة، وتتلمذ على الشيخ محمد المكي بن الصديق الونجلي، والشيخ محمد الصالح العبيدي الحمادي، فأخذ عنه الفقه والنحو، وساير الشيخ محمد المدنى بن عزوز. درس في زاوية الهامل، سبق له وأن التقى بشيخ الزاوية صدوق بلاد القبائل، والشيخ الحداد شيخ الطريقة الرحمانية.

له ديوان شعر شهير «منار الإشراف» على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف، تم طبعه سنة ١٩١٤ م بالطبعية الثعلبية بالجزائر، قامت السلطات الاستعمارية ببنفيه في إقليم «تعظميت» لقربه عقد من الزمن ثم عاد للزاوية القاسمية للعمل بوساطةٍ من مفتى الجزائر الشيخ سعيد بن زكري.

#### ومن أشعاره

أنا مُغيَّرٌ عَلَيْهِ، لَمْ أَرَلْ  
صَخْرَةَ الْوَادِيِّ، عَلَيْكُمْ لَا تَرْوَلْ  
مَنْ يَسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ شَاعِرًا  
يَضْعُ الأَعْرَاضَ فِي أَنْيَابِ غُولٍ

تُوفِيَ – رَحْمَهُ اللَّهُ – فِي مَدِينَةِ قَسْنَطِينَةِ سَنَةِ ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م.

## (٩-١) نادي صالح باي

أسَّس جمُّعٌ من علماء الجزائر نادي صالح باي بقسنطينة:

صالح باي الشهيد الضحيّة	وقف بالرُّبُوع يُفاجئك نادٍ
هُدَاة إلى القيم السلفيّة	تطاير فيه دعاءُ الصلاحِ الـ
وِيُعلي الرءوس، ويذكي الحميّة	وجاء ابنُ باديس يغزو الظلامَ

نادٍ أسَّسه نخبة من المثقفين الجزائريين سنة ١٩٠٧ م في قسنطينة. وهو نسبة إلى صالح باي. ولد صالح باي في مدينة أزمير بتركيا سنة ١٧٣٩ هـ / ١١٣٧ م ثم انتقل إلى الجزائر والتحق بفرقة الأوجاق بقسنطينة، عينه باي قسنطينة أحمد قلي قائد الحراكتة بالأوراس سنة ١٧٦٢ م، ثم تولى منصب خليفة الباي بقسنطينة سنة ١٧٦٥ م، يعود له فضل تدوين وتوثيق الأموال الواقعية في قسنطينة وتطوير الزراعة، يُروى أنه نُفذ فيه حكم الإعدام خنقاً من طرف الداي بابا حسن بحسن القصبة بقسنطينة في سنة ١٧٩٢ م، وقد استعطفت هذه النهاية قلوب سكان قسنطينة واستنكروا إعدامه وأصبح بفعل أعماله مفخرة لهم.

## (١٠-١) أبو مروان

ولد أبو عبد الملك مروان بن علي بن محمد البوسي في قربطة، وتتلذذ على يدي والده حفظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية وعلوم اللغة.

نهل من علماء تلمسان والقيروان والمغرب؛ فدرس عن علي القابسي وأبي جعفر الداودي من أئمة المالكية ببلاد المغرب ثم استقر ببونة، كان عالماً ورعاً معروفاً بالصلاح، تتلمذ على يديه حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي وولده علي بن مروان. من مؤلفاته الشهيرة شرح موطن الإمام مالك، وشرح ل الصحيح البخاري، توفي — رحمه الله — بمدينة عنابة سنة ٤٣٩ هـ ودُفن بها.

## (٢) إشادة ببرجال النهضة في المشرق العربي

وفي تواصلها وتفاعلها مع العالم العربي والإسلامي استهتمت النخبة الوطنية أفكارها ومناهجها ونضالها في الإصلاح من رموز النهضة المشرقية التحررية أمثال: الشيخ رضا، ومحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، وتورى السعدي، وعمر المختار، وشامل الداغستانى، وسليمان البارونى، وشكيب أرسلان ...

فيقفو رشيدُ خطاؤ الحكيمه  
فتلهبُ في الثنائين العزيمه  
وشاملُ والروسُ تلقى الهزيمه  
وقتك سليمانَ يمحو الجريمه  
فترجفُ منه النفوسُ السقيمه  
وفي الشرق، يبهروننا عبدُ  
وأفغانُ تروي جهاد جمالِ  
وثوري السعدي في غينيا  
ومختارُ تلقي به الطائرات  
وصوتُ شكيب يهُز الدنا

رواد من العالم الإسلامي آتوا على أنفسهم رفع تعاليم الدين والنصر لمتطلباته في إقامة نظام حياة على أسس من التوحيد الخالص والأخلاق السامية والمنهج الربانى القويم، عظمت فيه شعائر الله واستنارت نفوس المسلمين، وتوسّعت فيه رقعة الأمة الإسلامية. كان أول تحدي مشترك بين كل هؤلاء الدعاة والمصلحين، طرد الاستعمار من الديار الإسلامية وتجديد الروح الإيمانية في مناهج الفكر والتربية والتعليم وأساليب تسيير الشأن العام للMuslimين، ولقد ذاق الرواد المصلحون في الأمة الإسلامية ويلات القمع والتشريد والتخليل والنفي من الأوطان في سبيل نهضة شعوبهم ورقى همتها في الدفاع عن هويتها.

«ففي اتجاه مكافحة المحتل الغاصب تجد أعلاماً ضحوا براحتهم، وأفنتوا صحتهم ثائرين على الاحتلال، مرحبين بعذاب السجن، وأليم الجوع، ومرير البرد، حتى تعلو كلمة الله، ومن هؤلاء: عبد الحميد بن باديس، وعبد العزيز جاويش، ومحمد البشير الإبراهيمي، ولهم مع ذلك صرخاتهم البيانية في إيقاظ الرقود وإلهاب النفوس». <sup>٨</sup>

ويُحسب ذكر رواد النهضة في إليانة الجزائر إلى ثقافة مفدي زكريا المتشبعة بخصال الحق والجهد بمحاسن كلٍّ من قدم تضحية في سبيل إعلاء الأمة العربية والإسلامية.

<sup>٨</sup> محمد رجب البيومي، «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين»، الجزء الأول، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥ م، ص ٦.



## الفصل الخامس

# جزائر ما بعد الاستقلال

وتتحقق للجزائر استعادة حريتها، وتنطلق السياسات بأشكالها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مجتهدة لرفض التبعية الأجنبية ومسايرة تطور المجتمع الجزائري. رغم التوجهات الأيديولوجية في دفع التنمية الشاملة حافظت الجزائر على مركز إشعاعها الديني والثقافي، وظهر ذلك في بناء المساجد، ونشر التعليم الديني وإدراج مقومات الأمة في مناهج التربية والتعليم، رغم بعض المحاولات اليائسة الغربية عن الشعب الجزائري في أصله وفي معتقده، والتي سُرّرت كل جهدها في بُعْث تيار التغريب، وإبعاد مظاهر الأصالة الوطنية من المشهد السياسي والثقافي والجامعي.

تسامت مَصادر إشعاعنا  
تُدَعِّم خالص إيماننا  
مسجد للهُدُي في كل فجٍ  
تنيرُ السَّبِيل لأجيالنا

ونَوَّه مُفدي زكريا بالجزائريات الأصيلات الالتي أنجبن للوطن مَن يحفظ قيمه ويذود عن مقدساته.

كانت عوامل النهضة الفكرية بارزة لدى علماء الجزائر وشبابها وشاباتها، والشاهد على ذلك تنظيم ملتقى الفكر الإسلامي السنوي فيها، وكان جامعاً لطاقات الفكر في العالم العربي والإسلامي، ويعود له فضل التنظير والتأسيس لفكرة سليمٍ أصيل.

وكانت شهادة مفدي زكريا بوزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية في حفظ كتاب الله، والمساجد، وتعاليم الدين الإسلامي أصلية؛ إذ يقول:

أعادت لعلم الكتاب وقاره سما بالبناء، وأرسى جداره يوجّه صدق الضمير حواره منابع إشراقه في الوزارة	رعى الله في العاملين الوزارة جهاد الوزارة نورٌ وحقٌّ وكم خَلَدَ الملتقى مهرجاناً روح الأصالة تسمو بشعبٍ
--	--

ولعل من أبرز التأصيل الواجب الثناء على من أحسن لهذا الوطن، تأبينة الشاعر مفدي زكريا لسفير الجزائر في الصين مصطفى الفروخي – رحمه الله:

أناجيك يا مصطفى في سِمَاك ذهْبَتْ سفيراً لبيكين لكن	وَيَوْمَ عَرَجْتْ تشق السُّمَّاك بُعْثَتْ سفيراً لأفق علاك
--	---

## (١) الاقتصاد الجزائري غداة الاستقلال

واجهت الجزائر غداة الاستقلال وضعًا سيئًا جراء تدمير البنية التحتية لاقتصادها، وانتهاج سياسة الأرض المحروقة من طرف القوات الاستعمارية والخلايا الاستبدмарية للمعمررين. وتميزت الساحة الاقتصادية والاجتماعية بـ“مغادرة جماعية” لحقول الزراعة من طرف المعمررين، وتحويل مدخلاتهم ورؤوس أموالهم، وتعطل الشركات التجارية والصناعية، مما أدى إلى الانكماش الاقتصادي في البلاد. كما ساير هذا الوضع المتردي تفشي الأمراض المعدية، وارتفاع نسبة الوفيات لدى حديثي الولادة والطفولة؛ هذا فضلاً عن البطالة والأمية.

في ضوء هذا الوضع المتردي، بات من الضروري أن تقيم الحكومة الجزائرية الحديثة سياسات اقتصادية واجتماعية تتحمّل فيها أعباء التنمية على عاتقها، معتمدةً في بادئ الأمر على الهياكل والمنشآت الاقتصادية والاجتماعية الموروثة عن الاستعمار، وعلى نمط تسييرها وترسانتها القانونية. كما سعت الجزائر إلى الحصول على الامتيازات المقدّمة من طرف الحكومة الفرنسية بموجب اتفاقيات إيفيان.

اعتمدت الجزائر على سياسة التخطيط المركزي التي ولدت وترعرعت في المعسكر الشرقي، وتم إعلان الأموال التي تركها المعمرون أملاكاً شاغرة، وتبنّت التسيير الذاتي للتعاونيات الفلاحية والاشتراكية للمنشآت الاقتصادية. أُنشئت الدواوين والشركات الوطنية، وأُممت الأراضي والشركات الترولية والبنوك، وضُبطت آليات مراقبتها، وأُعطيت الأسبقية في التنمية والتطوير لقطاع المحروقات ولل فلاحة.

ونُعلي المصانع فيه ونبني غِيف الشريف بعلم وفن بذوب الشريين لا بالتنمي ما ذاهبنا ... راضين التبني	فَقُمنَا نُشيد اقتصاد البلاد وَرُحْنَا نُوفِّر لِلkadhibin الرَّ ويزرع فلاحنا أرضهُ ونصنع من صلب واقعنا
---	--

وفي مقطعٍ آخر:

مُضَمَّخةً بدماء الضحايا إذا بارك السعي صدق النّوايا للمصالحين، زوايا زوايا يد الغاصبين شظايا شظايا	وفي الأرض للزارعين خبايا وفي عمقها تكمن البركات وَقُمنَا نُوزِّع ما أورث الله وَرُحْنَا نجِّمُ ما طَيَّرته
--	---

لم تكن للزعامة الفردية فرصة للبقاء في الجزائر، وحلت محلها الاشتراكية في التخطيط والتسيير والبرامج، مستلهمة من قواعد العدالة الاجتماعية والمشاركة الشعبية معالم في سبيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة.

وإنصافنا في علاج القضايا فجئنّنا الرشدُ كلَّ البلايا	اتخذنا العدالة نهجاً صريحاً ورأيَ الجماعة فيما نراه
---	--

## (٢) من مظاهر الوضع الأخلاقي

ذكر مفدي زكريا بعض مظاهر الزيغ والانحراف التي رآها مستفولة لدى بعض الجزائريين بعد الاستقلال. وصف الانحلال الخلقي من تخنِّث وشذوذٍ وتعاطٍ للمُسكرات والمخدرات، وغلاء المهرور وتفضيل الزواج بالأجنبيات، وكذا التمييع واللهم على المناصب

والمجون والفجور. كما أظهر امتعاضه من انتشار النفايات والقاذورات وتلوث المحيط الخارجي للمدن، وفي كلا الإشارتين تذكر بقواعد الأخلاق والنظافة التي نصّ عليها ديننا الحنيف، والتي من العار أن توجد في بلِد مثل الجزائر الذي شهد أعظم ثورة، وساير تاريخها كل محطات البشرية بطلةً وشهادةً وبنلاً.

وفي خضم هذا التنكر السفيه لمقومات الأمة الجزائرية وتاريخها وبطولاتها وامتدادها للحضارة العربية والإسلامية، نورد ما ذكره الدكتور سعد الله: «إنَّ ثورتنا قد جُرِدت من قيمها، وأصبحت شعارات جوفاء تُعلَن في المناسبات».<sup>١</sup> إضافة إلى الانحرافات الأخلاقية، تفشت في الجزائر مظاهر الانحراف الفكري، وكانت وقتها عابرة للحدود والقارب، ومن بين المظاهر التي ذكرها مفدي زكريا، اعتبار صوت الأذان إزعاجاً، والإنابة إلى الله رجعية مقيمة، والإلحاد حرية فكرية؛ بل وجه من وجوه التحضر والتقدم، وشاعت في البلاد رزایا الخمور والمخدرات وفساد الفكر والأخلاق.

يقول مفدي زكريا:

وَصَهْيَنْ صَهْيُونْ أَخْلَاقُنَا  
فَكَيْفَنَا أَنْ نَكُونْ رَعَى  
وَهُلْ يُحْزِنُ الْعُتْقُ مُسْتَعِمِراً  
وَأَخْلَاقُنَا فِي يَدِيهِ سَبَايَا

وكل هذه المظاهر هي استثناء عن القاعدة العامة التي بُني عليها قوام الشعب الجزائري، وفي ذلك يشيد مفدي زكريا بالشباب الجزائري الواعي والمؤمن بقضية وطنه وامتداد تاريخه وأصالته منبه، وضارب عرض الحائط بكل أيديولوجية منحرفة وكل ضلاله غريبة:

شَابُّ أَصِيلٌ وَفِي الدِّمَاءْ  
وَأَفْلَتْ مِنْ قِفْصِ الْإِتْهَامْ  
شَابُّ تَطَهَّرٌ فِي الصَّمِيرُ  
فَأَعْرَضَ عَنْ شَبَهَاتِ الطَّغَامْ  
وَأَشَرَّبَ مِنْ نَبْعِ إِسْلَامِهِ  
وَفَلْسَفَةِ الدِّينِ، رُوحَ النَّظَامِ  
وَلَمْ يَتَنَكَّرْ لِأَمْجَادِهِ  
وَأَجَادَهِ الْخَالِدِينِ الْعَظَامِ

١ محاضرة الأستاذ أبو القاسم سعد الله، ألقاها في الملتقى الثاني للثورة الجزائرية، باتنة في ١٤-١١ نوفمبر ١٩٩٠م، الواردة في كتابه: «أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر»، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٣.

### (٣) الوحدة المغاربية ... السعي الجزائري

تأسست التكتلات في العالم على قواعد جغرافية وأخرى تاريخية وثقافية، ظهر إيجابياتها في حشد المعسكرات وتوجيه التجارات. وكان توجُّه الجزائر وسعيها المتواصل لجمع القوى الإسلامية وال العربية لتوحيد الصنوف في وجه التكتلات الخارجية التي باتت تهدّد أمن الدول العربية وقراراتها السياسية. ولا شك أنَّ أثراها كان جلياً على الأصعدة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية.

ورغم استحالة الوحدة العربية في تلك الحقبة الزمنية، كان بريقُ أمِل يلوح في أفق المغرب العربي ويشير لوحدة مغاربية، أشاد بها مفدي زكريا بحكم التاريخ المشترك والمقومات التي تقاسمها الدول المجاورة في المغرب العربي من إسلام وعروبة وروابط أسرية وقبلية.

رسالاته من رسول الهدى  
إلى وحدة المسلمين غالباً  
وهل ينكر الخبرُ المبتدأ؟  
مثلاً قويمًا، به يقتدى

هو المغربُ الأكبر المستمد  
ووحدة مغربنا اليوم خطوطُ  
بتوحيد بعض، نوحد كلاً  
فربيماً كان مغربُنا

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿واعتصموا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَإِذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَالَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَّافَةِ حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذِلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٠٣).

بعد التذكير بملتقى الفكر الإسلامي المذكور آنفاً والترحيب بالمشاركين فيه والإشادة بوزارة الشئون الدينية والعاملين فيها، يرفع الشاعر مفدي زكريا أكفَّ الضراعة سائلاً الله - عز وجل - المغفرة والصفح، ثم يعود مفتخرًا ببلاده التي ألهته الحب ووهبها فكره وعمره فوهبته المجد:

وأذكى لهيبُ الجزائر فكري  
وهبتُ الجزائر فكري وعمري

فخلَدَ قدُسُ اللهيب ببيانِي  
وإن يجحدوني فحسبِي أَنِّي

ومن المفاحر في الإلياذة الرُّدُّ على المناوئين لمفدي زكريا في مسألة الشعر وتبيّان أصالة شعره شكلاً ومضموناً، وفي مسألة تفضيله الإقامة خارج الوطن بعد الاستقلال، وما تحتويها من خصوصيات شخصية لا يحق لأي إنسانٍ الخوض فيها، ها هو شاعرنا المفدى يبرز مرة أخرى في آخر مقطع من الإلياذة هيامه بالجزائر وحبه العميق لها ولتاريχها وحضورها البطولي في التاريخ البشري ليختتم شعره الإلياذى مسگاً وعطرًا:

إليك صلاتي وأذكر سلامي      بلادي، بلادي الأمان الأمان

ومن الملاحظ من خلال الإلياذة أنَّ الشاعر مفدي زكريا يتميَّز بشخصيةٍ فذةٍ وفريدةٍ من نوعها، أعظم شأنَ الدين، وأعلى الوطن، وأكرم الشهداء، وأحبَّ كلَّ مقومات الجزائر، وأجلَّ بطولاتها بأسلوبٍ جميلٍ جمالَ طبيعتها ورائعَ روعةَ تاريخها، لم ينتقص قدر أحدٍ من الزعماء، ولم ينتصر لفكرة أو مذهب. تظهر نقاوة سيرته، كذلك في اعتبار كلِّ الدول والممالك التي حكمت الجزائر في العصر الحديث والمعاصر من قبيل القيم المضافة في تاريخ الجزائر رغم تطاحنها وسجالها فيما بينها، فرحمة الله تعالى عليك أيها الشاعر المتمرّس والمناضل الخالص مفدي زكريا.

## خاتمة

بنظمٍ شعري متميز ورصين، استطاع الشيخ زكريا بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، الملقب بمفدي زكرياً أن يُؤرخ ل بتاريخ شعب، ويبزز معالم نبوغه ونهضته ونضاله من أجل إثبات وجوده ونيل حريته وسيادته على أرضه عبر فترات تاريخية متعاقبة شهدت بزوغ فجر البشرية وتنامت فيها حملات الغزو والاحتلال، أرَّخ للبطولة وللقيم السامية التي تحلى بها الشعب الجزائري، وأظهر فخره بأمازيغية الأصل وبعروبة المنبع وبإسلام المعتقد، متذمِّراً من هذه المقومات الأساسية لُحمة الشعب الجزائري وكُنه وجوده في هذا العالم.

إنَّ مشوار الشاعر القدير المستأنِم من دراساته الخلدونيَّة والزيتونيَّة صقلَ قريحته اللغوية، وغذَّى روحه الوطنية، وأضفى على سيرته النضالية نزعةً ثوريَّةً ضد المحتل ومسحةً جماليةً ودلاليةً تواقةً لوصف جمال الجزائر والهياق في سحرها.

من عبقرية مفدي زكريا في الشعر الرابطُ الرائعُ بين العقيدة وجمال الطبيعة في شطر واحد، في قوله:

فلولا جمالك ما صحَّ ديني وما أن عرفت الطريق لربِّي

إشارة جليلة لقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج، الآية: ٦٤).

ومن المآثر التي تتجلى في إليازة مفدي زكريا تلك الرغبة المتواصلة في الشعب الجزائري، الداعية لتحرير فلسطين المحتلة والأملة في توحيد الأمة العربية والإسلامية في زمِن لا مكان للفرقة والضعف فيه.

إليازة الجزائر ملحمة ليست كالكلمات، وكلماتُ ليست كالكلمات. إليازة الجزائر ليست أسطيراً هوميروس ومن نحا نحوه؛ بل ديوان شعر ... بل ألبوم أمة يحتفظ للأجيال بصور التأريخ العريق والحب العميق لمبادئ السلام وحرمة الإنسان وكرامته.

اختلط تركيب الأبيات الشعرية ذكرُ للقيم الجمالية والتاريخية والوطنية؛ فالقيم الجمالية هي كل وصف لجمال الطبيعة التي حبا الله بها الجزائر وللموقع الأثري. أما القيم التاريخية فهي بيان لختلف المحطات التاريخية التي شيدتها بطولة الشعب الجزائري. وأما القيم الوطنية: فهي تركيبة الشخصية الجزائرية من إسلامها وأمازيغيتها وعروبتها.

ولعلَ التناص القرآني هو مَنْ أعطى لإليازة الجزائر بُعداً جماليًّا ونسقاً إبداعياً مميزاً تجلَّت فيه أعظم الدلالات القرآنية والتعاليم السمحنة للإسلام. حاولت أن أقدم مقاربةً تاريخية في هذا البحث المتواضع الموسوم بـ «ملحمة الجزائر»، وأن أراعي التسلسل التاريخي الوارد في إليازة، مستلهماً التوضيح والاقتباس من المصادر الموثقة، متخدًا الحيطة من أباطيل المستشرقين وأراجيف الحاذقين.

بعد التغنى بجمال الجزائر وذكر شمائتها يشق بنا الشاعر مفدي زكريا عباب بحر التاريخ بشموخٍ، مستظهراً معالم الإعجاز في النضال والجمال وتقبلُ الإسلام ديناً، والعربية لغة والجزائر وطنًا. طبع التذكير بأمازيغية الشعب الجزائري وتبنيه للعروبة واعتناق رعيه الأول للإسلام إليازة برونقٍ من الشمائل الوطنية التي جعلت من الجزائر بالفعل مطلع العجازات وحُجَّةَ الله في الكائنات.

يتطرق الكتاب الذي بين أيديكم إلى أبرز الواقع التاريخية، خاصة منذ العهد الفينيقي الذي شهد تعايش الفينيقيين، ووصولاً إلى ما بعد استعادة السيادة الوطنية. أبحر الفينيقيون من فينيقيا واستقروا بسواحل البحر الأبيض المتوسط في القرن 12 ق.م، وأسسوا فيها الموانئ وطوروا التجارة والصناعة، ثم أسسوا قرطاجة فمدينة الجزائر «إيكوسيم» في القرن 6 ق.م. اُعرف السكان الأمازيغ بالنوميديين. كان نظام الحكم

لديهم ملكاً بعدهما كان قبلياً، وما لبثوا أن أعلنا الثورة ضد جور القرطاجيين. برب ماسينيسا كأعظم ملك ببربي، واستطاع بعد معركة زاما الشهيرة أن يوحّد نوميديا وتزدهر في عهده الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

كانت روما تتحين فرصة احتلال الجزائر منذ ٢١٣ ق.م، وجمعت لذلك الجيوش، وألّبت صدور المناوئين للإطاحة بها. أجبر البربر على الدخول في عهد استعماري روماني لازم حياتهم جوراً وقهراً. تزعم يوغورطا حركة التمرُّد على روما وأسس لنظام سياسي مستقل عنها.

أشهر من جاء من بعده يوبا الأول الذي أعلن الحرب على قيصر، ثم يوبا الثاني العالم والفيلسوف، واتخذ من شرشال عاصمةً للمملكة النوميدية. خرجت المقاومة من القصر الملكي ليتزعمها رجال المقاومة، مثل: تاكفاريناس وفيروس وأعلنوا الحرب ضد الاستعمار الروماني.

حلَّ الوندال بِعُدُتهم وعادهم وهمجيتهم مستعمرین للأراضي الجزائرية منذ سنة ٤٢٨ م، وفي حربهم الشرسة ضد القائد بوني fas، احتلوا عنابة سنة ٤٣١ م، واتخذوها عاصمةً لملكهم، وقتل القسيس أغستنس في معركة فك الحصار وهو يدافع عن الجزائر. بوفاة جنسرق، اشتد عضد المقاومة الأمازيغية في المنطقة الشرقية للجزائر، فكان النصر حليفها سنة ٤٨٣ م.

خلفت بيزنطة الوندال وأعلنت سطوة القيصر والاستعباد على رقاب الأمازيغ، لكن ما فتئت أن انتظمت المقاومة الأمازيغية مرة أخرى بعد مرور ١١٣ سنة من الاحتلال البيزنطي.

قتل جرجير، ودبَّ الخور في البيزنطيين، وأفل ليل الاستعمار، وأشرقت شمس الإسلام على العالم مبشرةً بعهد جديد لا عبودية فيه إلا لرب العالمين.

قادَ العرب الفاتحون إلى شمال إفريقيَّة لأول مرة سنة ٢٢ للهجرة، وعُيِّن عقبة بن نافع الفهري – رضي الله عنهما – واليَا على إفريقيَّة في خلافة يزيد بن معاوية، سنة ٥٦٢ هـ/٦٨٢ م، وأعلن الحرب على كسيلة بن لزم القائد البربرى. قُتل عقبة في معركة تهودة رفقة أبي مهاجر. عندما عيَّن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٥٦٩ هـ/٦٨٨ م زهير بن قيس البلوي واليَا على إفريقيَّة، جهز جيشه في طلب كسيلة وجنوده فوَقعت معركة قُتل فيها كسيلة. تولَّت دهيا بنت تابت بن تيفان الشهيرة باسم

الكافنة أمر الأمازيغ فأعلنت الحرب على حسان بن النعمان، ثم تُوفيت سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م بعدما أوصت أبناءها وقبيلتها الأمازيغية باعتناق الإسلام.

عمل حسان على ترقية التعايش العربي الأمازيغي، فعرّب الدواوين وجند الأمازيغ تجنيداً طوعياً، ونظم الخراج والأسواق فتوسّعت رقعة الإسلام في بلاد الجزائر وفهموا تعاليمه، وفتحوا تحت قيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد أفريقيا والأندلس.

ما إن استتب الأمن في بلاد المغرب حتى بدأ التصدع ينخر جسم الأمة فعادت ثورات البربر في الجزائر من جديد رافعةً راية الخروج عن الإمارة الإسلامية، واتخذ التيار الخارجي بداعي النعمة مذهب الصفرية، وانتقل الصراع في بلاد المغرب من حراك مذهبي إلى حرب جارفة بين المسلمين، ظهرت على إثرها دولات مستقلة؛ الدولة الرستمية بمنطقة الزاب وقسنطينة وتلمسان، والدولة الإدريسيّة بمنطقة وهران وشلف ومعسرك، والدولة الأغلبية سكيكدة وسطيف وميلة. توَّلَ عبد الرحمن بن رستم حكم الدولة الرستمية بتiéرت؛ فكانت إسلامية في قضائها، عربية في معارفها، ببريرية في عصبيتها، وفارسية في إدارتها، وإباضية في مذهبها.

وهي أول دولة إسلامية بقيادة ببريرية نشأت في الجزائر. أسس عبد الرحمن بن رستم لنظام الشورى في الجزائر، وعرفت في عهده ازدهاراً اجتماعياً واقتصادياً وأدبياً وحضارياً. نبغ في منطقة الزاب عدد من الأدباء والشعراء أمثال بن تميم الطبني ومحمد بن هانئ بن سعدون الأزدي.

تأسست الدولة الفاطمية في الجزائر على أنماط صراع بين الأغالبة والرستميين. أسس بكلين أشير، ثم مدينة الجزائر على أسس مدينة إيكوسسيوم سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م، وسميت «جزائر بني مزغنة».

تأسست الدولة الحمدانية سنة ٤٥٠ هـ / ١٠١٤ م معلنة ولاءها للعباسيين في بغداد بعد سقوط الدولة الزيرية، أسسها حماد بن بكلين ونبغ فيها الناصر بن علناس. اشتهرت بجایة بالعلم والفنون وتطور الصناعة الحربية وأواني النحاس والفضة، كذا صناعة الشمع وازدهار تجارتها الخارجية.

عرفت الفترة الحمدانية هجرة الهلاليين الشهيرة إلى المغرب العربي، وخاصة إلى الجزائر، وعرف الذهب المالكي أوج انتشاره في عهد الحمدانيين من قبل أبي حفص عمر بن الحسين الصابوني رئيس السادة المالكية في الجزائر في نشر الذهب المالكي.

انتهى حكم الدولة الحمادية من بجاية على يد المرابطين، وأقام يوسف بن تashfin دولة المرابطين التي دعا لها المهدى بن تومرت.

تولى عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي رئاسة الدولة الموحدية، واعتمد المذهب المالكي، وحمل السكان الأمازيغ للعمل بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه. اشتهر في العهد المؤمني أبو مدين شعيب الأندلسي دفين تلمسان.

قامت على أنقاض الدولة الموحدية ثلاثة دول: الحفصية، والمرinية، والزيانية، وظهر هذا الانقسام في فترة تأهب العالم المسيحي لاحتلال العالم الإسلامي.  
في عهد الدولة الزيانية، ظهر أبو يحيى يغمراسن بن زيان الوادي، فشهدت تلمسان في عهده نمواً كبيراً.

ما لبثت الإمارات الإسلامية أن تبسط نفوذها حتى بدأت جحافل الإسبان الصليبية تحوم حول حمى الجزائر. دخل الغزاة الإسبان مرسى وهران سنة ١٥٠٥ هـ / ٩١١ م بتواطؤ يهودٍ بغيض، كل ذلك في ظل هوان للدولة الزيانية.

في سنة ١٥١٦ م لبى الأخوان «عروج» و«خير الدين» لنداء الجزائريين، فكان لهما دور كبير في رد الهجمات الإسبانية عن الجزائر. حكم الجزائر العثمانيون، ولم يكن حكماً مزيلاً لثوابت الشعب الجزائري؛ بل كان معززاً له. كانت علاقة فرنسا بالجزائر ودية مبنية على مصالح مشتركة، حصلت فرنسا على امتيازات تجارية واقتصادية ودبلوماسية.

تفوّت فرنسا من دعم الجزائر إلا أنَّ مشروعها «الحضاري» في استعمار الجزائر كان دائم الحضور في اجتماعاتها وتحالفاتها، وكُلِّف «بوتان» لإعداد خطة هجوم على الجزائر من سيدي فرج في يوليو ١٨٠٨ م. لجأت فرنسا إلى اعتماد وساطة اليهوديين ابن زاهوت ونافتالي بوشناق في تخليص ديون فرنسا نحو الجزائر، وهما اللذان يُؤول لهما حصار الجزائر والحملة عليها ثم احتلالها، وكانت حادثة المروحة من سنة ١٨٢٧ م سبباً واهياً لقرار غزو الجزائر.

تحطَّم الأسطول الجزائري في معركة نافارين من نفس السنة، ووقع أول إنزال بحري للقوات الفرنسية سنة ١٨٣٠ م، ولم يقم الجيش التركي بأي محاولة للدفاع؛ بل يُحسب على الحكم العثماني في الجزائر أنَّ الباشا حسين وقع معاهدة الاستسلام في ٥ يوليو ١٨٣٠ م مع شارل العاشر دون أية مقاومة.

منذ أن وطئت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر بدأ التفكير والإعداد لصد عدوانها عن طريق الثورات الشعبية المنطلقة من المساجد بزعامة الطرق الدينية التي هزّت أركان فرنسا؛ فقد كان السبق العظيم للأمير عبد القادر في تأسيسه للدولة الجزائرية الحديثة. واتسع أفق الثورات الشعبية الجزائر كلها، وكان أبرزها: ثورة الحاج أحمد باي، وثورة أولاد سيدى الشيخ، وثورة محمد بن تومي شوشة وبن شهرة، وثورة الزعاطشة، وثورة محمد الأمجد بن عبد الملك المعرف بالشريف «بوبغة»، وثورة الصبايحية، وانتفاضة أولاد عيدون بالمليلية، وثورة لالة فاطمة نسومر، وثورة المقراني والشيخ محمد أمزيان الحداد وبومرزاق، وثورة الحسين بن أحمد الملقب بمولاي الشقفة، ويعبي بن محمد، وأولاد بن عاشور، وثورة الشيخ بوعمامه، وثورة الشيخ آمود ... إلخ.

برزت الحركة الوطنية الجزائرية بداية من نشاط محمد البدوي، ثم تشكّلت حركة «الشيان الجزائريين» المطالبة بإلغاء قانون الإنديجينيا، وأضاف الأمير خالد دفعاً للحركة الوطنية، وتعزّزت بنشاط جمعية العلماء المسلمين.

مباشرة بعد إعلان انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، خرج الشعب الجزائري فرحاً به معتقداً وفاء فرنسا بوعدها لنيل الاستقلال، فكان رد «الجميل» بمجزرة مروعة استُشهد فيها ٤٥ ألفاً من الجزائريين، حلت على إثرها كل الأحزاب السياسية، وألقت القبض على الزعماء السياسيين والإصلاحيين. تقرر سنة ١٩٤٧ م تكوين منظمة شبه عسكرية بقيادة محمد بلوزداد، ثم تأسست «اللجنة الثورية للحرية والعمل» في شهر مارس ١٩٥٤ م. وفي ٢٥ يونيو ١٩٥٤ م اجتمع الأعضاء الـ ٢٢ من المناضلين الذين آمنوا بالعملسلح.

قامت ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ م المباركة ودوى صداها في الداخل والخارج، وكان رد فعل فرنسا على الثورة الجزائرية متوقعاً: القتل الجماعي، والاغتيالات، والتشريد والتعذيب، والمحاكمات الجائرة ...

لكن على الرغم من ذلك لم يتخَّلَ الشعب الجزائري عن موعد الثورة التحريرية. كان لهجوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٥ م ومؤتمر الصومام ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ م الأثر الإيجابي في فك الحصار على الثورة ودفع قوتها، وملظاهرات ١١ ديسمبر ١٩٦٠ م ومظاهرات ١٧ أكتوبر ١٩٦١ م دور في إسماع صوت الجزائر في المحافل الدولية.

بعد رفض تام لأي تفاوض، ها هي فرنسا تقبل بالأمر الواقع، وتدخل في مفاوضات مع الثورة الجزائرية، انتهت بإجراء استفتاء لتقرير المصير في يوليولو ١٩٦٢م، ثم الإعلان عن استقلال الجزائر في ٥ يوليولو ١٩٦٢م بعد حرب قدّم فيها الشعب الجزائري التضحية والفداء وشارك فيها حتى الحيوان.

عهد جديد بعد الاستقلال لاح في سماء الجزائر مبشرًا بالعيش الرغيد في كنف سياسة مستلهمة قواعدها وسياساتها من بيان أول نوفمبر الذي أسس مشروعها على قواعد عقدية وتحررية ودُوافع للرقى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

إنَّ الجزائر التي تغنى بها مفدي زكريا في إلياذته هي جزائر المعجزات في بطولاتها ومبادئها وحبها لتحرُّر الأوطان المضطهدة وغبطتها في الوحدة العربية والمغاربية والإسلامية، إنها جزائر المعجزات في علمائتها من صف أبي حمزة والأخضر وأبي مروان والشيخ طفيش محمد بن يوسف وابن الفكون ومحمد القسني وعبد القادر البجاوي وحمдан بن الونسي وابن باديس والشيخ عاشور، إنها جزائر المعجزات في تواصلها مع العالم العربي والإسلامي، وفي استلهام نخبتها الوطنية من مناهج النهضة الحضارية في المشرق العربي للشيخ رضا ومحمد عبده وجمال الدين الأفخاني وتوري السموري وعمر المختار وشامل الداغستاني وسليمان الباروني وشكيب أرسلان.

إنَّها كذلك جزائر المعجزات في حفاظها على ثوابت الأمة وعنایتها بدور العبادة والمساجد، وإقامتها للتقييات الفكر الإسلامي، وحفظ نسائها ورجالها وشبابها على مبادئ الدين القويم وارتباطهم بوطنهم المجيد.

هذا رغم زيف وانحراف بعض المحسوبين على الطبع الأصيل للشعب الجزائري والذين صدر عنهم بعض الانحراف الخلقي.

تلك خاتمة أو خلاصة «ملحمة الجزائر» حاولت أن أقف على أهم المحطات التاريخية التي ذكرها مفدي زكريا في الإلياذة بداية من:

جزائر يا مطلع المعجزات      ويا حجة الله في الكائنات

إلى:

إليك صلاتي وأركي سلامي      بلادي بلادي، الأمان الأمان

## ملحمة الجزائر

إنها إلية الجزائر الراخمة بالمواعظ التاريخية والمفاهير البطولية التي حُقَّ لكل جزائري أن يفخر بها ويحافظ على ما حقّه الرعيل السابق من أجل تطورها ونمائها بين الأمم، والبعيدة عن كل عامل من عوامل التفرقة بين الجزائريين.

في أيها النّاس هذِي بلادي  
ومعبد حبي وحلم فؤادي  
وإيمان قلبي وخلص ديني  
ومبناه في ملتي واعتقادي

## **الملحقات**

### **ملحق رقم ١**

إحصائيات القيم في الإليازة.

المقاطع	القيم الجمالية	القيم التاريخية	القيم الوطنية	عدد الأبيات
١٠			١٠	١
١٠	١	٢	٧	٢
١٠	٢		٨	٣
١٠	٣		٧	٤
١٠		٣	٧	٥
١٠	٤		٦	٦
١٠	٢		٨	٧
١٠		١	٩	٨
١٠		٥	٥	٩
١٠		١٠		١٠
١٠	٦		٤	١١
١٠	٣		٧	١٢

ملحمة الجزائر

المقاطع	القيم الجمالية	القيم التاريخية	القيم الوطنية	عدد الأبيات
١٠	٢		٨	١٣
١٠			١٠	١٤
١٠		٤	٦	١٥
١٠	١	١	٨	١٦
١٠	٣	١	٦	١٧
١٠			١٠	١٨
١٠		٢	٨	١٩
١٠		٩	١	٢٠
١٠		١٠		٢١
١٠	٢	٨		٢٢
١٠		٨	٢	٢٣
١٠	٥	٢	٣	٢٤
١٠	٣	٧		٢٥
١٠		١٠		٢٦
١٠		١٠		٢٧
١٠	١	٩		٢٨
١٠		١٠		٢٩
١٠		٧	٣	٣٠
١٠		١٠		٣١
١٠		٩	١	٣٢
١٠		٩	١	٣٣
١٠		١٠		٣٤
١٠		١٠		٣٥

الملحقات

المقاطع	القيم الجمالية	القيم التاريخية	القيم الوطنية	عدد الأبيات
١٠	٣	٧		٣٦
١٠		١٠		٣٧
١٠		١٠		٣٨
١٠		١٠		٣٩
١٠		١٠		٤٠
١٠		١٠		٤١
١٠		٥	٥	٤٢
١٠		٨	٢	٤٣
١٠		٦	٤	٤٤
١٠		١٠		٤٥
١٠		٧	٣	٤٦
١٠		١٠		٤٧
١٠		٨	٢	٤٨
١٠		١٠		٤٩
١٠		٨	٢	٥٠
١٠		١٠		٥١
١٠	٥	٢	٣	٥٢
١٠	٩	١		٥٣
١٠		١٠		٥٤
١٠	٤	٦		٥٥
١٠			١٠	٥٦
١٠		٢	٨	٥٧
١٠		٢	٨	٥٨

ملحمة الجزائر

المقاطع	القيم الجمالية	القيم التاريخية	القيم الوطنية	عدد الأبيات
١٠		٨	٢	٥٩
١٠	٢	١	٧	٦٠
١٠	٢	٤	٤	٦١
١٠	٢	٨		٦٢
١٠			١٠	٦٣
١٠	١	٩		٦٤
١٠	٤	٢	٤	٦٥
١٠		١٠		٦٦
١٠	٨	١	١	٦٧
١٠	١٠			٦٨
١٠	٦	٤		٦٩
١٠	٥	٥		٧٠
١٠	١٠			٧١
١٠	١٠			٧٢
١٠	٥	٥		٧٣
١٠	٦	٢	٢	٧٤
١٠		١٠		٧٥
١٠		٨	٢	٧٦
١٠		١٠		٧٧
١٠	٩	١		٧٨
١٠	١٠			٧٩
١٠	١٠			٨٠
١٠	١٠			٨١

الملحقات

المقاطع	القيم الجمالية	القيم التاريخية	القيم الوطنية	عدد الأبيات
١٠	٨	٢		٨٢
١٠	١٠			٨٣
١٠	٨	٢		٨٤
١٠	٩	١		٨٥
١٠	١٠			٨٦
١٠	١٠			٨٧
١٠	١٠			٨٨
١٠	١٠			٨٩
١٠	١٠			٩٠
١٠	١٠			٩١
١٠		٢	٨	٩٢
١١		١	١٠	٩٣
١٠	١٠			٩٤
١٠	٧	٣		٩٥
١٠	٢		٨	٩٦
١٠			١٠	٩٧
١٠			١٠	٩٨
١٠			١٠	٩٩
١٠			١٠	١٠٠
١٠٠١	٢٨٣	٤٢٨	٢٩٠	الأبيات
١٠٠,٠٠	٢٨,٢٧	٤٢,٧٦	٢٨,٩٧	النسبة

ملحمة الجزائر

ملحق رقم ٢



ضريح يوبا الثاني وزوجته كيليباترا سيليني. سيدى راشد-تبيازة. مصنف ضمن التراث  
العالمي للإنسانية سنة ١٩٨٢م.



صرigh ماسينيسا بالخروب. ولاية قسنطينة. مصنف ضمن التراث الوطني.

## ملحمة الجزائر



تيمقاد مدينة أثرية رومانية. ولاية باتنة. مصنفة ضمن التراث العالمي.



تيبازة مدينة أثرية رومانية، مصنفة ضمن التراث العالمي.

محلق رقم ٣

محلق رقم ٣  
العنوان: ملحمة الجزائر في معركة بور سعيد  
الكتاب: ملحمة الجزائر في معركة بور سعيد  
المؤلف: عبد الرحمن الأخضر  
الطبع: بيروت، لبنان، ١٩٧٢

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠
٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠
٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠
٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠
٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠
٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠
٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠
٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١٠١	١٠٢	١٠٣	١٠٤	١٠٥	١٠٦	١٠٧	١٠٨	١٠٩	١١٠

محلق رقم ٣  
العنوان: ملحمة الجزائر في معركة بور سعيد  
الكتاب: ملحمة الجزائر في معركة بور سعيد  
المؤلف: عبد الرحمن الأخضر  
الطبع: بيروت، لبنان، ١٩٧٢

العنوان: ملحمة الجزائر في معركة بور سعيد  
الكتاب: ملحمة الجزائر في معركة بور سعيد  
المؤلف: عبد الرحمن الأخضر  
الطبع: بيروت، لبنان، ١٩٧٢

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠
٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠
٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠
٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠
٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠
٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠
٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠
٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١٠١	١٠٢	١٠٣	١٠٤	١٠٥	١٠٦	١٠٧	١٠٨	١٠٩	١١٠

منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضر، مخطوط ١ و ٢ / ٧.

## الملاحق



منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى، مخطوط ٣ و٤ / ٧٧

٤٣	وأصحابه من الله أهل العزة والشرف
٤٤	وأرشح العذاب الملعون على كل من ينادي بالله سلطاناً
٤٥	وأرشح العذاب الملعون على كل من ينادي بالله سلطاناً
٤٦	وأرجو من الله أن يغفر لي ما ارتكبته
٤٧	وأرجو من الله أن يغفر لي ما ارتكبته
٤٨	لذلك أدعكم بالصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٤٩	والله الذي لا إله إلا هو
٥٠	والله الذي لا إله إلا هو
٥١	والله الذي لا إله إلا هو
٥٢	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٥٣	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٥٤	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٥٥	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٥٦	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٥٧	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٥٨	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٥٩	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦٠	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦١	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦٢	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦٣	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦٤	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦٥	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦٦	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦٧	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦٨	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٦٩	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته
٧٠	ولله الحمد والصلوة والسلام على النبي وآله وآل بيته

منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى، مخطوط ٥ و٦ /٧.



مخطوط منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى (المراجع: مدونة سيدى بن عزوز البرجي عن خزانة المخطوطات بالمكتبة الموهوبية ببجاية).

ملحق رقم ٤



ملحق رقم ٥



صورة الأمير عبد القادر بن محيي الدين.

## ملحمة الجزائر



مراسيم نقل رفاة الأمير عبد القادر ٥ / ٧ / ١٩٦٦ م.

ملحق رقم ٦

المنشئ المذكور قاله كيس مختار بلاد شمال ايجي وهي  
وتحتى الاماير في شخص السيد مولود بن عزلي  
الذين يذكره اثنين معا من ممثلي الامانة المصلحة  
possessions françaises dans la  
Nord De l'Algérie et l'Emir  
الشريف العامل المأمور في ولاية تلمسان  
al-Wādji Abd al-Gādī bon  
ومنتسبها باسمه مختار  
الشريط متلاعنة تكون بذلك دعيعوط بكل صرف  
وكذلك ذلك في اتفاقية عاصي الخط وفقيه  
Le chef Marocain bon Ouzâa  
Voulant expliquer les termes qui  
ont resté obscurs et incomplets  
dans la Convention du 30 mai  
1837 et assurer l'exécution de  
tous les articles de ce traité, sont  
convenus de ce que Juillet :

الشرط الأول

الذي يتعلق بالشرط الثاني في الاتياف المذكور (الـ  
Article 1<sup>er</sup>)  
يجب وفق الميزاني المذددة الى ملائكة قطبها لغير  
ابن فرام واد الخصي همام جيبيبي كما يلي:

Article 1<sup>er</sup>

relatif à l'article 2 de la convention  
Dans la province d'Alger les limites du territoire que la France détient  
الذى هو خط الدرك المأمور ان يثبت و هو خط  
الخشن و وفقاً لخطي ححد الى الجهة الارتفاع  
repose au delà De l'Ouest Madoura  
كذلك يثبت على طبع المذكورة لعسليطين  
من يثبت على طبع المذكورة لعسليطين  
لهم الديوان يحيى ان يحيى صدر والمقطوعة  
لهم الديوان يحيى ان يحيى صدر والمقطوعة  
السلطانية مع دعائين الشفاعة والشفاعة  
الله المذكور يتحقق بعد الامر برس  
point jusqu'à l'Yessar au dessus des  
point de Berkini le ligne actuelle  
و الارض الفيلية والغربية بين جحود  
و مختار وونوقة يتحقق بعد مسافة (٦)  
De Khachora et celui de Berri d'agad  
et au delà De l'Yessar jusqu'au  
Bibès la route d'Alger à Oued-

Fac-similé de la convention additive du 4 juillet 1838 (reproduit par LEYNADIER et CLAUZEL, *Histoire de l'Algérie française*. t. II, 1846, p. 68).

وچه دفعه وعلمه هي ائمه لها من الجواز عما في قدره  
الطيف التي تودي من اقليواني مستغلاً في ذلك  
الحدود على نهر الـ Eullie في  
واديا شاهات تندل تندل وتصبح طفلاً  
هذا الطيف على بعد شرق المقطع الذي  
ليس هوداً في ارض مستغلاً في ذلك  
ومن حيث خدمة وصلاح طلاق طلاق  
الطيف يكون على املاك بحسب بعض  
الحدود التي يحدى على املاك  
الطيف.

*Dans les provinces d'Oran la France conserve la Voie de passage sur la route qui conduit actuellement à la ville d'Oran la France conserve la Voie de passage sur la route qui conduit actuellement*

### الشجرة الثالث

التي يتصل هي الشطر السادس من  
الاتفاق المنفرد بالـ Eullie  
بـ Eullie connable, rejoindre et enterrer  
terre la partie de cette route à  
l'Eullie de la Moctta qui n'est  
مشتمل على ذلك فتح ضم فتح  
يدفعها على الـ Eullie اذ ان ملوك اذ  
شهره بتاجه مسلسل يدفع العجز  
وادفع ضم والتعويض بتغيير  
چه کلم عالى من عشرة لعوم کيل زرهون  
وبخلاف هذا الرسم يكون پاراول من شرط  
بيانه مصادر ده لذاته دعوه لفتح

*relatif à l'article 6 de la convention.*  
النحو اذا ما مكتبه في كل القرى المذكورة باعده  
30,000 فرنجات في كل القرى باعده  
في ما يعادل  
à la France avant le 15 Janvier  
1838, lorsque chaque année pendant  
 Dix ans 3,000 francs (3'Oran) de  
3,000 francs (3'Oran) دفع

### الشجرة الثالث

المتعلق بالشجرة السابعة من الاتفاق  
المنفرد بالـ Eullie  
الشجرة السابعة  
السريع والمرصاص والبارود والكبريت  
الذى يستعمل ولا يحيط به من كثرة  
البرائين وتأليها ويسوءها اعلى (لاري وهم)  
على موجب سعرها من الـ Eullie خارج  
السوق، لايوجع في السعر  
عليه كرت المخول من طلوبه (جي شرفة).  
لذلك

### الشرط الرابع

*Article 7 de la Convention.*  
يشتمل ما هو موجود في اتفاق مناع ۲۰  
ثلث ثلات ملايين باليون نرس ۱۴۵  
الـ Eullie لا يزيد عن ۱۰۰,۰۰۰ دينار  
الـ Eullie يحيط بها في اعلى حاله كما  
هو بالشجرة يهدى يكتبه باللغة  
Gouverneur General qui les prends

تمه ونحوها (الذى يوراج يوم من 25  
شهر جوليوس (يوليو) سنة 1837) فرنسا  
transport par mer de Toulon ou  
Afrique.

فروافت

على هذه الشوط

ان فلما باسيده

الرسف طناع

عمل على اداة

جبل طناع

Article 4.  
Toutes les dispositions du  
traité du 30 mai 1837 qui ne sont pas  
pas modifiées par la présente conve-  
tation continueront à recevoir leur  
pleine et entière exécution tant  
dans l'Algérie dans l'Afrique.

Algier, le 4 Juillet 1839.

Le maréchal Gouraud  
Général des armées françaises  
au nom de l'Afrique.

*Z. Valée*

Le gros cachet rond est celui du maréchal Valée, le plus petit est celui de l'envoyé d'Abd el-Kader Mouloud ben Arrach.



## محلق رقم ٧

### EN ALGÉRIE DE 1830 A 1857

Ses avis, en particulier sur le choix de Sidi-Ferruch comme point de débarquement et l'attaque de Fort-l'Empereur furent suivis à la lettre. Malgré cela on est obligé de constater que le commandement et la troupe ignoraient tout du pays, du climat, des indigènes et de leur façon de combattre. L'infanterie manœuvrait comme elle l'aurait fait sur un champ de bataille européen; elle subit des pertes, des peines et des fatigues qu'elle aurait pu éviter; l'artillerie et le génie montrant plus de souplesse et d'imagination jouèrent dans les opérations d'Alger un rôle de premier plan. L'équipement de la troupe avait été négligé, aucune étude n'avait été faite à cet égard. Habilles et équipés comme pour une campagne en Europe, les soldats trop lourdement chargés supportèrent avec peine les chaleurs de l'été algérien.

Si les pertes au combat furent légères, au cours du débarquement et dans les deux mois qui le suivirent (403 tués), la maladie dans le même temps fit mourir 800 hommes.

Après la prise d'Alger, en raison de l'insuffisance de l'intendance et du service de santé, du manque d'autorité des cadres et du relâchement de la discipline, une grave crise du moral sévit dans l'armée. Nombreux furent les officiers et soldats qui demandèrent à rentrer en France.

Et cependant la nouvelle de l'expédition d'Alger avait suscité un grand enthousiasme dans l'Armée, qui avait gardé une certaine nostalgie de l'époque napoléonienne : des chefs de corps intriguaient pour faire intégrer leurs régiments dans les forces du général de Bourmont, des officiers rendaient leurs galons pour partir comme sous-officiers ou simples soldats, le lieutenant de Mac-Mahon renonçait à la cavalerie pour débarquer en Algérie dans une unité d'infanterie.

La prise d'Alger eut un grand retentissement international. En 1551, la formidable expédition de Charles Quint contre Alger aux mains d'Aroudj Barberousse avait échoué. « La défaite de Charles Quint, souligne Florian Pharaon, dans son ouvrage : Voyage en Algérie de Sa Majesté Napoléon III, fut la constataction de la puissance d'Alger. Pendant près de trois cents ans, l'Espagne, l'Angleterre, la Hollande, le Danemark, les Etats-Unis, les puissantes républiques de Gênes et de Venise envoient leurs flottes pour détruire l'audacieuse cité. » Il était réservé à la France, dit Henri Noguères, dans son livre, L'expédition d'Alger - 1830, de faire cesser ce scandale séculaire... en envoyant sur la côte africaine ses soldats à vêtements rouges. »

L'ordre du jour du général de Bourmont en date du 8 juillet 1830 affirmait la fierté de l'Armée d'avoir renversé une situation humiliante et préjudiciable aux intérêts européens en battant les Turcs du dey d'Alger et s'emparant de sa capitale en quelques jours :

« Vingt jours ont suffi pour la destruction de cet Etat, dont l'existence fatiguait l'Europe depuis tant de siècles. La reconnaissance de toutes nations civilisées sera pour l'armée d'expédition le fruit le plus précieux de ses victoires. »

Au quartier général de la Casbah, le 8 juillet 1830.  
Comte de Bourmont.

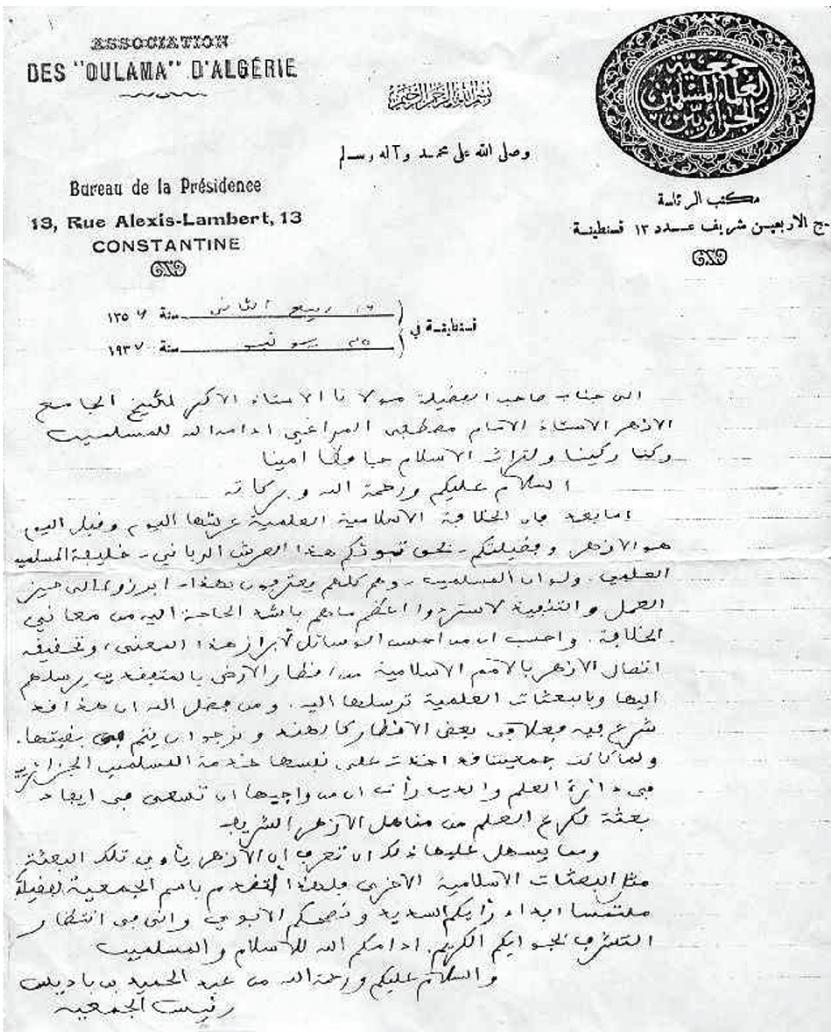
Source: Relation de la guerre d'Afrique: pendant les années 1830-1831, Claude (وثيقة رقمية) Antoine Rozet, volume 1, Firmin Didot frères, Paris, 1831, page 268

الملحقات

ملحق رقم ٨

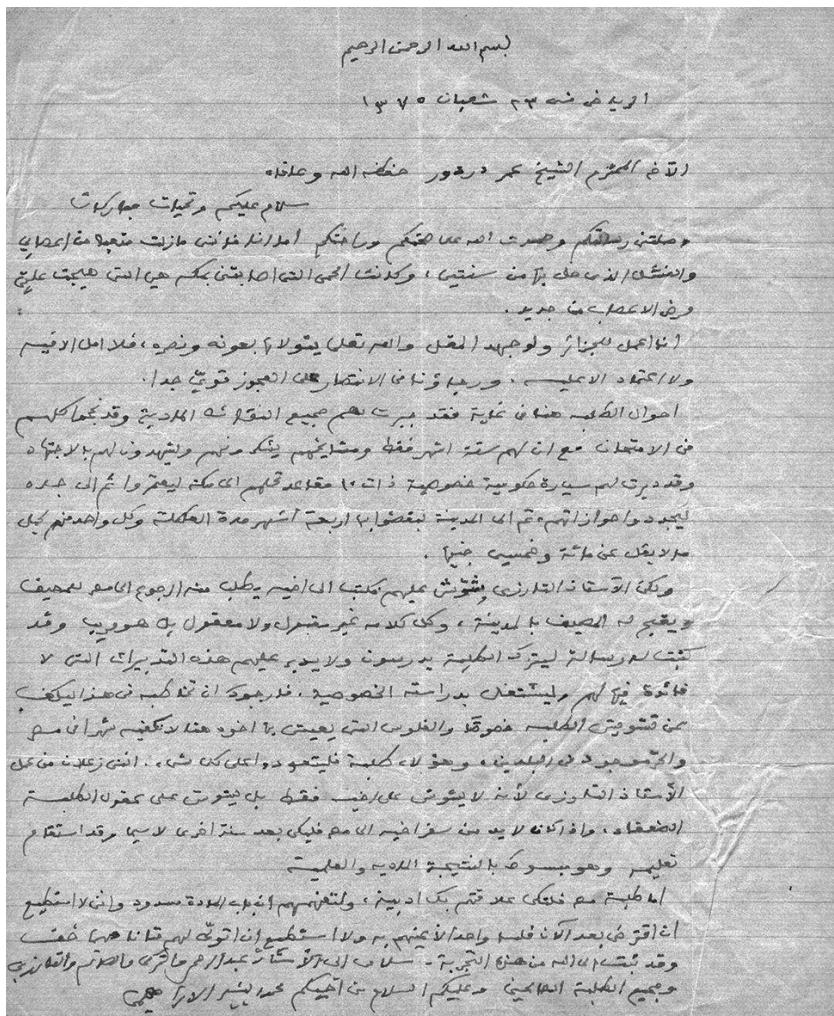


ملحمة الجزائر



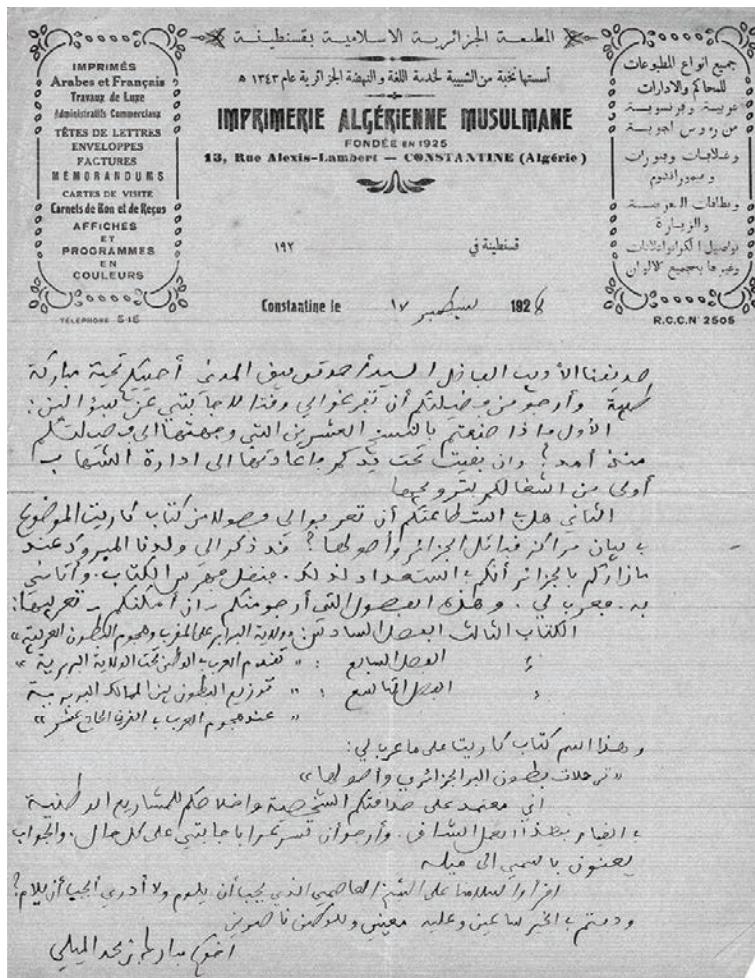
عن موقع أحمد توفيق المدني .www.elmadani.org

## ملحق رقم ٩



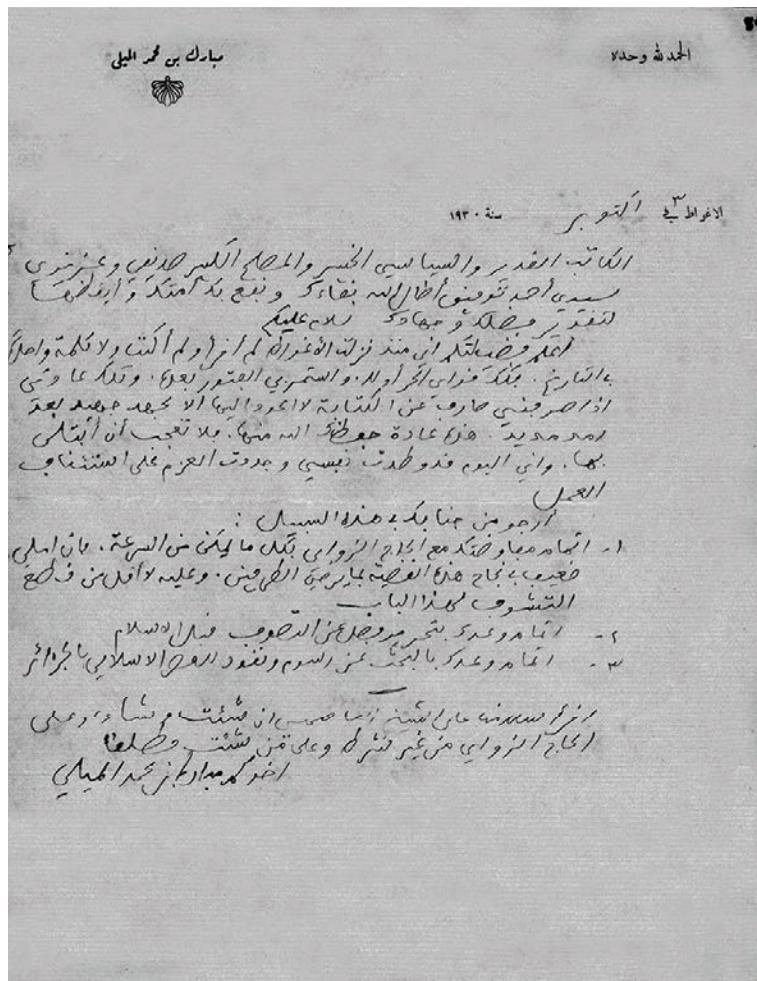
## ملحمة الجزائر

### محلق رقم ١٠



عن موقع أحمد توفيق المدنی [www.elmadani.org](http://www.elmadani.org)

## الملحقات



عن موقع أحمد توفيق المدنى [www.elmadani.org](http://www.elmadani.org)

## ملحمة الجزائر



ملحق رقم ١١



## النشيد الوطني الجزائري

فَسَمَا بِالنَّازِلَاتِ الْمُلْحَدَاتِ  
وَالدَّمَاءِ الْأَكَاتِ الظَّاهِرَاتِ  
فِي لِبَيْلِ الشَّاجَاتِ الشَّاهِقَاتِ  
نَحْنُ ثُرَّا فَحِيَةً أَوْمَاتِ  
وَعَقَدْنَا الْعَزْمَ اِنْ تَحْيَا الْجَزَائِرُ  
فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا..

نَحْنُ جَنْدِيُّ سَبِيلِ الْحَقِّ ثُرَّا  
لَمْ يَكُنْ يُصْفَى بِالْمَاضِقَاتِ  
فَلَخَذْنَا رَبَّةَ الْبَارُودِ وَرَنَّا  
وَعْرَفْنَا نَفْمَةَ الرَّشَاشِ لَحَنَا  
وَعَقَدْنَا الْعَزْمَ اِنْ تَحْيَا الْجَزَائِرُ  
فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا..

يَا فَرِنْسَا قَدْ مَضَى وَقْتُ الْكِتابِ  
يَا فَرِنْسَا اِنْ ذَلِيقَمُ الْحِسَابِ  
فَاسْعَدِي وَخَذِنِي مِنَ الْجِوَابِ  
اِنْ فيْ تُورْتَا فَضْلَ الْحَسَابِ  
وَعَقَدْنَا الْعَزْمَ اِنْ تَحْيَا الْجَزَائِرُ  
فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا..

نَحْنُ مِنْ اِطَالَنَا نَادِفُ حَنْداً  
وَعَلَى اِشْلَانَا نَصْنَعُ بَحْنَداً  
وَعَلَى اِرْوَاحَنَا نَصْعَدُ خَلِداً  
جَبَّهَةُ التَّحرِيرِ اعْطَيْنَا كَعْهَداً  
وَعَقَدْنَا الْعَزْمَ اِنْ تَحْيَا الْجَزَائِرُ  
فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا..

صَرْخَةُ الْاوْطَانِ مِنْ سَاحِفِ الْفَداِ  
وَأَكْتَبُوهَا بِدَمِهِ الشَّهِيدِ  
قَدْ مَدَدْنَا لَكَ يَاهْمَدِيَا  
وَعَقَدْنَا الْعَزْمَ اِنْ تَحْيَا الْجَزَائِرُ  
فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا.. فَاشْهَدُوا..

طبع في بيروت في شهر جانفي ١٩٩٥  
طبع في الجزائر في شهر جانفي ١٩٩٦

محمد خوري

مقدمة

محلق رقم ١٣

Pages 6 et 7: DEUX ANS DE NÉGOCIATIONS AVEC LE F.L.N., par Serge BROMBERGER

LE FIGARO

EDITION DE 5 HEURES

LUNDI 19 MARS 1962

MIDI : CESSEZ-LE-FEU EN ALGÉRIE

DEMAIN LE GÉNÉRAL DE GAULLE : Accord conclu hier à 17 h. 40 à Évian

"Qui sait si la lutte et le sacrifice des morts n'auront pas aidé les deux peuples à mieux comprendre qu'ils sont faits pour marcher fraternellement?"

• CET APRÈS-MIDI : Conseil des ministres à l'Elysée

• DEMAIN MATIN : Session extraordinaire du Parlement (message du président de la République, communication du gouvernement, débat)

• DIMANCHE 8 AVRIL : RÉFÉRENDUM (date probable)

PREMIÈRES RÉACTIONS : ALGER : Atmosphère brusquement alourdie hier soir

BEN BELLA ET SES COMPAGNONS REGAGRENT RADAT VIA GENÈVE

PAGES 4 à 10 : Les débats de Serge BROMBERGER J.-P. CHAUVEL & Nos informations INSTANTS ET VISAGES EN SONGEANT

## RÉFÉRENDUM D'AUTODÉTERMINATION DU 1<sup>er</sup> JUILLET 1962

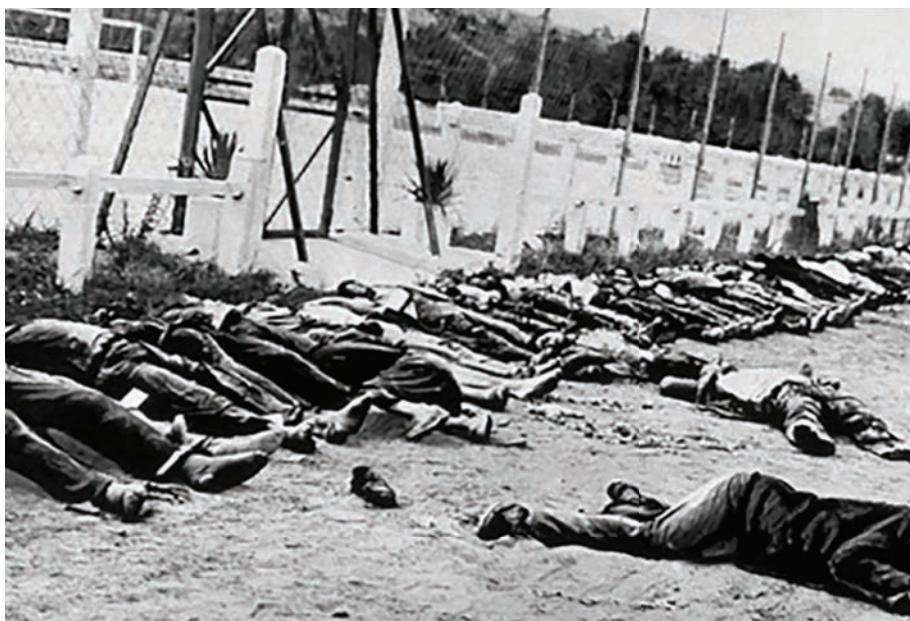
Voulez-vous que l'Algérie devienne un Etat indépendant coopérant avec la France dans les conditions définies par les déclarations du 19 mars 1962 ?

هل تُريد أن تُخرج الجزائر دُولَة مُستَقِلَّة  
مُتَعَاوِنَة مع فرنسا حَكَب الشروط المُعْرَفَة في  
تَضْرِيَحَات ١٩ مَارس ١٩٦٢

OUI

نعم

ملحق رقم ١٥



صورة عن مجازر ٨ مايو ١٩٤٥ م.

ملحمة الجزائر



مشهد من مشاهد إذلال واحتقار وتعذيب الشعب الجزائري في أبشع صوره.

## ملحق رقم ١٦



﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقْمَتْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَأَتْقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلَيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِنَّا سَجَدْنَا فَلَيُكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَنْتَ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصْلِلُوا فَلَيُصْلِلُوا مَعَكَ وَلَيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعْتِكُمْ فَيَمْلِئُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطْرِأٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتِكُمْ وَهُنُّ دُحُولٌ حِذْرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة النساء: ١٠٢).



## المراجع

- ابن الأحمر، «تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان» — تحقيق هاني سلامة — مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠١ م.
- أبو القاسم سعد الله، «أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر»، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٦ م.
- أبو القاسم سعد الله، «محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث: بداية الاحتلال»، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، الجزائر، ١٩٨٢ م.
- أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، «طوق الحمامنة في الألفة والألاف»، مكتبة عرفة، دمشق، ١٩٣١ م.
- أحمد توفيق المدنى، «قرطاجنة في أربعة عصور، من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي»، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦ م.
- أحمد توفيق المدنى، «كتاب الجزائر»، المطبعة العربية، الجزائر، ١٩٣١ م.
- آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعوڈ في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ١٩٩٠ م.
- بوزيانى الدراجي، «عبد الرحمن الأخرمي العالم الصوفى الذى تفوق فى عصره»، الطبعة الثانية، البلاد، الجزائر، ٢٠٠٩ م، ص ١٤.
- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، «تفسير الجلالين»، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- شاوش حبّاسي، «من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر ١٨٣٠ - ١٩٦٢ م»، دار هومة، الجزائر، ١٩٩٨ م.

- صالح بن قربة، سامية بوعمران وخالف محمد نجيب، «تاریخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر»، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ م، الجزائر، ٢٠٠٧ م.
- عبد الحليم عويس، «دولة بنى حماد، صفة رائعة من التاريخ الجزائري»، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١ م.
- عبد الرحمن بن خلون، «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر»، الجزء السادس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاریخ الجزائر العام»، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ١٩٦٥ م.
- عبد الرحمن الثعالبي، «غنية الواقف وبغية الطالب الماجد»، تحقيق محمد شايب شريف، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- عبد الكري姆 الفكون، «منشور الهدایة في كشف حال من ادعى العلم والولاية»، تقديم وتحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧ م.
- علاوة عمارة، «دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٨ م.
- عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧ م.
- عمورة عمار، «موجز في تاريخ الجزائر»، دار ريحانه للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
- غنيمي هلال، «الأدب المقارن»، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- فتيحة فر Hatchi، «نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني، الحياة السياسية والحضارية (٢١٢-٤٦ق.م)» منشورات أبيك، الجزائر، ٢٠٠٧ م.
- مبارك بن محمد الميلي، «تاریخ الجزائر في القديم والحديث»، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩ م.
- محمد الهادي جارش، «التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي»، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ١٩٩٢ م.

## المراجع

- محمد بن عبد الله التنسى، «تاریخ بنی زیان ملوك تلمسان»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعة، الجزائر، ٢٠١١م.
- محمد بن لخضر فورار، «أبحاث في اللغة والأدب الجزائري»، مجلة الخبر، جامعة محمد خضر ببسكرة، العدد الثامن، ٢٠١٢م.
- محمد حسن العيدروس، «المغرب العربي في العصر الإسلامي»، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- محمد رجب البيومي، «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرین»، الجزء الأول، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.
- محمد كمال سليمان حمادة، «الخطاب الشعري عند ابن حمديس الصقلي»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٢م.
- محمود آغا بوعياد، «تاریخ بنی زیان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقیان في بيان شرف بنی زیان»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعة، الجزائر، ٢٠١١م.
- محمود شاكر، «التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر، بلاد المغرب»، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م.
- مفدي زكريا، «إلياذة الجزائر»، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٧م.
- مفدي زكريا، «أمجادنا تتكلم»، جمع وتحقيق مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكرياء والوكالة الوطنية للإشهار، الجزائر، ٢٠٠٣م.
- مولود قاسم نايت بلقاسم، «شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة ١٨٣٠»، دار الأمة، الجزء الثاني، الجزائر، ٢٠٠٧م.
- نبيل أحمد بلاسي، «الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
- ياقوت بن عبد الله الحموي، «معجم البلدان».



إلياذة الجزائر



## مقدمة الطبعة الأولى

### إلياذة الجزائر

في آخر الملتقى الخامس للتعزف على الفكر الإسلامي في وهران ١٩٧١ هـ / ١٣٩١ م أعلنا أن الملتقى السادس سينعقد بعاصمة الجزائر بمناسبة العيد العاشر لاسترجاع استقلالنا والذكرى الألفية لتأسيسها مع المدينة ومليانة على يدي بلکین بن زيري . ووفاء بوعدنا، رَكَّزْنا جدول أعمال هذا الملتقى على التاريخ، لراجعته، وكتابته من جديد، وتصفيته من جميع ما علق به عن روية وسبق إصرار من شوائب وتزييفات، لمعرفة ماضينا، والاستفادة من تجاريته في بناء حاضرنا ومستقبلنا، في الجزائر والمغرب الكبير، والعالم الإسلامي الأوسع.

ولهذا طلبنا من المناضل الكبير، الشاعر الملاهم، شاعر الكفاح الثوري السياسي، وشاعر الكفاح الثوري المسلح، الأستاذ مفدي زكريا، صاحب الأناشيد الوطنية «من جبالنا طلع صوت الأحرار» سنة ١٩٣٢ م، و«فداء الجزائر روحي ومالي» سنة ١٩٣٦ م، و«قسماً» سنة ١٩٥٥ م، و«اعصفي يا رياح»، ونشيد جيش التحرير الوطني، ونشيد العمال، ونشيد الطلبة، واللهم المقدّس – وببعضها وضعها في سجن السركاجي – أقول طلبنا منه أن يضع لنا نشيضاً جديداً يجمع هذه الأناشيد كلها، ويشمل فيه وبه تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى اليوم، مُركزاً على مقاومتنا لمختلف الاحتلالات الأجنبية، وعلى العهود الحضارية الظاهرة المتعاقبة، وحاضرنا ومستقبلنا في كفاحنا لاستعادة جميع ثرواتنا، ومقومات شخصيتنا وحضارتنا، وبناء مجد جديد لأمتنا.

## ملحمة الجزائر

وهذا ما فعله مفدي، وسمينا نشيد الأناشيد هذا: إليانة الجزائر! وقد تمت الإليانة الآن، ونشرها كاملة في هذه الطبعة، كما ننوي نشرها فيما بعد منفردة، مرفقة بصور رمزية وواقعية تُجسم بعض معانيها.

الجزائر ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م  
مولود قاسم نايت بلقاسم

## مقدمة الطبعة الثانية

هذه المقدمة القصيرة وضعتها لطبع الإليازة في صيف ١٩٧٢ هـ / ١٣٩٢ م، بطلب من شاعرنا مفدي زكريا، وموافقته على كل سطر؛ بل على كل كلمة منها، والتفاصيل عن الأناشيد زودني بها هو نفسه — رحمه الله — وصدرت هذه المقدمة مع الإليازة كاملة سنة ١٩٧٢ هـ / ١٣٩٢ م في حياة شاعرنا الذي توفي — خمس سنين بعد ذلك — يوم الأربعاء الثاني من رمضان المعظم ١٧ هـ / ١٣٩٧ م، ١٧ أغسطس ١٩٧٧.

وقد تحمس مفدي لفكرة نظم هذه الإليازة بمجرد أن تلقى رسالتي، في بدء ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، وعبر عن استعداده المطلق لتنفيذها، وتعاوناً نحن الثلاثة: المرحومين مفدي زكريا وعثمان الكعاك، وكاتب هذه السطور، في وضع المقاطع التاريخية، فكانت نتهاقب ليلاً، خاصة، وكانت البداية في هذا الهاتف الليلي تعود غالباً إلى مفدي، الذي كان ينظم الإليازة ليلاً، وعندما يتوقف عند نقطة تاريخية ما، ويود التأكيد والاطمئنان، يهتف من الرباط؛ حيث كان مديرًا لجامعةٍ شعبية، إلى في الجزائر، وإلى الأستاذ عثمان الكعاك في تونس ... وهكذا كان ذلك الحوار الثلاثي الليلي عن تاريخ الجزائر، بالذات، وبصفة أخص، وعن التاريخ المغربي عموماً، وعن التاريخ الإسلامي بصفة أعم، بين هذه العواصم المغربية الثلاث، ل تستقر النتيجة، وتترکز، وتسجل، وتُخَلَّد في عاصمة الجزائر، مقر الملتقى، وصاحبة البداية في الإليازة، كنقطة الارتكاز والمنطلق، تشع منها الإليازة على مجموع المغرب، والأمة الإسلامية كلها، لتخلد ذات يوم في التراث البشري العام، تخلد خلود الإنسان.

هذا فضلاً عن المراسلة المستمرة، التي كنت أقترح فيها عليه بعض النقاط وأعرضها عليه لإدراجها في الإليازة، والتي كان يرسل إلى في ثناياها بالمقاطع أولاً بأول، لأدفع بها

إلى الخطاط الأستاذ عبد المجيد غالب الذي ينقلها بخطه الجميل الرائع؛ لأن خط مفدي، وإن كان أحسن من خطي بكثير، وبلا مقارنة، إلا أنه لم يكن في مستوى الإلياذة. هكذا نشأت إلياذة الجزائر، إذن، ونَمَتْ، وترعرعت، ووصلت في ظرف بضعة أشهر إلى ستمائة وعشرة أبيات أنشدتها مفدي، بصوته، ونبراته، وصرخاته، وإشاراته، وصيحاته، وسخرياته، وتهللاته، وغضباته، وتعجباته، في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي في قاعة المؤتمرات من قصر الأمم «نادي الصنوبر» يوم ١٢ جمادى الثانية ١٣٩٢هـ / ٢٤ يوليو ١٩٧٢م أمام أكثر من ألف طالب وأستاذ جامعي من القارات الخمس، وبحضور مسئولين كثيرين، منهم الإخوة محمد الشريف مساعدية، والدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، والمرحوم محمد بن يحيى، والعربى الطيبى، كما حضر جزءاً من إنشادها المرحوم الرئيس هواري بومدين، الذي استقبل مفدياً في مكتبه بالرئاسة بعد اختتام الملتقى، وعَبَّرَ له عن كل إعجابه بالأثر الخالد الباقي، و كانت وسيط الخير في ذلك اللقاء.

وبعد ذلك واصلت إلياذة مسيرتها؛ أي واصل مفدي نظمها، إلى أن بلغت الواحد بعد الألف؛ أي الألف بيت وبيتاً (١٠٠١) أو: الألف يوم ويوماً، من الأيام الخالدة، في تاريخ هذه الأمة الخالدة، وتمجيد الخلود، والخلود لله، والعرب كانت تسمى التاريخ «الأيام»! ولئن لم ينشد مفدي زكريا بصوته الخالد إلا المستماثة والعشرة أبيات منها، سجلتها التلفزة والإذاعة حين إنشادها في القاعة المذكورة، أمام جميع الملتقين؛ فقد طُبعت إلياذة بعد ذلك كاملة، بعد أن أتمها مفدي، بالألف بيت والبيت، في الجزء الأول من كتاب الملتقى السادس للفكر الإسلامي، وطُبعت ترجمتها أيضاً إلى الفرنسية في الطبعة باللغة الفرنسية التي لا تكاد تقلُّ في روعتها وجمالها عن الأصل (من ترجمة الأستاذ الطاهر بوشوشى، نشر وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، طبع داربعث بقسنطينة)، وكلُّ من الطبعتين في خمس وعشرين ألف نسخة.

وسمايناها: إلياذة الجزائر، وإن كانت تمتاز عن إلياذة هوميروس بالفارق العملاق: في بينما هذه الأخيرة؛ أي الإلياذة اليونانية، لا تروي إلا أساطير، نجد الإلياذة الجزائرية قد خلَّدت أمجاداً حقيقة، وسطَّرت تاريخ وقائع وأحداث هي من روائع الدهر، لا من خلق الجن، ولا من اصطناع شاعر، ولكن من صنع الإنسان الجزائري في الميدان!

وقد قسَّمتها مفدي إلى جزأين: قسم الجمال؛ أي الجمال الطبيعي للبلاد، وقسم الجلا؛ أي المجد التاريخي، وإن تداخل القسمان أحياً.

والإلياذة أحسن سجل لتاريخ الجزائر حتى اليوم؛ أي أحسن كتاب فيه، وعنده، وله، وحتى إذا ما كُتب هذا التاريخ يوماً ما بصفة كاملة، شاملة، فستبقى إلياذة الجزائر

أروع تاريخ للجزائر، وأكثره وقعاً في النفوس، وأسهله على الحفظ، والتذكرة، والاستشهاد  
في معرض الاستشهاد والاحتجاج!  
ولنكتفي هنا بالإشارة إلى بعض مقطوعات فحسب، كالآولى التي بدأها مفدي هكذا:

جزائر يا مطلع المعجزات      ويا حجة الله في الكائنات

ثم إلى البيتين الأولين من الثانية:

جزائر يا بدعة الفاطر  
ويا روعة الصانع القادر  
تلقب هاروت بالساحر

ثم إلى هذه، التي هي روعة الروائع، ومنها:

أُسائله: عن ثمود ... وعاد  
وهل إرم ... هي ذات العماد؟  
وقال: الجزائر ... دون عناد!  
وأوقفت ركب الزمان طويلاً  
وعن قصة المجد ... من عهد نوح  
فأقسم هذا الزمان يميناً

هل هناك من قال مثل هذا؟ ابحثوا في تاريخ الأدب العالمي!  
ثم إلى هذه عن أولئك المغواير، الطلائع، الذين مهدوا لفاتح نوفمبر، منذ العشرينيات  
 واستشهد الكثير منهم قبل فاتح نوفمبر قائلاً:

وطالت خرافات حرب الكلام  
وما بلغ الشعب فيه المرام  
فامن بالنار من عرفوها  
ومن كاشفتهم بسر النظام<sup>١</sup>

وإلى هذا عن دور أول نوفمبر، وأبعاده، ونتائجـه، وما يوحـي به من دروسـ:

نوفمبر جل جلالك فيـنا      ألسـتـ الذي بـثـ فيـناـ اليـقـيـناـ؟

<sup>١</sup> إشارة إلى المنظمة السرية LOS المنشأة عام ١٩٤٧ م.

إلى أن يقول:

سلكنا به المنهج المستبينا  
لَكُنَا سَمَاسِرَة مُجْرِمِينَا<sup>٢</sup>  
وتطوي — كما قد طوينا — السنين  
تميل يسراً بها ويمينا

جمعنا لحرب الخلاص شتاتاً  
ولولا التحام الصفوف وقانا  
فليت فلسطين ... تقو خطانا  
وبالقدس تهتم ... لا بالكراسي

ثم إلى هذا، بمناسبة ذكرى الملتقى السادس للفكر الإسلامي:

ويا ملتقى فكر إسلامنا  
ومجلِّي قداسة إيماننا<sup>٣</sup>

ولئن اضطرته ظروفٌ — تسبَّب فيها مَن تسبَّب من الزعانف — سامحها الله —  
إلى عدم الاستقرار في بلاده، كما كان يود، وإلى التنقل بينه وبين البلدين الشقيقين  
المجاورين، فها هو يرد عليها بهذه المقطوعة التي بدأها بالبيتين:

فخَلَدَ مَجْدُكَ فِي الْكَوْنِ ذَكْرِي  
بِإِلْيَازِنِي فِي اعْتِزَازٍ وَفَخْرٍ

بِلَادِي وَقَفَتْ لِذِكْرِكَ شِعْرِي  
وَأَلْهَمْتِنِي فَصَدَعْتُ الدُّنَانِ

ويضيف:

وهُمْتَ مَعَ الشِّعْرِ فِي كُلِّ وَادِي  
وَيُلْهَبْ حَبْ بِلَادِي فَوَادِي  
بِكُلِّ اعْتِزَازٍ وَكُلِّ اعْتِدَادٍ  
مَقِيمٌ عَلَى الْعَهْدِ رَغْمَ الْبَعْدَادِ!

وَقَالُوا: هَجَرْتُ رَبْوَعَ الْبَلَادِ  
أَجَل ... لَقَدْ بَعْدَتْ لِأَزْدَادِ قَرِبًا  
أَرَى فِي كِيَانِ الْجَزَائِرِ ذَاتِي  
وَإِنِّي بِتَخْلِيدِ مَجْدِ بِلَادِي

<sup>٢</sup> إشارة إلى جبهة التحرير الوطني التي ضمَّت جميع الحركات الوطنية بمختلف آرائها في طرق الكفاح في حركة واحدة مسلحة قادت الجهاد حتى استرجاع الاستقلال، ونصيحة للإخوان الفلسطينيين بتحقيق مثل هذا الانصراف.

<sup>٣</sup> هذا المقطع يضم ١١ بيتاً عوض عشرة أبيات، والبيت الزائد بمثابة سجدة السهو للحفظ على قداسة الملتقى.

وأخيراً، وكأنه أحسَّ بقرب الميعاد مع خالقه — سبحانه وتعالى — إذ تُوفي بعد ذلك بقليل، فها هو يمجّد بلاده للمرة الأخيرة، وهو يودّعها الوداع الأخير ... قبل أن يعود إليها جثمانه الهامد، وروحه تحوم عليه، وترفرف خفاقة فوق طائرة جزائرية تقله من تونس بأمر الرئيس الراحل هواري بومدين، ليواري في تربة بلاده، وفي وادي ميزاب بالذات، قائلاً:

بلاي، بلاي، الأمان الأمان  
أُغْنِي عُلاك، بأي لسان؟  
جلالك تقصير عنه اللغى  
ويعجزني فيك سحر البيان  
إليك صلاتي، وأذكرك سلامي  
بلاي، بلاي، الأمان الأمان!  
شغَلْنَا الورى، ومملئنا الدُّنـا  
 بشعر نُرْتَلـه كالصَّـلاة  
تسابيحة من حـنـايـاـ الجزـائـرـ

وهذه البلاد، التي قضى مفدي عمره في التعبير عن كفاحها، والتغنى بأمجادها، وتخليل ذكرها، وكافح هو أيضاً وعاني من أجلها، ما هي تعيid إليه اعتباره كاملاً، الذي أرادت بعض تلك الزعناف — ومنها الأفacaة — أن تُفقد إياه، ظلماً وعدواناً، وتزييفاً للتاريخ.

فها هو المجلس الشعبي الوطني، بتوجيهه من الرئيس المجاهد الشاذلي بن حديد، يرسم نهائياً نشيد الثورة: «قسماً بالنزارات الماـحـاقـاتـ» ... الذي صاغه مفدي وصبـغـه بصبغـةـ كلـ ماـ سـبـقـ، صبغـةـ اللهـ — وـمـنـ أـحـسـنـ مـنـ اللهـ صـبـغـةـ؟ـ — وـنـفـخـ فـيـهـ مـنـ رـوـحـهـ، رـوـحـ الأـمـةـ الجـازـائـرـيةـ، وـهـوـ فـيـ زـنـزاـنـةـ مـظـلـمـةـ بـارـدـةـ بـسـجـنـ السـرـكـاجـيـ:ـ سـجـنـ «ـبـرـبرـوـسـ»ـ،ـ الـذـيـ كـانـ يـعـرـفـهـ مـفـديـ مـنـذـ الـثـلـاثـيـنـياتـ،ـ وـعـرـفـهـ قـبـلـهـ وـبـعـدـهـ،ـ كـمـ مـنـ جـازـائـيـ وـجـازـائـرـيـ،ـ وـأـعـدـمـ فـيـهـ أـكـثـرـ مـنـ بـطـلـ مـنـ أـبـنـاءـ هـذـهـ الـبـلـادـ رـمـزـ الـبـطـولـةـ.

وها هي الإذاعة الوطنية تبث السمتاية والعشرة أبيات التي سجلتها هي والتلفزة من الإلياذة حين إلقائها بصوته الجمهوري، وكأنه واقف أمامنا الآن في منصة قصر الأمم، ذلك الصوت النابض بالحياة، صوت من جبالنا، وفداء الجزائر، واعصفي يا رياح، وقسمماً، وصوت الإلياذة، التي هي جوف الفرا، وجمع الجوامع، ونشيد الأناشيد!

وها هي هذه الإلياذة الجزائرية العربية الإسلامية العالمية يعاد نشرها مراراً وبصور مختلفة: فتصدرها وزارة الثقافة والسياحة في ثلاثة أسطوانات كبيرة، ويصدرها حزب

جبهة التحرير الوطني — وريث وامتداد ومكمل جبهة التحرير الوطني، التي مجَّدها وخلَّدَها مفدي في اللهب المقدس والإلياذة — بواسطة ودادية الجزائريين في أوروبا في ست لوحات (كاسيطات) بالعربية، وفي ست أخرى بالفرنسية،وها هي وزارة التربية تعيد طبعها وتوزيعها على المدارس وتلزم تدريسها،وها هي وزارة الشئون الدينية تعيد طبعها، وهي التي طلبت من مفدي نظمها، ثم طبعتها، ونشرتها، وتستمر في ذلك، خدمة للأدب الجزائري، العربي، العالمي، والروح الوطنية، وتاريخ الجزائر، وتاريخ الأمة الإسلامية عموماً!

ثم ها هي المؤسسة الوطنية للكتاب تصدرها بدورها في هذه الطبعة الأنثقة، الجميلة في شكلها، لموافقة مضمونها، مع رسوم رمزيةٍ تبرز مغزى بعض المقطوعات المتصلة وثيق الاتصال ببعض الأحداث الرئيسية من تاريخنا.

والمؤسسة الوطنية للكتاب، بصفتها المؤسسة الأولى من نوعها في البلاد، ستتضمن، لا شك، أجمل طبعة للإلياذة، وأكبر توزيع لها، حتى في الخارج؛ أي ستوصلها إلى كل مكان! نداءً مدوياً له صدأه — باسم الجزائر — عبر الزمان والمكان!

والإلياذة تستحق كل هذا وأكثر. فهي إلياذة الجزائر؛ أي أجمل وأكمـل صياغة ل بتاريخها، بآلامها وأمالها، بانتكساتها وانتصاراتها، كما هي وظيفة التاريخ لأية أمة من الأمم؛ إذ هو عقلها، كما كان يقول الفيلسوف الألماني شوبنهاور: «التاريخ للأمم هو كالعقل للأفراد»؛ إذ إنه هو مرشدـها ودلـيلـها، وخلاصـة تجـاربـها، وسـجلـ مجـدهـا ووجودـها، كـأمةـ بينـ الأممـ، بتـأكـيـدـهـ عـنـاصـرـ الشـخـصـيـةـ وـمـكـوـنـاتـ الـذـاتـيـةـ وـالـأـصـالـةـ لـدـيـهـاـ، وـإـعـطـائـهـاـ وجـهـاـ بـارـزـ السـمـاتـ، وـاضـحـ المعـالـمـ وـالـتـقـاسـيمـ، وـوـجـوـدـاـ مـتـمـيـزاـ هوـ عنـانـهاـ، وـبـهـ تـُعـرـفـ وـتـُتـنـادـيـ فـيـ الـمـاحـافـ».

فالـتـارـيخـ هوـ الأـهـمـ، وـالـبـادـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ، وـبـيـتـ القـصـيدـ، وـالـزـيـدـةـ منـ كلـ ثـقـافـةـ، لـيـسـ فقطـ لـتـعرـيفـ بـالـأـنجـادـ وـالـأـمـجـادـ، وـلـيـسـ فـقـطـ لـاستـخـلـاصـ التـجـارـبـ، وـلـكـ أـيـضاـ لـغـرـسـ الـاعـتـدـادـ بـالـنـفـسـ، وـتـعمـيقـ الـوعـيـ بـالـذـاتـ، وـتـوطـيـدـ الـاعـتـزاـزـ بـالـوـطـنـ.

---

Arthur Schopenhauer: Aphorismen: "Was die Vernunft dem individum, das ist die <sup>٤</sup> Geschichte dem menschlichen Geschlechte"

° الأنجاد: هي جانب الجمال (الطبيعي) من الإلياذة، والأمجاد هو قسم الحال؛ أي التاريخ والديومة — والدوام لله.

وليس هذا من باب التغنى بالماضي والاكتفاء بما تركه لنا الأجداد، بقدر ما هي عملية إبراز الأسس الأصيلة للبناء عليها في انطلاقتنا الجديدة، مع الاستفادة من تجارب الأمم في جميع الأزمنة، وبأخذ ضرورات عصرنا بالاعتبار.

هذا هو مغزى إلإيادة الجزائر، وهذه هي الإلإيادة الخالدة، وشهادة ميلادها، ورحم الله زكريا، مفدي الفدائى، شاعر الفداء، ورحم الله جميع شهدائنا وأبطالنا عبر العصور، وفي مختلف الأصقاع والربوع.

الجزائر في السابع من رمضان المكرم

١٩٨٧ هـ ١٤٠٧ م / ٥ مايو

مولود قاسم نايت بلقاسم





ملحمة الجزائر



## إلياذة الجزائر

وَيَا حَجَّةُ اللَّهِ فِي الْكَائِنَاتِ  
وَيَا وَجْهَهُ الْضَّاحِكُ الْقَسْمَاتِ  
تَمُوجُ بِهَا الصُّورُ الْحَالِمَاتِ  
مَعْانِي السُّمُونِ بِرَوْعِ الْحَيَاةِ  
بِنَارٍ وَنُورٍ جَهَادُ الْأَبَاءِ  
وَتَلَاهُمُهَا الْقِيمُ الْخَالِدَاتِ  
فَهَاجَتُ بِأَعْمَاقِنَا الْذَّكَرِيَاتِ  
فَتَاهَتْ بِهَا الْقَمَمُ الشَّامِخَاتِ  
فَهِمْنَا بِأَسْرَارِهَا الْفَاتِنَاتِ  
فَأَهْوَى عَلَى قَدَمِيهَا الطَّغَاءِ

جَزَائِرُ، يَا مَطْلَعَ الْمَعْجزَاتِ  
وَيَا بِسْمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضِهِ  
وَيَا لَوْحَةً فِي سِجْلِ الْخَلْوَةِ  
وَيَا قَصَّةً بَثَ فِيهَا الْوُجُودِ  
وَيَا صَفَحةً خَطَ فِيهَا الْبِقَا  
وَيَا لِلْبَطْوَلَاتِ تَغْزُو الدُّنْـا  
وَأَسْطُورَةً رَدَّدَتْهَا الْقَرْوَنِ  
وَيَا تُرْبَةً تَاهَ فِيهَا الْجَلَالِ  
وَأَلْقَى النَّهَايَةَ فِيهَا الْجَمَالِ  
وَأَهْوَى عَلَى قَدَمِيهَا الزَّمَانِ

اللازمَة

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْـا  
بِشِعْرٍ نَرْتَلُهُ كَالصَّلَاةِ  
تَسَابِيْحُهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَيَا رُوَغَةَ الصَّانِعِ الْقَادِرِ  
تَلَقَّبَ هَارُوتُ بِالسَّاحِرِ  
وَأَشْغَلَهُ الغَيْبُ بِالْحَاضِرِ

جَزَائِرُ، يَا بِدْعَةَ الْفَاطِرِ  
وَيَا بَابِلَ السَّحْرِ، مِنْ وَحِيهَا  
وَيَا جَنَّةً غَارَ مِنْهَا الْجَنَانِ

ويَسْبَحُ فِي مَوْجَهَا الْكَافِرِ  
وَإِشْرَاقَةَ الْوَحْيِ لِلشَّاعِرِ  
وَفِي شَعْبَهَا الْهَادِئِ التَّائِرِ  
فَقَامَتْ عَلَى دَمَهَا الْفَائِرِ  
فَلَمْ تُكُنْ تَقْنُعُ بِالظَّاهِرِ  
يَجِدُّ عَنِ الْمُثْلِ السَّائِرِ  
سَلَامٌ عَلَى مَهْرَجَانِ الْخَلْوَدِ

*شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا*

*بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ*

*تسابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ*

وَيَا مَنْ حَمَلَتِ السَّلَامَ لِقَلْبِي  
وَيَا مَنْ أَشَعَّتِ الضَّيَاءَ بِدَرْبِي  
وَمَا إِنْ عَرَفْتُ الطَّرِيقَ لِرَبِّي!  
لَمَا كَنْتُ أُوْمِنُ إِلَّا بِشَعْبِي!  
وَإِمَّا سَمِعْتُ نَدَاكَ الْبَّيِّ  
غَرَامِكَ فَوْقَ ظَنْوَنِي وَلَبِي  
مَقْدَسَةَ مِنْ وَشَاجِ وَصَلْبِ  
مَرْنَحَةَ مِنْ غُوايَاتِ صَبِ  
مَجْنَحَةَ مِنْ سَلَامٍ وَحَرْبِ  
فَآمَنَّ بِي، وَبِهَا، الْمُتَنَبِّي!

*شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا*

*بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ*

*تسابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ*

وَيَا لَجَّةَ يَسْتَحِمُ الْجَمَالِ  
وَيَا وَمَضَةَ الْحَبِّ فِي خَاطِرِي  
وَيَا ثُورَةً حَارَّ فِيهَا الزَّمَانِ  
وَيَا وَحْدَةً صَهَرَتْهَا الْخَطُوبِ  
وَيَا هَمَّةً سَادَ فِيهَا الْحَجَّيِ  
وَيَا مَثَلًا لِصَفَاءِ الْضَّمِيرِ  
سَلَامٌ عَلَى مَهْرَجَانِ الْخَلْوَدِ

*شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا*

*بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ*

*تسابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ*

جَزَائِرُ، يَا لِحَكَايَةِ حَبِّيِّ  
وَيَا مَنْ سَكَبَتِ الْجَمَالَ بِرُوحِيِّ  
فَلَوْلَا جَمَالُكَ مَا صَحَّ دِينِيِّ  
وَلَوْلَا العَقِيْدَةُ تَغْمُرُ قَلْبِيِّ  
وَإِذَا ذَكَرْتُكَ شَعَّ كِيَانِيِّ  
وَمَهْمَماً بَعْدُ، وَمَهْمَماً قَرَبْتُ  
فَفِي كُلِّ دَرَبٍ لَنَا لُحْمَةٌ  
وَفِي كُلِّ حَيٍّ لَنَا صَبْوَةٌ  
وَفِي كُلِّ شَبِّرٍ لَنَا قَصْةٌ  
تَنَبَّأْتُ فِيهَا بِإِلْيَازِتِيِّ

*شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا*

*بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ*

*تسابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ*

<sup>١</sup> الكافر هنا بمعنى الساتر، ومنه قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الرُّزَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّار﴾، وقول إمام العاشقين عمر ابن الفارض يخاطب الحبيب والليل:

لِفِيكَ أَجْرٌ مَجَاهِدٌ إِنْ صَحَّ أَنَّ اللَّيلَ كَافِرٌ

ومنك استمدَ الصَّبَاحُ السَّنَا  
وإن شغلونا بطيب المني!  
وأنتِ الطَّمَاح، وأنتِ الْهَنَا  
ريحُ الذي لم يخُنْ عهداً  
فكان الخلود أساسَ البناء  
فكان بأخلاقنا مومنا  
عساه يسير على هَدِينَا!  
سخي الدَّماءِ فرُعِتِ الدُّنَا  
نبِيِّ فلم يَنْصَهِرْ مثلنا!  
فِي، يَعْجَلُ بِهِ حِمْقَةُ لِلفنا!

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرٍ نُرْتَلُه كَالصَّلَا

تسابِيقُهُ مِنْ حَنَايَا الْجَزَائِرِ

وتذهب عن وجهه في الجزائر؟  
كأنَّ مَجَانِيفُهُ قلبُ شاعر!  
مَنَازُ عَلَى حُورَهَا يَتَآمَرُ  
لحيدرَ مثلَ الْحَظْوَظِ الْبَواكِرِ  
رَقَائِيلَ يَخْفِي انسلاَلِ الجَاذِرِ  
عَلَى صَلَواتِ العَذَارِيِّ السَّوَاحِرِ  
فَتَضَحَّكُ مِنْهُ العَيْنُونُ الْفَوَاتِرِ  
وَنَهْرُ الْمَجَرَةِ نَشْوَانَ سَاهِرِ  
مَآذِنَ تَجْلُو عَيْوَنَ الْبَصَائِرِ  
وَفِي كُلِّ بَيْتٍ نَشِيدُ الْجَزَائِرِ

جزائزُ أَنْتِ عَرْوُسُ الدُّنَا  
وأَنْتِ الْجِنَانُ الَّذِي وَعَدْنَا  
وأَنْتِ الْحِنَانُ، وَأَنْتِ السَّمَاحُ  
وأَنْتِ السُّمُوُ، وَأَنْتِ الضَّمِيرُ الصَّـ  
وَمِنْكَ اسْتَمَدَ الْبُنَاءُ الْبَقَاءُ  
وَأَلْهَمْتِ إِنْسَانَ هَذَا الزَّمَانِ  
وَعَلِمْتِ آدَمَ حَبَّ أَخِيهِ  
صَنَعْتِ الْبَطْوَلَاتِ مِنْ صُلْبِ شَعْبٍ<sup>٢</sup>  
وَعَبَّدْتِ دَرَبَ النِّجَاحِ لِشَعْبٍ<sup>٣</sup>  
وَمِنْ لَمْ يَوْجِدْ شَتَاتَ الصُّفُوـ

أَفِي رُؤْيَا اللِّهِ فَكَرُوكَ حَائِرَـ  
سَلَ الْبَحْرَ وَالْزَوْرَقَ الْمُسْتَهَامَـ  
وَسَلَ قَبَّةَ الْحُورِ نَمَّ بِهَاـ  
سَلَ الْوَرَدَ، يَحْمِلُ أَنْفَاسَهَاـ  
وَأَبْيَارَ تَزْهُو بِقَدِيسَهَاـ  
تَبَارِكَهُ أَمْ إِفْرِيقِيَـ<sup>٤</sup>  
وَيَحْتَارُ بُلْكُورُ فِي أَمْرِهَاـ  
وَفِي الْقَصْبَةِ امْتَدَ لَيلُ السَّهَارِـ  
وَفِي سَاحَةِ الشَّهَداءِ تَعَالَـ  
وَفِي كُلِّ حَيٍّ، غَوَالِي الْمَنِـ

<sup>٢</sup> الشعب النببيح هو فلسطين.

<sup>٣</sup> أم أفريقيا: كنيسة في الجزائر، وهي رمز بوابة الكاثوليك نحو أفريقيا.

<sup>٤</sup> بحذف إحدى التاءين (أصله: تعالى).

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلْهُ كَالصَّلَة  
تسابيحةً من حَنَاءِيَّا الجَزَائِرِ

تعلَّى يَشُدُّ السَّمَا بِالثَّرَى!  
تقَدِّما فَلَا يَرْجُعُ الْقَهْقَرِى  
فَأَضَبَحَ أَزْرُقُهَا أَخْضَرًا  
خُشُوْعًا، فَتَسْخُرُ مِنْهَا الذَّرِى  
قَضَى الْعَمَرُ يَصْنُعُ أَسْدَ الشَّرِى!  
فَتَصْدُعُ فِي الْكَوْنِ هَذَا الْوَرِى  
بِمَغْرِبِنَا وَادِّعِى، وَامْتَرِى  
مَعَاقِلَنَا، بِوَثِيقِ الْعُرِى؟  
فَطَوَّقَ تَارِيْخُنَا الْأَعْصَرِ؟  
فَهَلْ كَانَ يَعْقُدُ مُؤْتَمِرًا؟

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلْهُ كَالصَّلَة  
تسابيحةً من حَنَاءِيَّا الجَزَائِرِ

أَعْيَشُ بِأَحَلَامِهَا الْزُّرْقِ دَهْرًا  
فَأَوْقَدَ قَلْبِي، وَشَعْبِيَ جَمْرَا  
هَمَا الْهَمَانِي، فَأَبَدَعْتُ شَعْرًا  
وَلَمْ يَبْلَ في الْحُبِّ حُلْوًا وَمُرَا  
وَلَا تَعْتَمَدُ فِي الْمَهْمَاتِ صَخْرًا!  
وَمَنْ لَمْ يَهِمْ لِيَسْ يَكْتُمْ سِرًا!  
وَمَنْ صَدَقَ الْعَهْدَ، أَحْرَزَ نَصْرًا  
فَكُنْتُ بِحُبِّي وَشَعْبِي بَرَا  
سَلَوا قَلْبَهُ، فَهُوَ مِنِي أَدْرِى

سَلَ الأَطْلَسَ الْفَرَدَ عَنْ جُرْجُرا  
فِيَخْتَالٌ كِبِرًا، تُنَافِسَهُ  
تَلَوْنَ وَجْهُ السَّمَاءِ بِهِ  
وَتَجْتَوِيَ الْتَّلُوْجُ عَلَى قَدَمِيهِ  
هُوَ الأَطْلَسُ الْأَزْلِيُّ الَّذِي  
وَتَسْمُو بِأَوْرَاسِ أَمْجَادِهِ  
فِيَا مَنْ تَرَدَّدَ فِي وَحْدَةِ  
أَمَا وَحَدَّ الأَطْلَسُ الْمَغْرِبِيُّ  
أَمَا طَوَّقَنَا سَلَاسِلُهُ  
وَكُمْ فَوْقَهُ اَنْتَظَمْتُ قَمَمِ

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلْهُ كَالصَّلَة  
تسابيحةً من حَنَاءِيَّا الجَزَائِرِ

وَفِي بَابِ وَادِيكِ أَعْمَقَ ذَكْرِي  
بِهَا ذَابَ قَلْبِي، كَذُوبِ الرَّصَاصِ  
وَثُورَةُ قَلْبِي، كَثُورَةُ شَعْبِيِّ  
إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْتَفِضْ لِلْجَمَالِ  
فَلَا تَثِقَنَّ بِهِ فِي النَّضَالِ  
وَلَا يَكْتُمُ السَّرَّ إِلَّا الْمَشْوَقُ  
وَحَرْبُ الْقُلُوبِ كَحْرَبِ الشَّعُوبِ  
وَعَلَّمَنِي الْحُبُّ، حُبُّ الْفَدَا  
وَيَشَهَدُ لِي فِيهِ وَادِي قُرِيْشِ

وَدِيرِيٌّ الَّذِي كُنْتُ أَتْلُو بِهِ  
صَلَاتِي – مَعَ اللَّيل – سَرًا وَجَهْرًا  
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَةِ

تَسَابِيْحُهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ

كَانَنَا اغْتَصَبْنَا لِهَامَانَ صَرَحاً  
حَدِيثَ النَّجُومِ، فَتُبَدِّعُ شَرَحاً  
فِي غَمْرُنَا ملتقىِ الْفَكْرِ نَصَحاً!  
بِبَارِيسِ، يَبْنِي لِفِي تَنَامِ صُلْحَا!  
فَأَغْرَقَ بِاِيَّنَامِ حَسَنَاً وَأَوْحَى!  
دَلَالًا، فَيُطَلِّعُ فِي اللَّيلِ صُبْحَاً  
وَسَرِ الْهَوَى مَاثِلٌ لَيْسَ يُمْحِي!  
وَيَسْفَحَ دَمَعًا، فَيَغْمُرَ سَفَحَاً  
فَأَثْخَنَ بِاِيَّنَامِ فِي الصَّبِّ جُرَحَا  
بِأَنْسَامِ بِاِيَّنَامِ فَازْدَادَ لَفَحَا

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَةِ

تَسَابِيْحُهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ

فَأَيْقَظَ أَسْرَارَهَا الْغَامِضَهُ  
عَفَارِيتُ، مَائِجهُ رَاكِضَهُ  
تُصَاعِغُ قَرَارَتُنَا الرَّافِضَهُ  
وَيَحْسَبُهَا مَوْجَهَهُ عَارِضَهُ

عَرْجَنَا، نُنَافِحُ بِاِيَّنَامَ<sup>٦</sup> ضَحَا  
نَسَائِلُ أَشْجَارِهِ الْفَارِعَاتِ  
وَيَلْتَفُ سَاقُ بَسَاقِ، فَنَصِبُو  
كَانَ عَمَالِقَ بِاِيَّنَامَ جَمِيعُ  
كَانَ إِلَهَ الْجَمِيلِ تَجَلَّى  
يَتِيهِ بِهِ النَّجْمُ<sup>٧</sup> بَيْنَ النَّجُومِ  
تَمْوِيجَ مَعِ الشَّمْسِ أَسْرَارُهُ  
فَكُمْ بَاتْ يَبْكِي بِهِ مَوْجَعُ  
وَكُمْ مِنْ جَرِيحِ الْفَؤَادِ اشْتَكِي  
وَكُمْ مِنْ صَرِيعِ الْغَوَانِيِّ، تَدَاوِي

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَةِ

تَسَابِيْحُهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ

سَجَّا اللَّيلِ فِي الْقَصَبَةِ الْرَّابِضَهُ  
وَبَيْنِ الدُّرُوبِ، وَبَيْنِ الثَّنَاءِيَا  
وَمَلَءَ سَرَادِيبَهَا الْكَافِرَاتِ  
فَيَحْتَارُ بِيَجَارُ<sup>٨</sup> فِي أَمْرَهَا

<sup>٥</sup> كنت أسكن في قمة جبل يطل على وادي قريش وبوزريعة في آن واحد، والفيلا يُصعد إليها بمائة واثنتي عشرة درجة. وكان منتدى لأصدقائي من الأدباء والشعراء، وقد أطلقوا عليه «دير زكرياء» سنة ١٩٤٢م.

<sup>٦</sup> غابة بـايـنـام أـجـلـ منـاخـ جـبـلـ في صدر عـاصـمةـ الـجـزاـئـرـ يـوحـيـ بالـعظـمـةـ وـالـشمـوخـ.

<sup>٧</sup> جناس بين النجم وهو النبات الذي لا ساق له، وبين نجوم السماء.

<sup>٨</sup> بـيجـارـ أحدـ الضـبـاطـ الـفـرنـسيـينـ الـجـلـادـينـ، كانـ يـقودـ عمـليـاتـ القـمعـ ضدـ الـفـدائـينـ بـعـاصـمةـ الـجـزاـئـرـ.

وتدمفه الحجة الناهضة  
فتسمو به روحه الفائضه  
بها امتدت الثورة الفارضه  
تمور به السفن الخائضه  
تعانفت المهج النابضة  
وأعمام أعدائنا قابضه

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتِلُه كَالصَّلَاةِ  
تسابيحة من حنايا الجزائر

وخط معلمه في السويقه<sup>١٠</sup>  
وكان يحاسبها بالدقique  
وما عاد يجهل ماسو الحقيقه  
فبدد أحلام مايو الصافيقه  
فغض، وما استطاع يبلغ ريقه  
غريق يشد بذيل غريقه  
وهيهات تجدي دموع العشيقه

فيتجو بيجر إصرار شعب  
ويتأبى على رضوخ الجنان  
كأن اشتباك السطوح جسرو  
كأن المضائق فيها خليج  
ويلتاف جار بحار، كما  
فكانت على حظ حرب الخلاص  
شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتِلُه كَالصَّلَاةِ  
تسابيحة من حنايا الجزائر

وبلكور للمجد شق طريقه  
وعجل أقدار يوم الخلاص  
فأيقن ماسو<sup>١١</sup> وكان تغابى  
وعاجل سالان<sup>١٢</sup> صحو السكارى  
وسوستال<sup>١٣</sup> بالرعب طار شعاعا  
ورجح حواجزهم<sup>١٤</sup> بالغلاة  
تشيعهم أدمع العاشقات<sup>١٥</sup>

<sup>٩</sup> الشهيد علي لابوانت الذي حاصره بيجر مع جمع من الفدائين في معلم من معاقل القصبة، ووجه إليه نداء من وراء جدار للاستسلام تلقى تعهدات وإغراءات فرفض وظل يقاوم إلى آخر رقم هو وأعضاده فاستشهد تحت أنقاض البيت الذي اعتمد به بعد أن نسفه الجنд الفرنسي بأمر الجلاad بيجر.

<sup>١٠</sup> سويقة العقبة منحدر الفدائين أبطال حي بلكور.

<sup>١١</sup> ماسو الجلاad المشهور.

<sup>١٢</sup> سالان من الجلااد المتمردين ومن أكبر الغلاة الحقيقيين.

<sup>١٣</sup> «سوستال» وإلي فرنسا على الجزائر، اشتري ضمير الغلاة فأصبح رائدهم الأحمق.

<sup>١٤</sup> لما أحس غلاة الاستعمار بمحاولات التفاوض مع حكومة الجنرال ديغول؛ تمردوا على حكمتهم، وحاولوا الانفصال، وأقاموا الحواجز في أكبر شوارع العاصمة ضد القوات الموالية لـ ديغول.

<sup>١٥</sup> كان المتمردون يحيطون حواجزهم بالنساء للاحتماء بهن، وفي ذلك أقول من قصيد في الموضوع منشور بديوانى للذهب المقدس (تحت عنوان: إلى الذين تمردوا) أقول:

غواه السراب، فضل طريقه  
ضمائركم في المزاد، رقائقه  
ر والقصبة الحاملين الوثيقه  
شغلنا الورى، وملاتنا الدنا

بشعر نرتله كالصلة  
تسابيحة من حنايا الجزائر

وأنهى غوايته والفتونا  
عن المستحمات، والعائمهينا  
فأصبح دربا يلاقي المنونا  
فصار لصييد الذئاب كميما  
ففجرت العزم في التائريننا  
فكأن الرصاص القصاص الضميما  
فأقسم أن لا يخون اليمينا  
وينفض عنه غبار السنينا  
وكان الجلال عليه ضنينا  
غوت، وصبّت ... أبدا ... لن تخوننا

شغلنا الورى، وملاتنا الدنا

بشعر نرتله كالصلة  
تسابيحة من حنايا الجزائر

وحمام ملوان<sup>١٦</sup> مل المجمونا  
وفضل خوض الحمام، بديلا  
وقد عاش دربا لحلو الأماني  
وكان كمين الضبا والذئاب  
وغافت به، ثورات الهوى  
وأعلن توبته في الجبال  
ومد اليمين لداعي الفدا  
وشمن، يرفض دنيا الملاهي  
وأضفى الجمال عليه جلا  
هي الأرض ... أرض الجزائر ... مهمما

---

جيش الجزائر لا يهاب عصابة تحمي النساء على السدود رجالها  
لا خير يرجى من عاقب أمة أولت زمام أمرها أنذاها

<sup>١٦</sup> الفوروم: ساحة أمام قصر الحكومة كان المتربدون عقدوا فيها تجمعا إثر أحداث ١٣ مايو، وأيدُهم فيها بعض الأبقار العجمة والمطربيشة من البيادق المأجورة الفاقدي الإيمان والأخلاق والضمير.

<sup>١٧</sup> حمام ملوان مياه معدنية متفرجة بين الجبال المتعددة إلى جبل الشريعة، وكان - ولا يزال - محطة للتداوي. وكان - ولم يُعد - مرتعًا للذين يعيشون بأمل غير محدود، ويكرعون كأس المتعة حتى الثمالة.

ترنَّح طوع الْهُوَى وَالْتَّصَابِي  
عَبِيرًا ... وَأَحْشَاؤُهُ فِي التَّهَابِ  
تُطَارِحُهَا نِزَواتُ الشَّابِ  
فَتَفَضَّلُهُ خَائِنَاتُ الْجُنَاحِ  
تَمْوِيجُ الْمَحَاسِنِ مَلِءَ الرَّحَابِ؟  
شَوَاهِقُ تُرْجِي رِكَابُ السَّحَابِ  
كَمَا يُتَدَاوِي بِحَلُو الرُّضَابِ  
فَيَنْسِي حَرَارةَ يَوْمِ الْحَسَابِ!  
فَرَاعَ الدُّنْـا، بِالْعَجَيبِ الْعُجَابِ  
وَسَارَ عَلَى هَدِيهَا فِي الْغِلَابِ

شَغَلُنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْـا

بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَة

تسابِيقُهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ

كَمَالَاتُهَا، رَاسِخَاتُ ضَليْعِهِ  
أَقَامَ الدَّلِيلَ فَأَعْلَى الشَّرِيعَةِ  
فَزَكَّى الصَّلَاحُ جَمَالَ الطَّبِيعَةِ  
شَواخِصَ تَحْمِدُ رَبَّ الصَّنْيِعِ  
فَيَبْدِعُ مِنْهَا الزَّمَانُ رَبِيعَهِ  
عَلَى الْقَمَمِ الشَّامِخَاتِ الرَّفِيعَةِ  
تُجْبِهِ الْجَنْوَعُ<sup>٢١</sup> الطَّوَالُ مُطْيِعَهِ!  
وَخَلَدَ فِيهِ الْأَغَانِيُّ الْبَدِيعَهِ!

وَحَمَامُ رِيْفَةَ<sup>١٨</sup> بَيْنَ الرَّوَابِيِّ  
يُصْعَدُ فِي الْجَوِّ أَنْفَاسَهِ  
وَتَغْلِي الْمَوَاجِدُ فِي صَدْرَهِ  
يَحَاوِلُ كِتْمَانَ أَسْرَارِهِ  
أَيُخْفِي هَوَاهُ وَفِي رَاحَتِيهِ  
وَتَخْتَالُ بَيْنَ يَدِيهِ اخْسَرَارًا  
مَدَامُهُ يُتَدَاوِي بِهَا  
وَأَنْفَاسُهُ تَغْمُرُ الصَّبَّ دَفَئًا  
وَمِنْهَا اسْتَمدَّ الْمَجَاهِدُ عِزًّا  
وَفَجَّرَ ثُورَتَهُ مِنْ لَظَاهَا

شَرِيعَتَنَا، كَجَلالِ الشَّرِيعَهِ<sup>١٩</sup>  
كَأَنَّ الَّذِي شَرَعَ الصَّالَحَاتِ  
وَعُمَرَ فِيهَا بَنِي<sup>٢٠</sup> صَالِحٌ  
تُطِلِّ جَوَاسِقَهَا الضَّارِعَاتِ  
كَذُوبِ النَّجُومِ عَلَى قَدَمِيهَا  
وَتَاهَ الصَّنْوُبُرِ، كِبِرًا وَعَجَبًا  
وَمَنْ تَكُونَ فِيهِ الْأَصَالَةُ طَبَعًا  
وَفَاخِرٌ بِالْأَرْزِ لِبَنَانِ، وَهُمَّا

<sup>١٨</sup> حَمَامُ رِيْفَةَ حَمَامُ مَعْدَنِي فِي سَفحِ جَبَالِ زَكَار بَيْنَ الْمَلِيَّانَةِ وَالْبَلِيَّدَةِ، يَمْتَازُ بِرُوَّاعَةِ مَنَاظِرِهِ.  
<sup>١٩</sup> جَبَالٌ يَبْعُدُ خَمْسِينَ مِيلًا عَنْ عَاصِمَةِ الْجَزَائِرِ، تَنْجِلِي فِيهِ عَظَمَةُ الْخَالِقِ فِيمَا أَبْدَعَ مِنْ صَنْعٍ. وَيَزْرِي بِجَبَالٍ سُوِيسِرَةٍ وَغَيْرِهَا حَسْنًا وَرُوَّاعَةً وَافْتَنَانًا.

<sup>٢٠</sup> بَنُو صَالِحٍ، سَكَانُ جَبَالِ الشَّرِيعَةِ، وَقَدْ اشْتَهَرُوا بِالصَّدقَ وَالْكَرَمِ وَالْبَطْوَلَةِ وَحُسْنِ السُّلُوكِ.

<sup>٢١</sup> الْجَنْوَعُ الطَّوَالُ كَنِيَّةٌ عَنْ «أَجْسَامِ الْبَغَالِ وَأَحْلَامِ الْعَصَافِيرِ».

ولولا تواضع أطلسنا لَكَانَتْ جَزِئُنَا فِي الطَّلِيقَه!  
إِلَّا أَنَّ حَرَمَهَا مَا بَيْنَنَا وَمَا بَيْنَ لَبَنَانِ كَانَتْ شَفِيقَه  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأَنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَة  
تسابيحةً من حَنَاءِيَّا الجَزَائِرِ

تسلق إيكورن واغز السها  
في خجل هامان من صرخه  
وعائق بجایه في نخوة  
وناج بزغواط سرب الظبا  
عجائبهَا السَّبْع<sup>٢٤</sup> لا تأتلي<sup>٢٤</sup>  
ووادي الهوى والهواء بستانا  
تهذده النسمات كأم  
وفي جبل الوحش تاهت بلادي  
فلو شاء ربُك وصف الجنان  
أضاع بها ذو الحجى رشده  
شغالنا الورى، وملائنا الدنيا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَة  
تسابيحةً من حَنَاءِيَّا الجَزَائِرِ

أمانًا، رُبَوعَ النَّدَى وَالْحَسَب  
تماوج وهرانُ في أصغريك<sup>٢٧</sup>

<sup>٢٢</sup> المشتهى: إشارة إلى الآية: ﴿وَقَالَ فَرَّعَوْنٌ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلَى أَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾.

<sup>٢٣</sup> عجائبهَا السَّبْع: في الطريق الساحلية الرابطة بين بجاية وجigel.

<sup>٢٤</sup> لا تأتلي: أي لا تنفك، ومنه قول ابن دريد في مقصورته: «لا تأتلي تسعف أثناء الحشى».

<sup>٢٥</sup> المراد به حوض سيدي مسید بقسنطينة.

<sup>٢٦</sup> هذا تصوُّف وليس كفراً. وهو على مسؤوليتي الخاصة لأنني أعتبره إيماناً كفوياً في بعض ملاحمي الثورية: وتكلم الرشاش جل جلاله ...  
<sup>٢٧</sup> الماء بأصغريك قلبه ولسانه.

يلقُنْ زَرِيَّابَ مَعْنَى الطَّرَبِ  
فَأَخْلَصَ فِي حُبِّهَا كُلُّ ضَبٍّ  
وَعَيْنُ النَّسُورِ لَكُنْتِ الْعَجَبِ  
وَحُلْمُ الْلَّيَالِيِّ، وَسَلْوَى الْمَحْبِ  
وَفِي مَعْبِدِ الْحُبِّ شَادَ الْقِبَبِ  
بِهَا أَسْكَرَ الْحَسْنُ بَنْتَ الْعَنْبِ  
وَخَلَدَ زَيَّانٌ<sup>٣١</sup> مَجَدَ الْعَرَبِ  
وَيَحِيَّى بْنُ خَلْدُونٍ<sup>٣٢</sup> فِيكَ التَّهَبِ  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَةِ  
تسَابِيَّهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ

تِ الْأَرْضِ، مَلَءَ شَفَائِفَ شَفَاءٍ<sup>٣٤</sup>  
وَمُوسَى الْكَلِيمِ، يِرْتَلُ صَحْفًا<sup>٣٥</sup>  
وَاحِدَكَ، إِلْفُ يُغَازِلُ إِلْفًا!  
حَدِيثُ الْغَرَامِ، فَيِزَدَادُ لَهُ فَا  
تَطَارِحُهُ صَفَوَّةُ الْكَأْسِ صَرْفًا

وَتَاهُ الْوَرِيطُ بِشَلَالِهِ  
وَأَغْرَى الْمَلَوَكَ بِحَبِّ الْمَلَوِكِ  
وَلَوْلَا عَنَاصِرُ مَلِيَّانَةِ  
تِلْمِسَانُ، أَنْتَ عَرْوَسُ الدُّنَى  
بِحُسْنَكَ، هَامَ أَبُو مَذِينَ<sup>٢٨</sup>  
وَأَجْرَى بِكَ الرَّوْمُ سَاقِيَّةَ<sup>٢٩</sup>  
وَفِي مُشْوَرِ الْمَجَدِ<sup>٣٠</sup> أَذَنَ مُوسَى<sup>٣٠</sup>  
وَنَافَحَ فِرْدُوسَكَ ابْنُ خَمِيسٍ<sup>٣٢</sup>  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

وَسَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَا  
كَأَنَكَ تُصْغِيَ بِهَا لِلْخَالِلِ  
كَأَنَّ مَشَارِفَهَا الْحَالِمَاتِ الضَّ  
كَأَنَّ الْبُلْيِدَةَ لِلْوَرَودِ تَفْشِي  
وَتَهْفُو الْمَدِيَّةَ شَوْقًا إِلَيْهِ<sup>٣٦</sup>

<sup>٢٨</sup> ساقية الرومي.

<sup>٢٩</sup> المشوار.

<sup>٣٠</sup> أبو حمو موسى الثاني.

<sup>٣١</sup> مؤسس دولة بنى زيان.

<sup>٣٢</sup> الشاعر المشهور، نافح إشارة إلى قوله:

نَسِيَّتُ وَمَا أَنْسَى الْوَرِيطَ وَوَقْفَةً أَذَافِحُ فِيهَا رَوْضَهُ وَأَفَاوِحُ

<sup>٣٣</sup> المؤرخ التلمساني المشهور، أخوه عبد الرحمن.

<sup>٣٤</sup> جبال «شفاء» المعروفة، «الشفائف» جمع شفاء، وهو مستعمل مثل «شفاء».

<sup>٣٥</sup> إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.

<sup>٣٦</sup> الضمير في «إليه» يعود على الورد.

ويصبو البخاري فتحجل جلفا  
وأغواطنا بالشام استخفا؟  
نواوج<sup>٣٨</sup> مسكٍ تضوعن عرفا  
على الشمس يختال لطفاً وظرفا  
فيصبح ميزابٌ في اللوح<sup>٣٩</sup> حرفا  
شَفَلْنَا الورى، ومَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَاءِ الجزائر

تقَدَّسَ واديكِ، مَنْبَعَ عَزِّي  
وربِّضَ أَبِي ... وَمَرَابِعَ أَمْيِ  
وفُخْرَ الْجَزَائِرِ، فِيكِ تناهَت  
وأَحَقَّادَ أَوَّلَ مَنْ رَكَزَوا  
دَمَاءُ ابْنِ رُسْتَمَ مَلَءَ الحَنَاءِ  
وَعَرْقُ الأَصَالَةِ طَهَرَ طَبَعِي  
وَكَرَّمَتُ، بِاسْمِ الْمَفَاخِرِ، قَوْمِي  
إِذَا لِلْكَرِيَّهَةِ نَادَى الْمَنَادِي  
وَإِنَّ لِلْسَّخَاءَ اسْتِجَابَ كَرِيمُ  
وَإِنْ شَيَّدُوا لِلْبَقَاءِ وَالْخَلُودِ  
شَفَلْنَا الورى، ومَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَاءِ الجزائر

أَلا ... مَا لِهَذَا الْحَسَابِ ... وَمَا لِي؟ ... وَصَحَراُونَا ... تَبَعُ هَذَا الْجَمَال

<sup>٣٧</sup> الشام بالهمزة بعد الشين «الشام».

<sup>٣٨</sup> نواوج: مبادر.

<sup>٣٩</sup> اللوح المحفوظ.

<sup>٤٠</sup> ﴿لَيُدْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

جِيال النَّخْيل ... وَبَيْنَ الرَّمَال  
وَنُورُ الْهُدَى، وَمَصْبُّ الْكَمَال  
وَصَرْحُ الشَّمْوَخ، وَعَرْشُ الْجَلَال  
وَيُلْهَمُنَا الصَّفْوُ نُورُ الْهَلَال  
وَنَهْرًا مِنْ وَثَبَاتِ الْغَرَازِ  
وَحَذَرَنَا الظُّلُمُ نَهَجَ الْضَّلَالِ<sup>٤١</sup>  
وَعَلَّمَنَا الصَّبَرَ ... صَبْرُ الْجِمَالِ  
فَطَارَ بِهَا الْعِلْمُ ... فَوْقَ الْخَيَالِ ...!  
وَتَكَفَّيِ الْجَزَائِرَ ... ذُلُّ السُّؤَالِ!  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَاة  
تسابِيقُهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِر

وَمَغْبِدُ حَبِّي، وَحُلْمُ فَوَادِي  
وَمَبْنَاهُ ... فِي مَلَّتِي وَاعْتَقَادِي  
وَأَشَدُّو بِحَبِّكَ، فِي كُلِّ نَادِي  
وَهَمْتُ لِأَجْلِكَ، فِي كُلِّ وَادِي ...  
وَإِنْ لَمْهُ الْغُشْمُ، قَالَ: بِلَادِي!  
وَأَتَرْعَتُ كَأْسِي، وَصُفْتُ الشَّوَادِي  
بِسَاحِ الْفَدَا ... يَوْمَ نَادِي الْمَنَادِي  
أَسْأَلَهُ: عَنْ ثَمَودٍ ... وَعَادَ ...  
وَهَلْ إِرْدُ ... هِيَ ذَاتُ الْعِمَادِ؟  
وَقَالَ: الْجَزَائِرُ ... دُونَ عَنَادِ!  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَاة

هُنَا مَهِيطُ الْوَحْيِ لِلْكَائِنَاتِ  
وَمَهْدِ الرِّسَالَاتِ لِلْعَالَمِينَ  
هُنَا الْعَبْرَيَّاتُ وَالْمَعْجَزَاتُ  
تُبَادِلُنَا الشَّمْسُ إِشْعَاعُهَا  
وَنَعْدُو فَنَسْبُقُ أَحْلَامَنَا  
وَجَنَّبَنَا الْغَدَرَ ... مَاءُ الْغَدَير  
وَعَوَّدَنَا الصَّدَقَ ... رَاعِي الْمَوَاشِي  
وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا<sup>٤٢</sup>  
تَوَفَّرُ لِلشَّعِيرِ أَقْدَارُهُ

فِيَا أَيَّهَا النَّاسُ ... هَذِي بِلَادِي  
وَإِيمَانُ قَلْبِي، وَخَالِصُ دِينِي  
بِلَادِي، أَحَبُّكَ، فَوْقُ الظَّنَنِ  
عَشِقْتُ لِأَجْلِكَ كُلَّ جَمِيلٍ  
وَمَنْ هَامَ فِيكَ، أَحَبَّ الْجِمَالَ  
لِأَجْلِ بِلَادِي، عَصَرُتُ النَّجَومَ  
وَأَرْسَلْتُ شِعْرِي ... يَسُوقُ الْخَطْبِي  
وَأَوْقَفْتُ رَكْبَ الزَّمَانِ طَوِيلًا  
وَعَنْ قَصَّةِ الْمَجَدِ ... مَنْ عَهَدَ نُوحَ  
فَأَقْسَمَ هَذَا الزَّمَانُ يَمِينًا

<sup>٤١</sup> «حَذَر» يتعدّى بنفسه. وفي القرآن الكريم: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ تَفَسُّهُ﴾.

<sup>٤٢</sup> النفط والغاز.

## تسابيحة من حنايا الجزائر

وقفنا نحّيي بها ألفَ عام  
ونُقرئ زيري العظيمَ السَّلام  
يَهُزُ الدُّنْـا، ويروعُ الأَنَـام  
يَعْـانِقُ زيري المـلـيـكـ الـهـمـامـ  
وـحـازـتـ أـكـوسـيـوـمـ<sup>٤٦</sup> أـقـصـىـ المـرـامـ  
تـصـولـ وـتـزـجيـ الخـمـيـسـ اللـهـامـ<sup>٤٧</sup>  
وـخـاصـصـواـ المـعـامـعـ يـوـمـ الصـدـامـ<sup>٤٨</sup>  
وـشـادـواـ الـبـنـاـ ...ـ وـأـقـرـواـ النـظـامـ  
وـصـانـنـاـ نـمـامـاـ تـرـاعـيـ الذـمـامـ  
فـمـاـ الـفـجـرـ إـلـاـ وـلـيـدـ الـظـلـامـ!  
رـمـهـدـ الـأـسـوـدـ وـرـبـعـ الـكـرـامـ  
بـشـعـرـ نـرـتـلـهـ كـالـصـلـاـ  
شـغـلـنـاـ الـوـرـىـ، وـمـلـأـنـاـ الدـنـاـ

تسابيحة من حنايا الجزائر

<sup>٤٣</sup> بولوغين بن زيري بن مناد، بنى عاصمة الجزائر سنة ٣٩٢ هجري.

<sup>٤٤</sup> سيبوس: اسم قديم لعنابة، بناتها زيري بن مناد. و vad سيبوس يدل على التسمية القديمة.

<sup>٤٥</sup> الصمير في صانها يعود على الجزائر.

<sup>٤٦</sup> فيرموز بن نابال الملك المازيني مقاوم كبير أثار جبال جرجة وأوراش وأفريقيا بأكملها، وهب لنصرته أهل البوادي من سبعة دوناطوس وحتى الضباط الرومان، وبُويع ملكاً على الديار المغربية الكوسيوم التي ستصبح فيما بعد عاصمة الجزائر، فاتخذها فيرموز عاصمةً له آنذاك واستولى على شرشال، وقاوم جحافل الكونت دوسونس، وما غلب إلا عند ما غدر به أخيه جلدون، فسلمه للرومان من فراش نومه غنية باردة، ثم إن أخاه جلدون هذا ثار بدوره على الرومان وجعلهم على قاب قوسين أو أدنى من هلاكهم الأخير.

<sup>٤٧</sup> الخميس اللهم: الجيش الجرار.

<sup>٤٨</sup> تنظير بولوغين مؤسس الجزائر وأبناء الأمازيغ محرري الجزائر.

<sup>٤٩</sup> الإشارة إلى عشرة قرون، وعشرين سنة.

دَعُوا مَاسِينِيَّساً<sup>٥٠</sup> يَرْدَدْ صَدَانَا  
وَخَلُوا سَفَاكِس يَحْكِي لَرْوَمَا  
وَكَيْفَ غَدَا ظَافِرًا مَاسِينِيَّسا  
وَكَمْ سَاوَمُوهُ، فَثَارَ إِبَاءَ  
وَأَلْهَمَهُ الْحُبُّ نَيلَ الْمَعَالِي  
وَمَنْ صَنَعْتُ رُوحَهُ سُوفُونِيَّزا  
تَغْذِيهِ حَبًّا وَفَنَّا وَعَلَمَا  
فَجَاءَ يَغُورْطَا<sup>١</sup> عَلَى هَدِيَّهِ  
وَقَالَ: «مَدِينَةُ رُومَا تُبَاعُ  
وَوَحَّدَ سِيرَتَا بِأَعْطَافِ كَافِ  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعَرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَة  
تسَابِيَّهُ مِنْ حَنَايَا الْجَزَائِر

صُمُودُ الْأَمازيغِ عَبْرِ الْقَرْوَنِ  
وَكَمْ دَوَّخُوا الْمُسْتَبَدَ الظَّلَوْمَا

غَزَا النَّيَّرَاتِ، وَرَأَعَ النَّجَوْمَا

<sup>٥٠</sup> ماسينيسا ابن غادا الملك المازيغي، ولد سنة ٢٢٨ قبل المسيح حينما كانت الحروب البوينية على قدم وساق، وكان الملك المازيغي سفاكس (صفاقس) مواليًا للرومانيين، فنهض ماسينيسا يحارب الرومانيين وسفاكس معًا، وكان مصدر إلهام ماسينيسا تزوجه بالعالمة الموسيقارة والفيلسوفة المؤرخة القرطاجنية القسيسة سوانيزيا، فأعانه ذلك على إقامة إمبراطورية في نوميديا وجزء كبير من التراب التونسي، وأجل الرومان عن مملكته، ثم إن الرومان تغلبوا على قرطاجنة البوينية في واقعة زامة وراودوا ماسينيسا على أن يكون حليقاً لهم، ولكنه استمر في الدفاع عن وطنه وكوئن إمبراطورية قوية، وتطور الزراعة، مما جعل الرومان يكيدون له، إلى أن تُوفي وقد قرب من التسعين، بعد أن انتصر في زامة.

<sup>١</sup> يوغورطا أحد الملوك الأمازيغ وحفيد ماسينيسا، ولد سنة ١٤٥ قبل المسيح، وافتتح فرصة الحرب بين روما وقرطاجنة البوينية فثار على الاثنين وأسس الإمبراطورية الأمازيغية، أقامها على أصول أمازيغية بحتة في نظام الحكم الجمهوري، وبعث الثقافة والقيم الأمازيغية الأصلية، وجعل عاصمتها مدينة قرطاج (سيرتا) – قسنطينة اليوم – وامتد حكمه إلى الغرب التونسي فكانت له عاصستان «الكاف» ويُسمى «شقب النارية» ومدينة تالة، وانضم إليه الأمازيغ فوحد صفوفهم وقادهم من نصر إلى نصر، وكان يقول: مدينة روما مبتاعة لمن يريد شراءها. وكان يستهوي القواد بهذه الوسيلة.

سَلُوا طَبَرِيَّةً يَذْكُرُ تَبِيرِيوس  
 ثَمَانِ سَنِين يَصَارُعُ رُومَا  
 وَأَوْحِيَ لَهُ الْأَطْلَسُ الْوَهْدُوِيُّ  
 سَلُوا بَرَبَّرُوسَ يُجْبِكُمْ فَرَاكِسَ—  
 وَقَالُوا: أَرَادَ يُونَ بالكافِ أَوْدِي!  
 وَهَذَا أَغْوِسْتَنْسُ بِالاعْتَرَافِا  
 وَأَسْقَفَ بُونَة أَصْبَحَ قَدِيدَ—  
 وَكَانَ أَغْسْتَنْسُ فَخَرَ الْبَلَادِ  
 شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
 بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَةِ  
 تَسَابِيْحُهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ  
 أَشِرْشَالُ! ... هَلَا تَذَكَّرِتُ يُوبَا؟  
 وَمِنْ لَقْبِهِ عَرْشِكِ الْقِيَصِيرِيَّه؟<sup>٥٦</sup>

<sup>٥٢</sup> تكفرناس، ثائر أمازيغي جزائري على عهد الإمبراطور الروماني تiberios باني طبرية. انتصر تكفرناس على عديد من جيشه، فعزل من أجله عدة ولاة من الرومانيين. ودامت الحرب التي أدارها في كامل القطر الجزائري وتونس والمغرب ومن التل إلى الصحراء ٨ سنوات احتاجت إلى عدة جيوش أرسلت كمدي من روما، كلها ذابت أمام صمود الأحرار الوطنيين من جبل الأطلس الرحيب.

<sup>٥٣</sup> فراكشن دار بجبال جرجرة والبابور، فصادمه الإمبراطور الروماني بربوس قادماً من روما، ودامت الحرب أعواماً، كلما قضى فراكشن على جيش جيء بجيش غيره حتى ضاقت روما بذلك، وقتل أراديون العضد الأيمن لفراكشن في مدينة الكاف.

<sup>٥٤</sup> الكلمة: الجراح.

<sup>٥٥</sup> أغوصتنس ولد بناfaxt (سوق أهراس الحالية) وتعلّم بها، ثم انتقل إلى قرطاجنة فخذق اللاتينية واليونانية. ثم أقبل على دراسة النصرانية حتى صار رئيس الأساقفة لمدينة قرطاجنة بعد أن كان أسقف بونة. وهو إلى جانب ذلك فيلسوفٌ مفكّرٌ أخلاقيٌ ومربٌّ عاليٌ. ويعتبره مؤرخاً في كتابه الاعترافات — الفهوم جمع فهم.

<sup>٥٦</sup> يوبا الثاني ولد على عرش الأمازيغ بشرشال التي كانت تسمى يومئذ قيصرية، واستقل بولية موريتانيا القيصرية الواقعة بين سرتا وموريتانيا الطنجية، وكان عالماً كبيراً، علّوة على أنه كان سياسياً ماهراً، وعسكرياً مظفراً، وممثلاً ممتازاً، اتخذ من شرشال ضرة لروما وزينتها بالمعالم الفاخرة والقصور والمعابد والمسارح، وأسس بها جامعة كبيرة للعلوم والأداب والفنون من فن وتمثيل وموسيقى ونحت وتصوير؛

وَمَنْ مَصَرُوكِ فَنَافَسْتِ رُومَا?  
 لِمَاذَا يُلْقَبُ يوْبَا بِثَانِ؟  
 وَبَاهِي بِشِرْشَالِ جَنَّةَ عَدَنِ؟  
 أَمَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ خَطَّ رَسْمَا  
 أَمَا شَادَ يوْبَا بِشِرْشَالَ لِلْعِلْمِ  
 وَهَذَا أَبُولُوسُ كَانَ طَبِيبَا  
 وَأَبْدَعَ فِي قَصَصِ الْحَيَوانِ  
 وَكَانَ الْأَفَارِقُ فِي مُنْتَدَاهِم  
 وَكَانَ أَبُولُوسُ قَاضِيَ رُومَا

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
 بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَةِ  
 تِسَابِيَحَةُ مِنْ حَنَاءِيَا الْجَزَائِرِ

أُولَئِكَ آباؤُنَا، مِنْذُ عِيسَى  
 وَلَاحَ الصَّبَاحُ، فَهَزَ السَّكَارِي  
 وَأَيْقَظَ حُلَمَ الْلَّيَالِي الْحَبَالِي  
 وَأَهْوَى عَلَى الْبَغَى يَذْرُو الْجَذَوَعِ  
 وَحَذَرَ آدَمَ ظَلَمَ أَخِيهِ

وَكَانَ مُحَمَّدُ صَهْرًا<sup>٥٨</sup> لِعِيسَى  
 وَأَجْلَى النَّدَامِيِّ، وَرَضَ الْكَئُوسَا  
 وَأَسْرَجَ فِي الْكَائِنَاتِ الشَّمُوسَا  
 وَيَغْرِسُ فِي الْجَبَرُوتِ الْفَئُوسَا  
 وَسَوَى الْحَظْوَظَ، وَأَعْلَى الرَّءُوسَا

فكانت أول جامعة من نوعها في الغرب، وجبل لها كبار الأساتذة من اليونان. وألف دائرة معارف شاملة في كافة العلوم. وهو أول من وضع جغرافية لجزيرة العرب.

<sup>٥٧</sup> أبولوس ولد بمداروش، وأجاد اللاتينية واليونانية، ثم انتقل إلى جامعة قرطاجنة فتخرج في الحقوق والأداب، والطب، ودرس الحقوق، وأمتاز بمخبر للتجارب والتركيب والتشريح. تقدم به علم الطب لتحضير الأدوية ومعرفة العلل، وأسرار النباتات الغذائية والاستشفائية. كان شاعراً باللاتينية وخطيباً مصقاً وروائية ممتازاً وعالماً بالسحر وفنونه، ألف كتاب «التحولات» أو المنسخ، وهو قصة طريفة، وكتاب «الزهريات» وكتاب «تقلبات الحمار» ونقل عنه الأمويون بعض قصصه على لسانه الحيوانات. كان يدعى إلى روما للمرافعات في القضايا الكبرى ثم أصبح بها قاضياً، ويدعى كذلك لعلاج المرضى، وكان من أبرز أعضاء النادي الأفريقي بروما الذي كان يجتمع فيه القياصرة الأفارقة وكبار الكتاب والأطباء والمحامين والمشرعين.

<sup>٥٨</sup> وكان نسباً وصهراً.

وأخرج حواء من رمسها  
لئن حارب الدين خبث النفوس  
ولم نكُ ننكر آباءنا  
وهل كان ببر إلا شقيقاً  
إذا عَرَبَ<sup>٦٠</sup> الدين أصلابنا  
شَغَلْنَا الورى، ومَلَأْنَا الدُّنْيَا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ  
تسابيحةً من حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وُهْبِنَا الْعُروبةَ جَنْسًا وَدِينًا  
إذا كان هَذَا يَوْحُدُ صَفًا  
وإن كان يَعْرُبُ يَرْضى الْهَوَانَ  
وَقَلْنَا: كُسْيِلَةُ كَانَ مَصِيبًا  
فَاهْلًا وَسَهْلًا بِأَبْنَاءِ عَمٍّ  
وَمَرْحَى لِعَقْبَةَ فِي أَرْضِنَا  
وَيُعْلَى الصَّوَامِعَ فِي الْقِيرَوانَ  
يَبْثُ المَرَاحِلَ<sup>٦١</sup> فِي كُلِّ فَجٍّ  
وَبِادِلِهِ السُّمْرُ تِبْرًا بِمَلْحٍ  
وَما كَانَ جَوْهَرُ إِلا مَدِينًا

وَإِنَا بِمَا قَدْ وُهْبِنَا رَضِينَا  
وَيَجْمَعُ شَمْلًا رَفِعْنَا جَبِينَا  
وَيَلْبِسُ عَارًا ... أَسَانَا الظِّنُونَا  
وَكَاهْنَةُ الْحَيِّ أَعْلَمُ مِنَّا!  
نَزَلْتُمْ جَزَائِرَنَا فَاتَّحِينَا  
يَنِيرُ الْحِجَى، وَيَشْيِعُ الْيَقِينَا  
وَيَرْفِعُهَا لِلْدَّفَاعِ حُصُونَا<sup>٦٢</sup>  
فَرَاعَتْ أَسَالِيْبَهُ الْعَالَمِينَا  
وَمَا كَانَ فَزَانُ عَنْهُ ضَنِينَا<sup>٦٣</sup>  
لِعَقْبَةَ ... يَوْمَ اسْتَقَلَ السَّفِينَا<sup>٦٤</sup>

<sup>٥٩</sup> سواء كانوا ...

<sup>٦٠</sup> عَرَبٌ: أي صَرَّها عَرَبَةً، من التعريب.

<sup>٦١</sup> وضع عقبة خطة جديدة في زحف الجيش الفاتح في طريقه من مصر إلى المغرب. تعلم هذه الخطة الألان، وانتفع بها الإنجليز في الحرب العالمية الثانية. وصورته: أن الطريق من مصر إلى القيروان، إما بحرية وهي مخيفة لوجود الأسطول البيزنطي وعدم وجود أسطول عربي، وإما جبلية والأمازيغ في الجبال ومحاورها كبيرة وغاباتها كثيفة، فلا يأمن الكماش الصحراوية لكونها مجده وعديمة الزاد، فأسس عقبة مراحل على طول الطريق مزودةً بالملاء والزاد والمخيمات، فإذا وصلها الجيش استراح وأغتنس وأكل وشرب، ونام وتزود وانتقل إلى التي بعدها على أتم وأوفر عدة. أَلْفَ عن هذا ملل الألاني و قال: إن أسلوب عقبة مبتكرة تدرَّس في أكاديمية ألمانيا، وقد درَّسها مونتقرمي وانتفع بها وطبقها في إجبار ليبيا في الحرب العالمية الثانية، ثم إن عقبة يعلم أن المال هو عصب الحرب، وأن الذهب يوجد في أفريقيا السوداء. فأخذ

شَفَّالْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَاءِ الْجَزَائِر

وَهَالَ ابْنَ رُسْتَمَ أَن لَا تَسْوَدَ  
وَيُرْسِي نَظَامًا، وَيُنْشَرَ فَضْلًا<sup>٦٢</sup>  
بِوْحِي الشَّرِيعَةِ حَقًّا وَعَدَلًا  
وَحَقًّا انتِخَابِ الْإِمَامَةِ فَصَلَاة  
وَلَم يَكُنْ بِالْعَصَبِيَّاتِ يُبْلِي  
فَكَانَتْ لِتَاهِرَةِ بَغْدَادٍ ... ظَلَّاً!  
وَيَغْمُرُ أَرْضَ الْجَزَائِرَ نُبْلَا  
يَهَادِي تَلْمِسَانَ، وَرَدَا وَفُلَاً  
كَأَوْصَافِهَا، عَبْقَرِيَا، وَفَحْلَا  
فَأَفْلَحُ خَلَدُ أَمْجَادِهَا

شَفَّالْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَاءِ الْجَزَائِر

وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْ بَنِي الْأَغْلِبِ

فَقَامَ بِتَاهِرَةِ يَعْلَى اللَّوَاءِ  
يُوجِّهُ حُكْمَ الْبَلَادِ الشَّرَاءَ  
وَيَجْعَلُ أَمْرَ الْجَمَاعَةِ شَوْرَى  
فَلَمْ يَكُنْ لِلتَّبَعِيَّاتِ ذِيَّاً  
فَدَوَّحَ بَغْدَادَ فِي أَوْجَهَا  
وَفَاضَ بِهَا الْعِلْمُ يَجْلُو الْعُقُولَ  
وَتَاهَ الرَّبِيعُ بِجَنَّاتِهَا  
فَكَانَ ابْنُ حَمَادَ مِنْ وَحِيهَا  
وَأَفْلَحُ خَلَدُ أَمْجَادِهَا

الملح من فزان وذهب به وأبدلته ذهبًا توفر له به تموين الحملة، فكانت هذه الطريقة التي اتبعتها الفاطميون في إعداد الرحلة إلى مصر، فذهب جوهر إلى أفريقيا السوداء وبادل الأفارقة بملح المكنين ذهبًا،

ثم إن عقبة بنى جامع عقبة في شكل حصون وأبراج وقلاع ومدخرات للماء عند الحاجة.

<sup>٦٢</sup> نقل الرسميون إلى تاهرت نظام الدستور الإيرانية الجامع كأساس لنظام الحكم، ويُسمى هذا الدستور باللغة الإيرانية «آمين بامه»، وهو جامع يشمل إلى جانب نظام الحكم آداب السلوك، وأداب المجالس وأداب الأكل والشرب والكلام. وشروط القضاء والشوري، وانتخاب الإمام، والنظام العسكري، وهيكلا الجندرمة (جندار بالإيرانية)، وعسكر السبيسيس (بالإيرانية سباهي).

ثم إن الدولة مراقبة من طرف منظمة شعبية حرّة تُسمى الشراء، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ إلخ الآية، ومهمتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتولية الحكم وعزلهم إذا حادوا عن الجادة، ويتألف الشراء من العلماء والفقائدين.

<sup>٦٣</sup> جاره الأقرب: المهدية بتونس.

ميمي وتاريخه القرطبي؟  
بمن حَقُّقوا وْحْدة المغرب  
كما يُخْلِقُ اللَّحنُ للمطرب  
ولم يَتَقَوَّلْ ... ولم أَكُنْ!  
فَتَّى مَغْرِبِيُّ، أَصِيلُ الْأَبِ؟  
وَجَارُوا عَلَى الْبَلَدِ الطَّيِّبِ!  
وَإِنْ جَهُوَهَا، ولم تُكَتِّبْ!  
سِسٍّ، لَكُنْ يَخَالِفُهُمْ مَذَهَبِي  
نَبِيًّا ... إِذْنَ كَذَبُوا بِالنَّبِيِّ!

شَغَلُنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتِلُهُ كَالصَّلاة  
تسابيحةً من حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وُجُوهُ، إِلَى رِبِّهَا نَاظَرَهُ ...  
فَيُصْنَعُ<sup>٦٧</sup> جَوْهَرَ وَالْقَاهِرَهُ!  
صَفَانَا، وَأَخْلَاقَنَا الطَّاهِرَهُ ...  
يَوَاكِبُ أَفْضَالَنَا الْزَاخِرَهُ

وطبنة<sup>٦٤</sup> ... هل تذكر ابن الحسين التّ<sup>٦٥</sup>  
وعند مسيلة<sup>٦٥</sup> علم اليقين  
برى الفاطميون شعر ابن هاني  
وأبدع، حتى تنبأ مثلي ...  
علام يُلْقَبُ أَنْدَلْسِيًّا  
فكم حَسَدُونَا<sup>٦٦</sup> على مَجْدِنَا  
وكم بالجزائر من معجزات  
وقالوا: الرسائلُ من مشرق الشّمْسَ  
ولو أَرْسَلَ اللَّهُ مِنْ مَغْرِبِ

وَفِي قَدِيسِ جَنَاتِنَا النَّاضِرَهِ  
تَمْدُّ الْمَعْزَ لِدِينِ الإِلَهِ  
وَيَسْتَاهِمُ النَّيلُ مِنْ أَرْضِنَا  
ويجري رُخَاءً عَلَى هَدِينَا

<sup>٦٤</sup> طبنة، من مفاخر الأغالبة، ومحمد بن الحسين الطبوني من أعلام الفكر الذين أُنبَتُهم طبنة، كاتب بلigh ومتسلل بديع الإنشاء، ومؤرخ واسع الاطلاع. ولد بطبنة وانتقل إلى الأندلس في أيام المنصور الأموي. وكان شاعر البلاط ومؤرخه، واستوطن قرطبة إلى أن تُوفِّيَ بها سنة ١٩٤هـ / ١٠٠٤ مسيحي. أورد المؤرخ ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكميلة، وأورد ابن الأبار في الحلقة الكثيرة من شعره. وكان يُلقب بمؤرخ قرطبة، وهو من تفخر به الجزائر في ميدان التصدير.

<sup>٦٥</sup> مسيلة، عاصمة المعز بن باديس الفاطمي، وفي أحضانها نبغ ابن هاني الجزائري الملقب بالأندلسي تجنّيًّا على التاريخ، وكان يُلْقَبُ بمتنبي المغرب.

<sup>٦٦</sup> إشارة إلى أن المشارقة حين يؤرخون للأدب العربي لا يذكرون مفاخر الجزائر وتونس والمغرب؛ بل يقفزون من الشرق إلى الأندلس مباشرةً كأنما المغرب الكبير لا وجود له في الخريطة، وذلك بداعي الكبراء والغرور ومركب الاستعلاء، والمغرب الكبير يباهي المشرق في الإشعاع الفكري عبر القرون.

<sup>٦٧</sup> يُصنَع جَوْهَرَ وَالْقَاهِرَهُ — المقارنة في الصنع عميقية المفهوم.

لُغوبٍ،<sup>٦٨</sup> جَزَائِرُنَا الثَّاَئِرَه!  
وَبِارْكَنَا السَّنَةَ الْعَاشِرَه؟  
تَمُورُ بِهِ الْمَهْجُونُ الْفَاتِرَه؟  
جَمِيلَاتٌ ثُورَتْنَا الْهَادِرَه!  
وَلَا نَجْحُدُ الْفَضْلَ وَالْأَصْرَه!  
وَمَنْ آزَرُوا حَرَبَنَا الظَّافِرَه!

شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاهَ  
تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَاءِيَا الْجَزَائِرَ

سَنَحْفَظُ عَهْدَكَ وَالْمَوْثُقَا  
فَحِيرَتِ الْغَرْبَ وَالْمَشْرُقَا؟  
فَكَانَتْ لِمِعَارَجَنَا الْمَرْتَقِي  
وَمِنْ دَمَنَا غُصْنُهَا الْمُورَقَا  
فَأَعْلَى بِمِلِيَانَهُ الْمُفْرَقَا  
قَضَى لِلْجَزَائِرَ أَنْ تَعْشَقَا  
وَكَمْ خَاطِبَ وَدَهَا أَخْفَقَا!  
وَحَاوَلَ زِيَانُ أَنْ يَسْبَقَا  
بِنَارِ الْمَدِيَّهُ أَنْ يُحرِقَا<sup>٧١</sup>  
أَجْلٌ ... مَنْ رَأَى حَسْنَهَا صَدَقاً

بُولُوغِينُ يَا مَنْ صَنَعَتِ الْبَقا  
فِيرِيمُوسٌ<sup>٧٠</sup> أَمْ أَنْتَ مَنْ شَادَهَا؟  
بَنِيتَ الْجَزَائِرَ فَوْقَ السَّمَاكِ  
غَرَستَ بِهَا ذُوبَ أَكْبَادَنَا  
عَلَى بِالْمَدِيَّهِ تَاجُ الْجَلَالِ  
وَمَنْ هَدَهَ الصَّدَرَ بِالْتَّوَامِينِ  
ذَلَالُ الْمَدِيَّهُ أَعْيَا الْمُلُوكَ  
تَنَازَعَهَا الرُّومُ، وَالْمُسْلِمُونَ  
وَكَادَ ابْنُ تَوْجِينَ وَابْنَ مَرِينَ  
مَلَائِكَهُ اللَّهِ<sup>٧٣</sup> ... هَلْ نَقْلُوهَا؟

<sup>٦٨</sup> إشارة إلى العبودية التي فرضها الفراعنة على الشعوب. وبناء القاهرة نهضت مصر تنفس عنها غبار القرون.

<sup>٦٩</sup> الحقبة القاهرة التي يعود فضلها مباشرة للجزائر.

<sup>٧٠</sup> القول الصحيح أن بولوغين هو مؤسس الجزائر.

<sup>٧١</sup> أن يُحرق: الألف للثنية؛ أي أن يُحرق ابن توجين وابن مرین.

<sup>٧٢</sup> زعم بعضهم أن المدية أو المهدية معناه أن البلدة قديمة عتيقة، وأنها إنما بُنيت في مكان آخر ثم نقلتها الملائكة إلى مكانها هذا.

شَفَّالْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاة  
تسابِيحةً مِنْ حَنَايا الْجَزَائِر

أيا ومضةً من جلال الشريعة  
أشاع ابن يوسف فيك الصلاح  
أزكار أم أنت عُش العقا  
أم العاشر، المستهام، المعنى  
أم الحب رق لمجنون ليلى  
أشادك بومبي مقوس روما؟  
فأغرى ب مليانة الطامعين  
فَمَا ارتاح فيك بنو هندل  
جرى، مثل واديك، ناديك على  
وأقطع يعقوب أحمداً أغما

ويابهبة من هبات الطبيعه  
ووشى الجمال رُباك البديعه<sup>٧٣</sup>  
بِمِنْ الصَّقْرِ مِنْكَ اسْتَمَدَ ضَلْوعَه؟<sup>٧٤</sup>  
بنبُع العناصر أجري دموعه<sup>٧٥</sup>?  
فرش بعيين النسور صريعه؟  
أم أن بولوغين رب الصنيعه<sup>٧٦</sup>?  
وما كنت للطامعين وديعه!<sup>٧٧</sup>  
وولى ابن عائشة بالفجيعه<sup>٧٩</sup>  
فبواً أحَمَدَ فيك الطليعه<sup>٨٠</sup>  
ت والنبلُ في ابن مرين طبيعه<sup>٨٠</sup>

<sup>٧٣</sup> وكما الصالح سيدى أحمد بن يوسف.

<sup>٧٤</sup> تسمى مليانة عش العقاب كما ذكر السيد م تلحمي في مجلة الأصالة، وزكار جبل يطل على مليانة.

<sup>٧٥</sup> يقول العبدري في رحلته عن مليانة: «لو رُشِّ بمائتها المتصروغ لأفاق، كأن حصاءها جمان، والماء من رقه دموع». »

<sup>٧٦</sup> أجمع معظم المؤرخين على أن المدينة دولة روما ويضيفون أنها شيدت على أنقاض المدينة الرومية المعروفة بزوتابار وأن القائد العظيم بومبي Pompey وحفيده مدوفنان في مليانة، وشوهدت على بعض أسوارها الحديثة لوحة تذكارية عليها كتابات ترجح مدفن بومبي وحفيده فيها، فهل شاركا في بنائها؟

<sup>٧٧</sup> كانت هدفاً للطامعين من الملك، وميداناً للصراع بين الموحدين وبني غانية والزيانيين والصنهاجيين وبني مرين، وبني هلال، والمرابطين والحفصيين.

<sup>٧٨</sup> يُقال إن بلدة مليانة من بني هندل، وهؤلاء من صنهاجة استوطنوا واد كنليس.

<sup>٧٩</sup> بدر بن عائشة كان والياً ب مليانة من لدن علي بن إسحاق صاحب أبي يوسف يعقوب، لكن أهل مليانة طاردوا ابن عائشة وألقوا عليه القبض وقتلوا بعد فراره.

<sup>٨٠</sup> أبو العباس أحمد بن علي من مفاخر مليانة، عالم وفقيه وشاعر علماً، أقطعه السلطان يعقوب المريني أعمات إكراماً له.

شَفَّالْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتِلُه كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَايا الْجَزَائِر

سَلَ ابن عَلَنَاس<sup>٨١</sup> عَن ذَكْرِنَا  
يُحْبِكْ ابْنُ حَمْدِيس فِي الْخَالِدِين  
وَتُنْبِئُكْ عَائِشَةً كَيْفَ كَانَتْ  
وَتَذَكَّرْ بِجَاهِيْ أَحْلَافِنَا  
وَفِي الْقَصْرِ تَخْتَالْ بَلَارَة  
تَصَاهِرْ فِيهَا الدَّهَمَاءُ وَالْجَمَالَ  
وَأَعْلَتْ بِجَاهِيْ هَامَ الْجَزَائِرْ  
وَبَارِي ابْنُ سَبْعِينَ فِيهَا النَّصَارَى

وَقَلْعَةَ حَمَادَ عَنْ مَجْدِنَا  
وَيَصْنُعْ قَوَافِيْهِ مِنْ وَحْيِنَا<sup>٨٢</sup>  
تَرْقُ وَتَقْسُو عَلَى بَعْضِنَا<sup>٨٣</sup>  
وَأَسْطَولُنَا الضَّخْمُ يَغْزوُ الدُّنَا<sup>٨٤</sup>  
تَشْيِيعُ الضِّيَاءِ، وَتَفْشِي السَّنَا<sup>٨٥</sup>  
فَضْمَ اِنْصَهَارِهِمَا شَمَلَنَا  
رِ، عِلْمًا وَشَادَتْ صُرُوحُ الْهَنَا<sup>٨٦</sup>  
فَأَفْحَمَ مَنْ لَاحَقُوا ظَلَّنَا

<sup>٨١</sup> كان الملك الناصر بن علناس أعظم ملوك عصره شأنًا، وأوفرهم قوة وأكثراهم رعاية وتنشيطاً للعلم والعلماء.

<sup>٨٢</sup> عبد الجبار بن حمديس شاعر بجاية الجبار عطر الأجواء، أشاد بعظمة بنى حماد، وخَلَدَ الناصر بن علناس بغير من بدائع الشعر.

<sup>٨٣</sup> عائشة العمارية من أشهر الشاعرات النساء في دولة بنى حماد، لها شعر رقيق إلى جانب أهاجيها اللاذعة كقولها في رجل أصلع تقدم لخطبتها:

عذيري من عاشِقِ أصلعٍ قبيح الإشارة والمترزع  
برأسٍ حويج إلى صفةٍ ووجهٍ حويج إلى برقع

إلى آخر القصيدة ...

<sup>٨٤</sup> في أيام بنى حماد امتدت علاقات الجزائر بأوروبا وتعاقدت بمعاهدات تجارية مع أغلب دول البحر المتوسط، وكان أسطول الدولة الجزائرية في أيامهم ضخماً يضرب بسهم وافر في التجارة العالمية.

<sup>٨٥</sup> بلادة: بنت الشاعر تميم ابن المعز بن باديس، وإليها يُنسب قصر بلادة بالقلعة، وقد أبدع في وصفه عبد الجبار بن حمديس الصقلي، وكانت بلادة سبباً لمحاورة سياسية ناجحة لما توفر فيها من دهاء سياسي وجمال؛ فجمعت بين الصنهاجيين بالمهدية وبين بنى حماد بجاية وكُونوا نوع فيدرالية.

<sup>٨٦</sup> جادل عبد الحق بن سبعين النصاري فغلبهم.

وأرقامنا العربية مالت <sup>٨٧</sup>  
وكان أبو مدین والثعاء لبی هنا، يَرْفَعُانِ الْبَنَاء  
**شَغَلُنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَاء**  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاء  
تسابيحة من حنایا الجزائر

فَتُعلِّي الجزائرُ مِنَ الْجَبَين  
فَيُرْفَعُ رايتهَا بِالْيَمِين  
فَتَنْفَضُ عنْهَا غبارُ السَّنِين  
سِرِّ، تُمْسِكُ تونسُ مِنْهُ الْوَتِين  
وَتَرْتَاحُ لِلْعَرَبِ النَّازِحِين <sup>٩٠</sup>  
فَيُخَلِّصُ لِلَّهِ عَقْلُ وَدِين  
فَتَصْفُو الْمَنَاهِجُ لِلسَّالِكِين  
فَتَسْمُو الْمَدَارُكُ بِالنَّابِهِين  
وَيُلْمِعُ يُوسُفُ فِي الْلَّامِعِين  
مَتَى سَيَتَوْبُ الْأَلَى لَمْ يَزَالُوا <sup>٩١</sup>  
**شَغَلُنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَاء**  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاء

<sup>٨٧</sup> انطلقت الأرقام العربية من بجاية إلى أوروبا.

<sup>٨٨</sup> الشيخ أبو مدین شعیب بن الحسین دفن تلمسان من مواليد بجاية، وكذلك الشيخ عبد الرحمن الشعالبي دفين الجزائر العاصمة.

<sup>٨٩</sup> سنة ٥٢٤ هجرية أسس عبد المؤمن بن علي التدرومي دولة الموحدين بعد أن قضى على دولة المرابطين بالغرب الأقصى، وتقىد إلى المشرق فتسلّم زمام المغربين: الأوسط والأدنى، ووحد بين المغرب والجزائر وتونس تحت إمرة المهدی بن تومرت، وركز الهلاليين الذين لم تهضمهم الدول السابقة.

<sup>٩٠</sup> زخرت الجزائر وتونس والغرب بجموع الأندلسيين المهاجرين اطمئناناً للأوضاع السائدة آنذاك.

<sup>٩١</sup> «أَعْرُ ما يُطْلَب» اسم للמדوّنة التي جمعها المهدی بن تومرت في القانون وتشريع الأحكام.

<sup>٩٢</sup> الشريف بن عمارة الذي برع في فن الموشحات يوسف بن إبراهيم الوارجلاني المحقق الضلیع والمؤذخ الواسع الأطلاع.

### تسابيحة من حنايا الجزائر

تِلْمَسَانُ، مَهْمَا أَطْلَنَا الطَّوَافَا  
يَغْمَرَاسُنُ الشَّهْمُ ضَاقَ اصْطِبَارًا  
وَأَصْلَى بْنَى حَفْصٍ حَرْبًا عَوَانًا  
فَكَانَتْ تِلْمَسَانُ دَارَ سَلَامٍ  
فَأَكْرَمَ بِمَشْوَرِهَا الْوَطَنِيِّ  
وَيَدْفَعُ خَطُو بْنَى عَبْدَ وَادَ  
وَيُسْكِرُ هَذَا الْوَرِيطُ الدُّنَا  
وَيَكْتُبُ يَحْيَى بْنَ خَلْدُونَ سَفَرًا  
وَتَنْشَقُ مِنْجَانَةُ بِالْعَذَارِيِّ  
أَفِي رَفْرِ الْخُلَدِ قَدْ وَجَدُوا  
شَغَلُنَا الْوَرِيِّ، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَةِ  
تسابيحة من حنايا الجزائر

وَأَوْغَرَ قَلْبَ الصَّلَبِ الْحَقُودَ  
عُلَانَا، وَأَمْعَنَ فِينَا الْحُسُودَ  
وَزَيَّانُ مَا اسْطَاعَ حَشْدُ الْجَنُودَ  
وَطَافَتْ بِوَهْرَانَ جِيَطَانَ غَدَرًا

<sup>٩٣</sup> يغمراسن: أعلن استقلال المملكة الزيانية سنة ٧٢٢ هـ وانفصالها عن دولة الموحدين التي أفل نجمها في مراكش تحت عوامل الهرم، أخذ يغمراسن طيلة خمسين عاماً من ملكه يضع أسس الدولة الحبيبة.

<sup>٩٤</sup> بعد فترة طويلة من حروب ضد بني حفص شرقاً، وبني مرین غرباً تمكّن رجال بني زيان من تدعيم الاستقلال المطلق وتأسيس دولة قوية.

<sup>٩٥</sup> المنشور - دار الشورى - أو البيلان، ولا تزال معالمه بمدينة تلمسان لحد الآن.

<sup>٩٦</sup> كتاب يحيى بن خلدون بغية الرواد في تاريخ بني عبد الواد.

<sup>٩٧</sup> أيام ابن اللحام ساعة ناطقة (المنجانة) في قصر أبي حمو موسى الثاني، فكلما تقدّمت ساعة من الوقت انفتح باب المنجانة وبرز من خلالها فاتنات حسان يعلن الوقت بمقاطع شعرية بدعة.

<sup>٩٨</sup> كانت الحملات على المرسي الكبير ووهران حملات صليبية قدرة؛ فقد توافطاً على الجزائر كلُّ من الإسبان والبرتغال والفرنسيين، يقود هذه الحملة راهب أهوج هو خمنيس ximenès.

<sup>٩٩</sup> جيطان (أو خطاموس) كنایة عن رعاع الإسبان.

ولغلَّع في بَرْبَرُوسَ نِدَاهَا  
وَلِلَّدِينِ خَيْرٌ يَصُونُ حَمَاه  
قَرَاصِنَةُ الْبَحْرِ، عَاثَوا فَسَادًا  
وَخَاضَ الْأَمازِينُ سَاحَ الفَدَا<sup>١٠١</sup>  
وَأَزَرَنَا التُّرْكُ حَتَّى انتَصَرَنَا  
وَقَمَنَا نِسُوسُ الْبَلَادَ بِعَدَلٍ  
وَلَمْ تَكُنْ لِلتُّرْكِ بِالتابِعِينَ  
وَنَحْنُ أَنَاسٌ نَعْدُ الْجَمِيلَ  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَة  
تسابِيحةً من حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَكَنَّا إِلَى يُطْعِمُونَ الطَّعَامَا!<sup>١٠٢</sup>  
وَكَمْ تُبَطِّرُ الصَّدَقَاتُ اللَّئَامَا  
فَبَاعَ ضَمِيرُ الْيَهُودِ الذَّمَاما  
وَمَا كَانَ بُوخرِيصُ إِلا طَغَاما<sup>١٠٣</sup>  
فَثَارَ بِهَا الشَّعْبُ يَغْلِي انتقامًا  
وَجَاءَتْ فَرْنَسَا ... فَكَنَّا كَرَامَا  
فَأَتَخَمَّهَا قَمْحَنَا الْذَّهَبِيُّ  
وَبَاعَتْ فَرْنَسَا ضَمِيرَ الْيَهُودِ  
وَمَا كَانَ بُوشَنَاقُ إِلا ابْنُ آوى  
وَخَرَّبَ شَارُلُ الْمَرِيْضُ فَرْنَسَا

<sup>١٠٠</sup> كانت اللصوصية أو القرصنة البحرية على أشدّها آنذاك؛ فالإسبان والبرتغاليون أنسئوا مع غيرهم من لصوص أوروبا سفن القرصنة، وانهالوا على مهاجري الأندلس والبلدان الجزائرية المتاخمة للبحر نهباً وسلباً.

<sup>١٠١</sup> جاء الإنقاذ والمعجزة على يد بطليّن خالذين تركيّين: بابا عُرُوج، وشقيقه خير الدين، كانوا على رأس عمارة بحرية رهيبة من القرصان يعلمون متطوعين في سبيل الله لإنقاذ مهاجري الأندلس والجيّاز بهم إلى أرض العرب، اندلع لهيب الحماس في قلوب الجزائريين فدافعوا وانتصروا بإعانة الأتراك، واحتفظوا بديانتهم واستقلالهم، ولم يكن بيد الأتراك سوى الإشراف الروحي والباشوية التي تُسند إليهم بانتخابٍ من الديوان الذي يتكون من أعيان الجزائريين.

<sup>١٠٢</sup> قصة الديون المترتبة على فرنسا من أجل تسديد ثمن القمح معروفة؛ فضلاً عن ديون أخرى نقداً.

<sup>١٠٣</sup> اشتريت خزينة الدولة مع بعض التجار كاليهوديّين بوشناق وبُوخرِيص في تموين تلك العملية الإنقاذية، وكان اليهوديّان عمليّين لفرنسا.

وَمَا ذاقَ شارلُ المريضُ المِنَاما  
فَأطْلَقَ هذِي الْقَمْوَحَ سَهَاما  
وَخَانَ الْمَسِيحَ، وأَغْرَى السَّوَاما<sup>١٠٤</sup>  
كَمَا يَسْتَبِحُ الْلَّصُوصُ الْحَرَاما<sup>١٠٥</sup>  
أَبُوتَانُ<sup>١٠٦</sup> ... هَلْ سَيِّدي فَرْجُ  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِهُ كَالصَّلَاةِ  
تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ

صَنْعَنَا سِيَادَتِهِ بِالدَّمَا  
تَبَارِكَنَا مَعْجَزَاتُ السَّمَا  
نُذُودُ، وَنَأْنَفُ أَنْ نُهَزِّمَا  
وَنَجْعَلُ أَرْوَاحَنَا سُلَامَا  
فَقَمَنَا بِسِيرَتِنَا نُصُونَ الْحِمَى<sup>١٠٧</sup>  
وَشَبَرَا فَشَبَرَا، وَنُسْبِيُ الدُّمَى  
عَادِيد، لَمْ نُفْلِتِ الْمَجْرِمَا  
فَطَاوَلَ عَمَلَقَهَا الأَنْجَما

بَلِي ... يَا فَرْنَسِيسُ، هَذَا الْحِمَى  
بَلَوْنَا السَّنَينَ الطَّوَالَ جَهَادًا  
مَضَتْ مَائَةُ وَثَلَاثُونَ عَامًا  
صَعَدَنَا، نَقاَوْنَا، شَرَقاً وَغَربًا  
غَزَا لَامُورِيسيِيرْ أَحْمَدْ باشا  
وَئَرَنَا نَقاَوْنَا: بَيْتًا فَبَيْتًا  
وَلَوْلَا تَخَازَلُ بَعْضِ الْكَسَالَى الرَّ  
مَعْسَكُرُ فَجَرَ عَزْمَ الشَّبَابِ

<sup>١٠٤</sup> وقف شارل العاشر ملك فرنسا يقول في خطاب العرش يوم ٢ مارس ١٨٣٠ م ما نصه: «إن العمل الذي سأقوم به لترضية شرف فرنسا سيكون بإعانته الله القدير لفائدة المسيحية جمعاء».

<sup>١٠٥</sup> حديث المروحة معروفة.

<sup>١٠٦</sup> بوتان الجاسوس الفرنسي الذي رسم خطة الهجوم من سيدى فرج بأمر من نابليون بونابارت في يوليو ١٨٠٨ م، وقد انتفع الجيش الفرنسي بتلك الرسوم عند حملته على الجزائر سنة ١٨٣٠ م.

<sup>١٠٧</sup> اتخذت المقاومة الجزائرية بعد الاحتلال شكلين: سياسي رسمي، وشعبي. فأمام السياسي فقد تولى زمام أمره الحاج أحمد، باي قسنطينة (وكان من عائلة المقراني الذي سيثور سنة ١٨٧١ م) فالتفت حوله الأمة من جزائريين ومن بقایا أتراك، وكان احتلال لاموريسيير لمدينة قسنطينة سنة ١٨٣٨ م إنذاً بنهائية المقاومة الحكومية المنظمة فانتهت ظاهرة، وبقيت النار تحت الرماد، وقد سُبَّلت مدينة قسنطينة بدفاعها المجيد صفة خالدة من صفحات البطولة؛ إذ اضطُرَّ الفرنسيون لاحتلال المدينة حارة فحارة وداراً فداراً، ودام حصارها سبع سنين كاملة.

وَبُويع، شَاعِرَهَا الْهَاشَمِي  
يَصُوغُ النَّطَامَ، وَيَبْرِي الْحَسَامَ  
فِي قَطْرُ ذَاكَ، وَهَذَا ... دَمَا  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَةِ  
تَسَابِيحةٌ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

أيا عَبْدَ قَادِرِ ... كُنْتَ الْقَدِيرَا  
شَرْعَتَ الْجَهَادَ، فَلَبَّاكَ شَعْبُ  
وَنَظَّمْتَ جَيْشاً، وَسُسْتَ بِلَادًا  
وَأَلْهَبْتَ فِي الْقَابِعِينَ الْحَنَاءِ  
وَحَمَلْتَ مَارِيَانَ<sup>١٠٩</sup> مَا لَا تُطِيقَ  
ثَمَانٌ وَعَشْرًا<sup>١١١</sup> ... تَخُوضُ الْمَنَاءِ  
وَتَدْمِغُ بِالْعِلْمِ مَنْ جَادَلُوكَ  
وَكُمْ رَامَ إِغْرَاءَكَ الْغَابِثُونَ

وَكَانَ النَّضَالُ طَويْلًا عَسِيرًا  
وَنَاجَاكَ رَبُّ، فَكُنْتَ النَّصِيرَا  
فَكُنْتَ الْأَمِيرَ الْخَبِيرَ الْخَطِيرَا  
وَأَيْقَظْتَ فِي الْخَانِعِينَ الْضَّمِيرَا  
وَجَرَعْتَ بِيَجُو<sup>١١٠</sup> الْعَذَابَ الْمَرِيرَا  
وَتَجَزَّيَ السَّرَايَا، وَتَبَنَّى الْمَصِيرَا  
فَكُنْتَ الْضَّلِيلُ، وَكَانُوا الْحَمِيرَا<sup>١١٢</sup>  
فَلَمْ تَكُ غَمْرًا صَبِيًّا غَرِيرَا<sup>١١٣</sup>

<sup>١٠٨</sup> المقاومة الشعبية في سنة ١٨٣٢ م جمع وجوه القوم ورؤساء القبائل أمرهم في مؤتمر عقدوه بمسجد مدينة معسكر، وبایعوا بالإمارة بطلاً شاباً في الرابعة والعشرين من عمره، عُرف بينهم بالشهامة وقوة الشكيمة والرأي الحصين، هو الأمير عبد القادر بن الشيخ محبي الدين الهاشمي، على أن يؤسس دولة جزائرية إسلامية تصنون الأمان وتتوطّد العدل وتتصدى للمعتدي، والأمير عبد القادر إلى جانب بطولته الحربية شاعر ملهم تفيض معاناته بالمشاعر النبيلة والحماس، والتغنى بأسم البنين التي كانت مصدراً من مصادر إلهامه.

<sup>١٠٩</sup> ماريان هي فرنسا.

<sup>١١٠</sup> وقائع الأمير مع «بيجو» مشهورة (راجع تحفة الزائر).

<sup>١١١</sup> دامت مقاومة الأمير ١٨ سنة من ١٨٣٠ م إلى ١٨٤٨.

<sup>١١٢</sup> المجادلات العلمية التعجيزية بين الأمير وجنرالات فرنسا وخصوصاً بيجو معروفة، ويوجد لها تفصيل ضافٍ في تحفة الزائر.

<sup>١١٣</sup> من جملة الأساليب المفضوحة الفرنسية محاولة شراء الضمائر، وكم حاول الفرنسيون ذلك مع الأمير فأبى واستعصم بإيمانه.

وكم عاهدوك<sup>١١٤</sup> ... وكم أخلفوا  
وَكُنْتَ بِمَا يُضْمِرُونَ بَصِيرًا ...  
وَغَيَّبْتَ لِلشَّعْبِ، دَرَبَ الْفَدَا  
وَمَا خِسْتَ، مَذْ خَطْفُوكَ أَسِيرًا  
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِهُ كَالصَّلَاةِ  
تَسَابِيحةً مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

تَلَاقَّفَ رَايَتَكَ ابْنُ الْجَزَائِرِ  
وَعِنْدَ ابْنِ زَيَّانَ تُبْلِي السَّرَّائِرِ<sup>١١٥</sup>  
وَهَبَّ الْزَعْاتِشَةُ الْثَّائِرُونَ  
فَهَبَّ لِنَصْرَتِهِمْ كُلُّ ثَائِرٍ

<sup>١١٤</sup> تخللت مدة الحرب عدة معاهدات عقدتها فرنسا مع الأمير، واعترفت له فيها بالسيادة والاستقلال على البلاد، لكنها كانت معاهدات غش وخداع لا تعقد إلا متى رأت الخطر، وأرادت أن تستعد لضربي قاسية، أما الأمير فكان يعقد تلك المعاهدات مع علمه بما تنتظري عليه من خداع؛ ليستريح قليلاً ويستعد لتسديد الضربات وتقيتها.

<sup>١١٥</sup> قاد الثورة العارمة في واحة الزعاطشة قرب بسكرة الزعيم الشهيد عبد الرحمن بن زيان سنة ١٨٦١م، وقد ذكرت تصفياتها بإسهاب «مجلة العالم» La revue des deux Mondes وصورة الواقع هي الآتية: عقد الزعيم عبد الرحمن بن زيان معاهدةً مع قيادة الجيش الفرنسي على ألا يهاجموا الزعاطشة، ويتوئّل هو إمدادهم بما يحتاجونه، وكان ذلك منه حيلةً جريئةً لربح الوقت والاستعداد لحملة هجوم، إلا أن قبطاناً فرنسيّاً تفطن للحيلة ومال للاستفزاز والتحدي قائلاً: هل يوجد جزائري لا يسجد أمام قدمي؟ فقيل له: نعم، عبد الرحمن بن زيان، شيخ الزعاطشة، فأمر بجلبه فامتنع عن المجيء إليه وأرسل إليه جيشاً فأباده عبد الرحمن وجيشاً ثانياً فأباده، وثالثاً فحطمه فدامت الحرب سنوات، وكانت المقاومة في كل شبر من الأرض، نخلة نخلة حتى استصنفت مليون نخلة و مليون شهيد، ثم وصل الفرنسيون السور فوقعوا أمامه شهراً يموتون دونه بدون طائل إلى أن فتحوا فيه ثغرة فكانت موتاهم التي من أحجار السور. ثم دخلوا المدينة فكانت الحرب شارعاً بشارع وبيتاً بيتاً إلى أن وصلوا بيت الزعيم عبد الرحمن فكان يدافع حتى خلعوا الباب فجلس يصلي وأولاده وأهل بيته يقاومون غرفة بغرفة وبسيقية وبسيقية وهو يصلّي بصحن البيت، ف جاء القائد الفرنسي وسأل: هل يوجد جزائري لا يسجد أمام قدمي؟ فقال له عبد الرحمن: أنا عبد الرحمن بن زيان ... فقال القائد: إنّ خضعت عاملتك معاملة حسنة.» فقال: كلا، إنني مجاهد في سبيل الله، وأفضل أن موت مجاهداً من أن أعيش خائناً لوطني. فقطع رأسه فأخرجه إلى جنوده بلحيته البيضاء المضيئة بدم الاستشهاد وقال لجنوده: قد مضى عليكم زمن طويل لم تلعبوا كرة القدم، وقد أحضرت لكم أعظم كرة فالعبوا بها. ثم أدخل أجناده على الحريم وقام أهل البيت من الرجال والمقاومين يدافعون عن الشرف فاجتز رءوسهم وأخرجها للأعبين، فقال أحد المجاهدين قولته الخالدة وهو يموت: «سوف يأتي أحفادنا ونخرجكم من بلادنا». وصدقت المجزة فخرجوا بعد مائة وأربع سنوات!

فمات الشهيد، فداء الجزائر  
ويحنى جبيناً أمام الصراصير؟  
وصدقَ ندانا أمام المجازر ...  
وتحكِ الرمالُ صمودَ القساور  
صراع أبي بغلة في المغافر  
وأبطال سرتا جليلَ المفاخر  
شعاليه، في القرى والحواضر  
وكانوا البغاث، فكنا الكوايس<sup>١١٦</sup>

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حنايا الجزائر

بُطولات، سيدتي فاطمه<sup>١١٧</sup>  
فترجف باريس والعاصمه!  
فزگى قداسته الدائمه<sup>١١٨</sup>  
تفدى قراراته الحاسمه  
رفضت التواكل يا فاطمه!  
وتغصُّ بالفتنة الظالمه  
تُبَاع، وتُستأجر السائمه<sup>١١٩</sup>

تحدى ابن زيان سخف اللئام  
وهل يخففُ ابن الجزائر هاماً  
لتشهد بسكرة إصرارنا  
وتروي النخيلُ لعقبة عننا  
ويذكر أبو معزة للجبال<sup>١١٦</sup>  
وتحفظ سطيف لأبطالها  
ودام الصراع، ولم تخُ يوماً  
وكانوا البغاة، فكنا المنايا

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حنايا الجزائر

وتذكر ثورتنا العارمه  
يُفْجِر برkanها جرجرا  
وخلد باسم أمها ذكره  
وفاضت دماء بنى راتن  
نسومر مذ نسبوك لتاكلا  
وألهبت ناراً تذيب الثلوج  
وجندِ، يُبَاع ويُشتري كما

<sup>١١٦</sup> ثورة أبي معزة وأبي بغلة وما وقع فيها من معارك بطولية في كلٌ من سطيف وقسنطينة.

<sup>١١٧</sup> بحث الطير: الطيور المهيضة الجناح، والكوايس جمع كاسر: أي النسور الكاسرة.

<sup>١١٨</sup> للا فاطمة نسومر ابنة سيدي محمد بن عيسى شيخ الطريقة الرحمانية، والدتها للا خديجة التي تسمى باسمها قمة جرجرة، وزوجها سيدي الحاج عمر من قرية تاكلا، آيت أيراثن، كانت تُسَيِّر الثورة في جبال جرجرة أولًا مع زوجها ثم بمفردهما، وهي التي صرعت الباشاغا سي الجودي عميل فرنسا، وصمدت في مقاومتها من ١٨٥٦ م إلى ١٨٥٧ م على رأس المجاهدين المسلمين ضد ستة جنرالات فرنسيين: قاستو، Renault، يوسف Yussuf، ماكماهون Mac-Mahon، ميسيا Maissiat، ديليني Deligny، كلهم تحت القيادة المباشرة للماريشال راندون Randon الذي ترأس العمليات في نفس الحين الذي كان فيه والياً على الجزائر. للا فاطمة كانت تُسَيِّر جيشاً يضم سبعة آلاف مجاهد ضد جيش الماريشال راندون الذي كان يضم خمسة وأربعين ألف مقاتل متوفراً على جميع المعدات الحربية الحديثة، وشملت ساحة

وأرْعَفْتِ رَانِدونْ فِي كُبْرَه  
وَصَعَّرْتِ لِلْجَنْرَالَاتِ خَدًّا  
أَنْسَى الْجَزَائِرُ حَوَاءِهَا؟  
أَمْ جَادَهَا لَمْ تَزَلْ قَائِمَهَا؟

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاة

تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

فَهَزَوْا الثَّرَى وَأَذَبُوا الْجَبَالَ  
فَبَرَّ، وَأَصْلَى الْمُغَيْرَ الْوَبَالَ  
وَحَمْزَةُ يَغْرِسُ فِيهِ النَّبَالَ  
بِيُّمنَاهُ، يَبْكِي عَلَيْهِ الثَّكَالَى

بَنُو سَيِّدِ الشِّيخِ<sup>١١٩</sup> قَادُوا النَّضَالَ  
سُلَيْمَانُ حَمْزَةُ إِلَى يَمِينَاهُ  
سَلَوْا بُوبِرِيتَ<sup>١٢٠</sup> الْعَقِيدَ الْمُسْجَى  
وَيَسْتَلِّ مِنْ صَدْرِهِ رُوحَهُ

العمليات كل جبال جرجرة إلى قمة للا خبيجة، والموقعة الخامسة كانت في معمعة أشريفين في ٢٤ يونيو ١٨٥٧م، اعتقلت للا فاطمة في قرية تاكلا يوم ١١ يوليو ١٩٥٧م مع أتباعها إخوان الرحمنية.<sup>١١٩</sup>  
 ١٢٠ أولاد سيد الشيخ بقيادة الباشاغ سليمان بن حمزة بن بوبكر سنة ١٨٦٤م، والتفت حوله قبائل أولاد سيدى الشيخ وهزموا الفرنسيين شر هزيمة، وأعادوا الكثرة تحت قيادة الكولونيل بوبيريت، وكانت نهاية المعركة التي دامت طويلاً موت سائر رجال فرق العدو، بما فيها الكولونيل قائدتها، وقد تمكّن البطل سليمان بن حمزة من قتلته بيده أثناء المعركة، ثم استشهد بعد ذلك خلال المعركة، وكان من بين الفرق المعتدية القوم؛ أي الجنд الجزائري المتطوع مع فرنسا، وما كانت المعركة تلته حتى أخذت الحمية الإسلامية جماعة القوم، فانقضوا على الفرنسيين وانضموا للمجاهدين، وقام بالصحراء، جنوب الأغواط، بوشوشة وفي نفس الصحراء ثار معه المجاهد ناصر بن شهرة، وذلك في نفس الوقت الذي كان فيه بومرزاق والمقراني ينظمان المقاومة في الشمال. والشيخ عزيز بن الشيخ الحداد يوجه النساء الصارخة إلى كل مناطق الجزائر يستنفر الناس للقتال، ويقول: إن الوقت حان، وإن فرنسا فريسة الضعف فيجب انتهاز الفرصة، وذلك في آخر سنة ١٨٧٠م. وكان الاتصال وثيقاً آنذاك بين المقراني والشيخ الحداد؛ إذ زار المقراني الشيخ الحداد يوم ٨ يناير ١٨٧١م، سراً في صدوقة، وتبادل معه النظر في ضرورة إعلان الجهاد، والتآمرت عائلة المقراني كلها في مجانية، وفي ليلة ١٤ مارس ١٨٧١م أعلن المقراني الجهاد رسمياً بناء على سياسة الإسلام في عدم مbagحة العدو، وكذلك حسب مبادئ الأمم المتحدة الآن، وقد أرسل المقراني إلى الجنرال الفرنسي في العاصمة يقول له: «اعلموا أننا في هذا اليوم قد أعلنا الجهاد عليكم وضدكم، وغداً نبدئ الجهاد». وببعث كذلك باستقالته من وظيفة باش أغوا. ورد المحاولة التي بعثتها له فرنسا، يوم ١٥ هاجم برج بوجيرنچ واحتلهما، ومن هناك انطلقت الثورة عارمة لا تُنْبَقِ ولا تُنْدَر.

١١٩ العقيد الفرنسي بوبيريت Beauprétre

بساح الفدا، تستفز الرجال  
يَهْيِلُ على الغاصبين الرمَالا  
بصحرائنا، ينسفُ الاحتلال  
ينادي: البدار، ويدعو: القتالا  
نسور، بواشقُ، تهوي النزالا  
فحقق بالمعجزات، المحلا  
شَغَلْنَا الورى، وملأنا الدُّنا  
بِشِعرٍ نُرْتِلُه كالصَّلاة  
تسابيحة من حنايا الجزائر

فيما آل مُقرَان أَسْدَ الكفاح  
نهدم، تشقونَ دَرَبَ الخلود  
وحَدَادُ في السوق أَلْقى عصاه  
كمثيل عصاي ... سَلْقى الفرنسي  
سلامُ لمقران يمضي شهيداً  
ولابن الثمانين يغدو أسيراً  
ومرحى لمالك <sup>١٢٤</sup> يطغى بشرشا

<sup>١٢١</sup> يوم ٨ أبريل ١٨٢٧ م أعلن الشيخ الحَدَاد الحرب وهو يتجاوز الثمانين من عمره، وذلك في سوق صدوق، وألقى عصاه بعد صلاة الجمعة في السوق وسط الجمهور وقال: سنرمي الفرنسيين إلى البحر كما رميْت أنا هذه العصا إلى الأرض.

<sup>١٢٢</sup> استشهد محمد المقراني يوم ٥ مايو ١٨٧١ م بسوفلات، قرب عين بسام.

<sup>١٢٣</sup> بعد معارك عنيفة طاحنة شاملة ألقى القبض على الشيخ الحَدَاد قرب بجامة وقد تجاوز الثمانين، وكان مشلولاً محمولاً على نعش، وذلك يوم ١٣ من يوليو ١٨٧١ م.

<sup>١٢٤</sup> مالك البركاني ابن أخي عيسى البركاني أحد خلفاء الأمير عبد القادر. أعلن الحرب يوم ١٣ يوليو ١٨٧١ م في سوق الأحد بنواحي شرشال وجبار مناصر في ولاية الأصنام، بنفس الطريقة التي أعلنتها بها قبله الشيخ الحَدَاد.

١٢٥ بِوَذْرِيسْ شِيخًا وَرِيفَ الْجَنَاحِ  
عَمَامَةُ يُدْنِي حَظْوَظَ النِّجَاحِ  
١٢٦ يَذُوْدُ عنِ الشَّرْفِ الْمُسْتَبَاحِ  
وَهَقَارُ تَزْهُو بِأَمْوَاهَا  
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَةِ  
تسَابِيْحُهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

جَزَائِرُ، أَبْدَعَهَا ذُو الْجَلَالِ  
بِلَادُ تُمَازِحُ عُشاقَهَا  
فَمَا انكَفَأْتَ ثُورَةُ فِي السُّهُولِ  
وَلَمْ يَحْنَ أُورَاسُ هَامَتُهُ  
وَلَا اسْتَسْلَمَتْ جُرْجَرَا لِلْمُغَيْرِ  
سَلَوا سَاحَةُ الشَّهَدَاءِ أَمَا  
وَدَوَّى بِشَرْشَالِ صَوْتُ النَّفَيرِ  
وَضَوَّرَ طَيْنَتَهَا مِنْ نَضَالِ  
وَتَمْنَعَ عَنْهُمْ لِذِيذِ الْوَصَالِ  
وَلَا انْطَفَأْتَ ثُورَةُ فِي الْجَبَالِ  
١٢٨ وَلَا هَدَأْتَ عَاصِفَاتُ الرَّمَالِ  
وَلَا أَوْهَنَ العَزَمَ طَوْلُ النَّكَالِ  
بِهَا قَرَرَ الْبَدُويُّ ١٢٩ الْمَئَالِ؟  
وَإِنْ كَانَ يَبْدُو بَعِيدَ الْمَنَالِ!

١٢٥ في الحين الذي كان يدير فيه الحرب مالك البركاني في جبال بني مناصر والظهرة، كانت هناك حروب يقودها في الشمال أمثال الشيخ الصدقاوي في جبال جرجوه، وكان شيخاً في زاوية وذرليس.

١٢٦ كان أولاد سيدي الشيخ في الصحراء الوهarianية يواصلون الكفاح الذي بدأهوا سنة ١٨٦٠ م. وأسد وطبة عام ١٨٨١ م تحت قيادة بوعمامدة من أولاد سيدي الشيخ واصل الكفاح مدة طويلة، ووصلت جيوشه حتى المدية وضواحي العاصمة.

١٢٧ لما خمدت ثورة أولاد سيدي الشيخ وثورة تواب وعين صالح سنة ١٩٠٠ م واصل الطوارق الكفاح في الهقار وفي نواحٍ أخرى من الجزائر تحت قيادة الشيخ آمود حتى سنة ١٩١٢ م، وكلمة آمود باللغة الأمازيغية معناها السارية أو العرصنة.

١٢٨ لم يخضع أوراس ولا جرجرة ولو مرة واحدة للعدو طوال أيام المقاومة.

١٢٩ في مدينة الجزائر والجهات المتعددة غربها إلى مدينة شرسال قامت الثورة كذلك في تلك الأونة إلا أنها لم تكن عنيفة قاسية؛ إذ أعلن أحد رجال العاصمة الغيورين السيد محمد البدوي في «ساحة الحكومة» آنذاك استقلال البلاد، وأخذ ومن معه محاولة تنظيم الإدارة المستقلة الجديدة، لكن الحركة أخفقت وأرسل الفرنسيون السيد البدوي للسجن الضيق يمضي به سبعة أعوام.

وراودَ صدقُ الضَّمِيرِ الـ  
أميرٌ<sup>١٣٠</sup> فقامَ يلاحُ طيفَ الخيالِ  
ويَعْدُ بفرسَاي خلفَ الوعودِ  
يَناشُدُ ولْسُونَ فرضَ المحالِ!  
تجارِبُ خَالدَ مَهْمَا تكنَ ...

شَغَلَنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ

تسابِيقُهُ من حَنَاءِ الجزائرِ

وأَغْفَى صَرِيرُ الرَّمَاحِ الغَوَالِيِّ  
يُقْوِدُ سَرَايَاهُ نَجْمُ الشَّمَالِ<sup>١٣١</sup>  
وينْذُرُ سَاسَتَهَا بِالْوَبَالِ  
بِرُوحِ الْفَدَا، وَالْأَمَانِيِّ الغَوَالِيِّ  
وَتُلْهِمُهُمْ ذَكْرِيَاتُ النَّضَالِ  
مجَانِيْنُ، تَجْرِي وراءَ الْخَيَالِ  
صَنَادِيدُ، مِنْ عَظَمَاءِ الرِّجَالِ  
إِذَا الْقَوْمُ لَمْ يُمْحَقُوا بِالنَّكَالِ  
سَنَقْضِي عَلَى لَعْنَةِ الْاِحْتِلَالِ  
فَدَاءُ الجزائرِ، رُوحِي وَمَالِيِّ<sup>١٣٢</sup>

شَغَلَنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ

تسابِيقُهُ من حَنَاءِ الجزائرِ

لَئِنْ بَحَّ صَوْتُ السَّيَوِفِ الصَّقَالِ  
فَحَرَبُ الْبَرَاعِ أَعَادَ الصَّرَاعِ  
بِأَرْضِ فَرْنَسَا، يَدْكُ فَرْنَسَا  
مَعَامِيدُ تَزَخُّرٌ فِيهِمْ حَنَاءِ  
تُبَارِكُهُمْ صَرَخَاتُ الضَّمِيرِ  
وَقَالَ الرَّعَادِيدُ: قَوْمٌ رَعَاعُ  
وَقَالَ الْمَنَاجِيدُ: قَوْمٌ كَرَامُ  
وَقَالَ الْفَرْنَسِيُّسُ: بِئْسَ الْمَصِيرُ  
وَقَالَ الْأَلَى نَاصِرُوا حَزْبَنَا  
وَقَالَ الْذِي خَلَّدُوا شِعْرَهُ

<sup>١٣٠</sup> الأمير خالد ابن الأمير عبد القادر الجزائري، كان يطالب فرنسا بإنجاز عهودها الكاذبة للجزائريين أثناء الحرب العظمى، وكان يطالب بإلغاء القوانين الاستثنائية (الأندجينتا) وبوجوب تطبيق الإصلاح المثلث في تسوية الجزائريين بالفرنسيين في الحقوق والواجبات. ودخول الجزائريين لمجلس النواب الفرنسي، وب مجرد أن وضعت الحرب أوزارها شُكِّلَ وفَدَأً أمام ساحة فرساي؛ حيث إن الأمريكي «ولسون» يحاول عبئًا فرض بنوده التي نادى بها أيام الحرب، ومنها حريةسائر الشعوب في تقرير مصيرها.

<sup>١٣١</sup> حزب نجمة أفريقيا الشمالية.

<sup>١٣٢</sup> نشيد الانطلاقة الأولى لمفدي زكريا، وكان نشيد حزب الشعب الجزائري ويُسمَّى إذ ذاك النشيد الوطني، وبقي كذلك حتى خلفه في المجال الرسمي نشيد «قسماً» لنفس المؤلف.

تُغْذِي العقولَ بوحي السّماء  
وتُغْرِسُ فيها معانِي الإباء  
وَتَغْمُرُ أكوانَهُ بالسّناء  
فتَزَخُّرُ بالخُلُصِ الأصفياء  
مع الوهمِ، في موكبِ الأغبياء  
بِـ، تمحو بها وصمة الدخلاء  
فَيُعلِّي ابنُ باديس صرخَ البناء  
وتُخْشِي الخفافيشُ نبعَ الضياء  
ويؤذِي المنافقَ صدقَ النداء  
بوحي السّماء، ووحي الدماء

شَفَّالُنا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

بِشِعْرٍ نُرْتَلَه كالمَّصالَة

تسابيحةً من حنايا الجزائر

وذكري احتلالِ الجزائر<sup>١٣٣</sup> شُكراً  
وما تزالُ الجراحاتُ حمراً؟  
حَفِلْنَا بعيُدِ الجزائرِ نَهراً  
وأحْيَوا على مذبحِ الشعبِ ذكري  
ورُحْنا نبُثُ المقاديرَ سِرَاً  
لِـ،<sup>١٣٤</sup> فللاشعبُ حزبُ ماضٍ مستمراً  
على العهد ... ما إن تُبَاع وَتُشْرِى  
وَغَرَّ ضعافَ العقولِ وأغرى!  
فظَنَّتْ سَرَابَ المتأهاتِ نهراً!

وفي الدَّار جَمِيعَةُ الْعُلَمَاءِ  
وَتُهَدِّي النُّفُوسَ الصِّرَاطَ السَّوِيِّ  
تُواكِبُ نجمَ الشَّمَالِ اندفَاعًا  
وَيَعْضُدُ باديسَ فيها البشِيرُ  
وَتَغْزوُ الضَّلاالتِ في التائِهِينَ  
وَتُرْسِي جذورَ الأَصَالةِ في الشُّغُفِ  
وَتَبْنِي المدارسَ عُرْضَ الْبَلَادِ  
وَيَرْتَأِي مُسْتَغْمِرٌ مُسْتَبْدٌ  
ويَرْهُبُ ظَلَّ الأَسْوَدِ ابنُ آوى  
كذا عَبَدَ الْعُلَمَاءُ الثَّنَايَا

جزِي اللَّهُ عَنَّا الشَّدائِدَ خَيْرًا  
وَإِنْ نَنْسَ هَلَّا نَسِينَا الْجِرَاحَ  
وَإِنَّ الْمَوْنَا بِمَائَةِ عَامٍ  
وَإِنْ رَقَصُوا فَوْقَ أَشْلَائِنَا  
رَقَصْنَا عَلَى نَغْمَاتِ الرَّرَصَاصِ  
وَإِنْ حَسَفُوا نَجَمَ هَذَا الشَّمَاءِ  
ضَمَائِرُ أَخْلَصَ فِيهَا البقاءَ  
إِذَا مَا فِيولِيتُ<sup>١٣٥</sup> ضَلَّ قَوْمًا  
وَخَدَّرَ قَوْمًا بِمَؤْتَمِراتٍ<sup>١٣٦</sup>

<sup>١٣٣</sup> العيد المؤوي المشئوم.

<sup>١٣٤</sup> حل حزب نجمة أفريقيا الشمالية.

<sup>١٣٥</sup> مشروع بلوم فيوليت.

<sup>١٣٦</sup> المؤتمر الإسلامي عام ١٩٣٦م الذي حرَّفَ علماءنا للمطالبة بالاندماج والوحدة الفرنسية عن اجتِهاد خاطئ، وعن حسن نية وإخلاص بعيدين عن الدهاء السياسي.

فَلِلشُعْبِ حزْبٌ يَصْنُونَ المِبادئِ  
وَشَعْبُ الْجَزَائِرِ بِالنَّاسِ أَدْرِى!  
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَةِ  
تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

<sup>١٣٧</sup> فَأَسْلَمَ لِلْمُخَلَّصِينَ الْعَنَانِ  
فَمُدَّتْ لِحَزْبِ الْبَيَانِ الْيَدَانِ  
لِحَزَبِيْنِ مَرْمَاهِمَا تَوْعِمَانِ<sup>١٣٨</sup>  
وَدَشَّنَ بِاِدِيْسُ عَهْدَ الْأَمَانِ  
وَأَحْمَدُ يُعْلِنَ فِيهِ الْأَذَانِ<sup>١٣٩</sup>  
فَيَصْعُقُ مِنْهُ الْعَتْلُ الْجَبَانِ  
تَحَاوَلُ بِالدَّسِّ كَسْبَ الرَّهَانِ  
عَلَى الطَّيْبِ الْوَاسِعِ الصَّوْلَاجَانِ<sup>١٤٠</sup>  
وَأَصْفَى مَصَالِي لِغَدِ الرَّزْمَانِ  
وَهَذِي الدُّنْا لِلرَّجَالِ امْتَحَانِ!

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَةِ  
تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

<sup>١٤١</sup> فِي الْقَصْدِ، مَا انْفَكَ حَزِيبًا وَحِيدًا  
فَتَصْنَعُ لِلْخَلْفِ شَكْلًا جَدِيدًا  
كَنَارِ جَهَنَّمَ، تَرْجُو الْمَزِيدَا

أَفَاقَ مِنْ الْوَهْمِ حزْبُ الْبَيَانِ  
وَزَايِلِهِ الشُّكُّ فِي أَصْلِهِ  
وَأَوْحَى اِنْدِمَاجَ فَرْنَسَا اِنْدِمَاجًا  
فَبَارَكَ بِاِدِيْسُ جَمَعَ الصُّفُوفَ  
وَيُولِيُوزُ وَالْمَلْعُبُ الْبَلْدِي  
وَيَصْعَقُ فِيهِ بَصَوْتِ جَدِيدٍ  
وَلَازَتْ فَرْنَسَا بِأَصْنَامِهَا  
فَتَغْتَالُ گَحُولَ تُلْقِي دَمَاهَ  
لَئَنْ خَانَنَا الْدَّهَرُ فِي طَيْبِ  
فَلَنْ يَجْحَدَ الْفَضْلُ تَارِيْخُنَا

وَإِنْ وُزَّعَ الرَّأْيُ حزِيبًا عَتِيدًا  
وَتَأْبَى الْزَعَامَاتُ كَبَحَ الطَّمَوحَ  
وَتُغْرِي الْكَرَاسِي ضَعَافَ الْعُقُولَ

<sup>١٣٧</sup> إشارة لإقلاع فرحات عباس عن تساولات اعترافاً بالحق، والرجوع إلى الحق فضيلة.

<sup>١٣٨</sup> أي أن المطالبة بالاندماج أوجت لحزب البيان بعد الاصطدام بالواقع بفكرة اندماج الحزبين، حزب البيان وحزب الشعب، بعد اعتناق البيان لمبادئ حزب الشعب والتوبة من خرافنة الوحدة الفرنسية.

<sup>١٣٩</sup> إشارة للمفاجأة المدهشة التي قام بها أحمد مصالي الحاج جهازاً لأول مرة بالجزائر في المطالبة بالاستقلال خلال الخطاب التاريخي يوم ١٤ يوليو ١٩٣٦م بالملعب البلدي بعاصمة الجزائر.

<sup>١٤٠</sup> الشيخ الطيب العقبى والشيخ كحول.

<sup>١٤١</sup> انقسام حزب الشعب.

فيصبحُ فكرُ الزعيمِ بليدا  
ولم أَرْ للجَانِ عَقلاً رَشيداً  
وَضربُ الموائدِ، ضرباً شديداً!  
هَلْ الجِبْرُ في الْحَرَبِ كَانْ مفيدةً؟  
فَمَا حَرَّ القَوْلُ قَوْمًا عَبيداً!  
أَهَالَ عَلَيْهِ الغَرُورُ الصَّدِيدَا ...  
وَعَاشَ الْحَدِيدُ ... يَفْلُ الْحَدِيدَا ...

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْيَا

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ

تسابيحةً من حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

ضَحَايَا المذايِّبِ فِي يَوْمِ نَحْس١٤٣  
وَقَمْنَا نصْفُقَ فِي غَيْرِ عَرْسٍ  
وَدَرَسَا لِقَادِتَنَا أَيْ دَرَسٍ  
وَقَالَمَة لِلشَّعْبِ، دَقَاتِ جَرَسٍ  
وَأَيْقَظَ فِي الْعُمْقِ مِيتَ حَس١٤٤  
فَبَدَدَ لَوْنَ الدَّمَّا كُلَّ لَبِسٍ  
سَرَابَ الضَّيَاعِ فَبَاءَتْ بِبَخْسٍ  
مَعَ الْوَهْمِ، بَيْنَ صَرَاطٍ وَهَمْسٍ  
وَأَنْطَقَ أَلْسَنَةً غَيْرَ خُرسٍ  
طَرِيقَ التَّخلُصِ مِنْ كُلِّ رَجْسٍ

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْيَا

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ

وَتَغْزوُ السِّيَاسَةُ فَكَرَ الزَّعِيمِ  
كَأَنَّ الْزَعَامَةَ إِعْصَارُ جَانِ  
وَمَا الْإِنْتَصَارُ<sup>١٤٢</sup> دُخُولُ انتخَابٍ  
وَلَا كَلْمَاتُ عَلَى جَدْرَانِ  
وَلَا بِالْهُتَافَاتِ عَاشَ ... وَيَحْيِي  
وَلَا بِالْوَفَوْدِ ... وَسَمْعُ فَرْنَسَا  
وَلَنْ يَغْسِلَ الْعَارَ إِلَّا الدَّمَا

وَلَمْ نَنْسَ فِي أَرْبَعينَ وَخَمْسَ  
طَرَبَنَا مَعَ الْحُلْفَاءِ اغْتِرَارًا  
فَكَانُوا مَعَ الْغَدْرِ، عَوْنَا عَلَيْنَا  
وَكَانَتْ مَجَازِرَهُمْ بِسْطِيفٍ  
وَهُزِّ لِسْتَرَادَ شَعْبًا تَوَانَى  
وَعَلَّمَنَا آشِيَارِيَ الثَّنَاءِ  
وَكَانَتْ تَلَاحِقَ أَقْلَامَنَا  
وَكَانَتْ تُكَافِحَ أَحْزَابَنَا  
فَعَطَّلَ صَوْتُ الرَّصَاصِ الْلَّغَى  
فَقَامَتْ تَعْبُدَ أَكْبَادَنَا

<sup>١٤٢</sup> الانتصار للحرّيات الديمقراطية.

<sup>١٤٣</sup> مجررة سنة ١٩٤٥ م في سطيف، وخراطة، وعين الكبيرة، وعموشة، وبني عزيز ... إلخ.

<sup>١٤٤</sup> الجlad ليستراد كاربونيل طاغية قسنطينة.

<sup>١٤٥</sup> آشياري جlad قالمة.

### تسابيحة من حنايا الجزائر

فَضَائِحَ جُنْدٍ، غَبَّيْ بِلِيد  
عَدِيمِ الْحِيَا، كَضَمِيرِ الْيَهُود  
أَفِيضِي جَلَالِكِ مَلِءَ نَشِيدِي  
صَوَاعِقَ، فَوْقَ الظَّلَومِ الْحَقُود  
وَفَتَّحَنَّهَا بِالصَّبَاحِ الْجَدِيد  
بِخَرَاطَةٍ<sup>١٤٦</sup> الْمَجْدِ رِبْضِ الْأَسْوَدِ  
عَبِيرًا، فَيَخْجُلُ عَطْرُ الْوَرَودِ  
زَيْزِي الْمَغَاوِيرِ، صَدَرَ الْوِجْدُودِ  
وَمَنْ كَتَبُوا صَفَحَاتِ الْخَلَوْدِ  
بِنُورِ الْحَجَى، وَبِنَارِ الْوَقْدِ  
شَغَلُنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا

بِشِعْرِ نُرْتَلِهِ كَالصَّلَةِ

تسابيحة من حنايا الجزائر

وَمَا بَلَغَ الشَّعْبُ فِيهِ الْمَرَامِ  
وَمَنْ كَاشَفُتُهُمْ بِسَرِّ النَّظَامِ<sup>١٤٧</sup>  
وَقَدْ بَلَغَ الشَّعْبُ فِيهَا الْفِطَامِ  
وَإِنْ أَخْفَتُوْهَا بِلَغْوِ الْكَلَامِ  
وَكَحَّالٌ<sup>١٤٩</sup> فِي السَّابِقِينَ الْكَرَامِ

وَطَالَتْ خَرَافَاتُ حَرَبِ الْكَلَامِ  
فَآمَنَ بِالنَّارِ مَنْ عَرَفَوْهَا  
إِلَى أَرْبَعينَ وَتَسْعَ سَلَامِي  
فَكَانَتْ شَرَارَةً حَرَبِ الْخَلَاصِ  
رَعَى اللَّهُ عِيمَشُ<sup>١٤٨</sup> فِي الْخَالِدِينِ

<sup>١٤٦</sup> مجازر ٨ ماي ١٩٤٥ أشهَرَ مِنْ أَنْ تَنْلُقَ عَلَيْهَا هَذَا بِكَلْمَاتٍ وَجِيزةً، وَيَكْفِي أَنْ نَقُولَ بِشَأنِهَا إِنَّ الْجَزَائِيرِيْنَ أَرَادُوا الْمَشَارِكَةَ فِي الْاِحْتِفَالِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَطَالِبِيْنَ بِالْاِسْتِقْلَالِ الْمُوْعَدِ، فَكَادَ لَهُمُ الْفَرَنْسِيْسُونَ الَّذِيْنَ أَطْلَقُوا الرِّصَاصَ عَلَى الْكَشَافَةَ وَنَظَّمُوْهَا مجازِرَ فِي قَالَةِ، وَسَطِيفِ، وَخَرَاطَةِ، وَعُمُوشَةِ، وَبَنِي عَزِيزِ، ذَهَبَ ضَحِيَّتَهَا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنَ الْجَزَائِيرِيْنَ، وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ بِحَوَادِثِ ١٩٤٥ م.

<sup>١٤٧</sup> إِشَارَةٌ إِلَى الْمَنظَمَةِ السَّرِيَّةِ ٥٠ مَعَامِ ١٩٤٩ مَالَتِي افْتَبَحَ أَمْرُهَا فِي تَبْسِةِ.

<sup>١٤٨</sup> عَمَرُ عِيمَشُ مِنَ الْمَشَارِكِيْنَ فِي تَأْسِيسِ حَزْبِ نَجْمَةِ أَفْرِيقيَا الشَّمَالِيَّةِ.

<sup>١٤٩</sup> أَرْزَفَ كَحَالٌ مِنَ الْأَبْطَالِ الَّذِيْنَ خَاضُوا مَعرِكَةَ النَّضَالِ بِحَمَاسِ نَادِرٍ فِي صَفِّ نَجْمَةِ أَفْرِيقيَا الشَّمَالِيَّةِ.

ورَابِحٌ<sup>١٥٠</sup> تَعْبُقُ أَنفَاسَه  
وَعَسْلَةٌ<sup>١٥٢</sup> يَنْدِبُه طَالِبٌ<sup>١٥٣</sup>  
وَدَوَارٌ<sup>١٥٤</sup> يَسْتَقْبِلُ الشَّهَداء  
هُمُ الْثَّائِرُونَ الْأَلَى وَلَدُوا  
مَتَّى نَزَلتْ ثُورَةُ مِنْ سَمَاءٍ  
نَزْوَلَ الْمَسِيحِ ... عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

شَغَلُنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرٍ نُرْتَلَه كَالصَّلَاةِ  
تسَابِيَّهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الْجَزَائِرِ

تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَلَّةَ قَدَرٍ<sup>١٥٥</sup>  
وَقَالَ لِهِ الشَّعْبُ: أَمْرُكَ رَبِّي!  
وَذَانَ الْقَصَاصُ فَرِنَسَا الْعَجَوزَ  
وَلَعْلَعَ صَوْتُ الرَّصَاصِ يَدُوي  
وَتَأَبَّى الْمَدَافِعُ صَوْغَ الْكَلَامَ  
وَتَأَبَّى الْقَنَابِلُ طَبَعَ الْحَرُوفَ  
وَتَأَبَّى الصَّفَائِحُ نَشَرَ الصَّحَائِحَ  
وَيَأْبَى الْحَدِيدُ اسْتِمَاعَ الْحَدِيثِ

<sup>١٥٠</sup> رابح موساوي: من مؤسسي نجمة أفريقيا الشمالية ومن أبرز مناضليها.

<sup>١٥١</sup> الشهيد إبراهيم غرافة من طلائع الرعيل الأول في النضال الوطني ومن الأفذاذ القلائل الذين ذابوا في معركة التحرير.

<sup>١٥٢</sup> حسين عسلة من أشجع وأنشط أبطال حزب الشعب.

<sup>١٥٣</sup> محمد طالب من مفاخر حزب النجمة وحزب الشعب.

<sup>١٥٤</sup> محمد دوار من أبطال حزب الشعب والانتصار كان نائباً، وأغتيل بيد الاستعمار الأثم. وبوضيق المقام عن ذكر سائر الأبطال اليامين، الأموات منهم والأحياء؛ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلاوا تبديلاً.

<sup>١٥٥</sup> ليلة القدر: يقصد بها هنا ليلة فاتح نوفمبر ١٩٥٤ التي اندلع فيها الكفاح التحريري المسلح، هذه الحلقة الجديدة من سلسلة طويلة من الثورات على الاستعمار والاحتلال الأجنبي، منذ ماسينيسا ويوجورطة حتى استرجاع الاستقلال في ٥ يوليو ١٩٦٢ م.

نوفمبرُ غَيْرَتْ مجَرِيَ الْحَيَاةِ  
وَكُنْتَ - نُوفَمْبَرَ - مَطْلَعَ فَجَرِ!  
وَذَكَرْتَنَا - فِي الجَزَائِرِ - بَدْرًا  
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِهِ كَالصَّلَاةِ  
تسابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الجَزَائِرِ

نُوفَمْبَرُ جَلَّ جَلَالُكَ فِيَنَا  
سَبَحْنَا عَلَى لَجَجِ مِنْ دَمَانَا  
وَئْرَنَا، نَفَجَّرَ نَارًا وَنَورًا  
وَنُلَّهُمْ ثَوْرَتَنَا مُبْتَغَانَا  
وَتَسْخُرُ جَبَهَتَنَا بِالبَلَادِيَا  
وَتَعْنُو السِّيَاسَةُ، طَوْعًا وَكَرْهَا  
جَمَعْنَا لِحَرِبِ الْخِلَاصِ شَتَاتًا<sup>١٥٦</sup>  
ولَوْلَا التَّحَامُ الصُّفُوفِ وَقَانَا  
فَلَيْتَ فَلَسْطِينَ ... تَقْفُو خَطَانَا  
وَبِالْقَدِيسِ تَهْتُمُ ... لَا بِالْكَرَاسِيِّ  
تمَيلُ يَسَارًا بِهَا وَيَمِينًا ...!

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِهِ كَالصَّلَاةِ  
تسابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الجَزَائِرِ

تبَارَكَ وَادِيكَ صُومَامَ<sup>١٥٨</sup> إِنَا حَفَظْنَا عَهْوَدَكَ أَيَانَ ثُرَنَا

<sup>١٥٦</sup> إشارة إلى أن الثورة الجزائرية كانت السبب الرئيسي في مطالبة كثير من شعوب ما يُسمى بالإمبراطورية الفرنسية باستقلالها، وفي حصولها عليه فعلًا. وقد صرَّح مسؤولون فرنسيون في البرلمان الفرنسي بأنهم يفضلون منح جميع هذه البلدان استقلالها للتركيز على الجزائر وضمان الحفاظ عليها، وهي التي كانت تعتبر جوهرة مستعمراتهم ومحمياتهم.

<sup>١٥٧</sup> إشارة إلى جبهة التحرير الوطني التي ضمَّت جميع الحركات الوطنية بمختلف آرائها في طرق الكفاح في حركة واحدة مسلحة قادت الجهاد حتى استرجاع الاستقلال، ونصح للإخوان الفلسطينيين بتحقيق مثل هذا الانصراف.

<sup>١٥٨</sup> مؤتمر الصومام المنعقد يوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ م بوادي الصومام، وكان أول مؤتمر وطني عام يُعقد بعد اندلاع الثورة، وقد استمر ثمانية عشر يومًا، وقد شَكَلَ المؤتمر مرحلة هامة من مراحل الثورة، وكان

أصْوَمَامُ بِاسْمِكَ، صَمَّمَ شَعْبَ  
وَجَلَّ جَلَّ صَوْتَكَ، بَيْنَ الْجَبَالِ  
وَكَانَتْ شَرِيعَةُ حَرْبِ الْخَلَاصِ  
خَلَقَتْ كِيَانًا لِثُورَةِ شَعْبِ  
وَصَفَتْ وَثِيقَتَنَا فِي الْجَهَادِ  
كَانَ لِخَمْسِ وَخَمْسِينَ<sup>١٥٩</sup> نَجْوَى  
وَأَصْغَى لَنَا الْمَجْمُوعُ الدُّولِيُّ<sup>١٦٠</sup>  
رَأَيْنَا السِّيَاسَةَ دَرِّيَا طَوِيلًا  
وَقَرَرَ صَوْمَامُ أَهَادَافَنَا  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأَنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَةِ  
تسابِيَحَةٌ مِنْ حَنَاءِيَا الْجَزَائِرِ

سَكِيَّكَدَةَ التَّأَئِيرَيَنَ أَعِيدَى  
أَغْسَطَسَ<sup>١٦١</sup> عَشَرَوْنَ لَمْ يَنْسَهَا  
وَخَمْسُ وَخَمْسُونَ فِي الْذَكْرِيَاتِ  
وَعَطَرُ لِلْمَذَابِحِ فِي سَاحَهَا

---

نقطة انطلاق وتحوّل عظيم في تاريخها أسفّر عن وضع أسيّس ثابتةً لمستقبل الثورة على نظام عسكري وسياسي مدروس، ونتج عنه تكوين مجلس وطني للثورة، وتأليف لجنة التنسيق والتنفيذ، وأعطى المؤتمر لجيش التحرير دمًا جديداً ونفساً طويلاً واستراتيجية محكمة.  
<sup>١٥٩</sup> كان تاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ م امتداداً لانتفاضة ٢٠ أغسطس ١٩٥٥ م التي حطّمت كبراء العدو وسفّهت أحلامه.

<sup>١٦٠</sup> كانت أحداث ٥٥ و٥٦ سبباً لإدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، ونالت نجاحاً كثيراً في هيئة الأمم المتحدة، وأدّينت فرنسا على أعمالها الإجرامية في الجزائر.

<sup>١٦١</sup> بلدة سكيكدة في الشرق الجزائري كانت مسرحاً لمجازر وحشيةٍ ضاربةٍ من طرف جيش الاستعمار الفرنسي، وذلك يوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٥ م أيام تظاهرات بلدان الجزائر تضامناً مع المغرب الشقيق في ذكرى احتطاف الملك الراحل المنعم جلالة محمد الخامس.

<sup>١٦٢</sup> النواجع: مبادر المسک والعمبر.

مَضْرَجَةً عَنْ جَهَادِ الْأَسْوَدِ  
رَمْرُتْزَقِينَ لِئَامَ عَبِيدِ!  
وَتَأْنَافُ مِنْهُمْ طَبَاعُ الْقَرُودِ!  
حَصَدْنَا تَضَامِنَنَا فِي الْجُهُودِ!  
دَفَعْنَا بِأَقْطَارِنَا لِلصُّعُودِ!  
يَرْجُ بِكُلِّ غَبَّيٍّ بِلِيَدِ!  
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاةِ  
تسَابِيَحَةٌ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

يَهَدْهُ مَعْسُولَ أَحَلَّمَهَا  
وَيَشْكُو مَوَاجِعَ الْأَمَّهَا  
فَيَمْسُخُ صُنَاعَ آثَامَهَا<sup>١٦٥</sup>  
فَيَضْحَكُ مِنْ ذَقْنِ أَصْنَامَهَا  
نَسِيرٌ عَلَى هَدِي إِلَهَامَهَا  
وَأَحْيَا نَفْوَسًا بِأَوْهَامَهَا  
هَوَاتِكَ حُرْمَةً أَرْحَامَهَا  
وَحَمْقٌ فَرْنَسًا وَحَكَامَهَا  
وَكَانَ عَدُواً لِإِسْلَامَهَا

وَتَحْكِي لِهَا الْوَرَى قِصَّةً  
وَتَرْوِي لِهَا الزَّمَانِ مَجَازِ  
وَقَالُوا: التَّمَدُّنُ مِنْ طَبْعِنَا  
لَئِنْ حَصَدَ التَّنَانِكُ أَوْصَالَنَا  
وَإِنْ وَزَعَ الْقِطْرُ<sup>١٦٣</sup> أَشْلَاءَنَا  
هُوَ الْمَغْرِبُ الْأَكْبَرُ الْأَطْلَسِيُّ

وَفَالْمَةُ تَزْهُو بِحَمَّامَهَا  
يُشَيْعُ الْبَخَارُ تَبَارِيْحَهَا  
وَيُرْجُفُ بِرْكَانَهَا سَاحِطًا<sup>١٦٤</sup>  
وَيَمْضِي الزَّمَانُ، وَيَأْتِي الزَّمَانُ  
فِي الْيَالِكِ أَسْطُورَةً لَمْ نَزِلْ  
وَيَا لِخَيَالِ، أَجَلَ الْخَيَالِ  
وَيَا تَرْبَةً أَغْرَقْتُ فِي الدَّمَاءِ  
وَيَا بَلَدَةً عَصَفْتُ بِاللَّئَامِ  
وَلَفَّتْ شَرَارُتُهَا أَشِيَارِي

١٦٣ القطر — بكسر القاف — الرصاص، ومنه قوله تعالى: ﴿أَتُونِي أَفْرُغُ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾.

١٦٤ حمام المسخوطين.

١٦٥ تفسُّر أسطورة متوارثة جيلاً عن جيل قصة نعت الحمام وإضافته للمسخوطين أن قراناً وقع في إحدى القبائل المجاورة للحمام زفت فيه أخت لشقيقها، وأقيم حفل الزفاف بالحمام المذكور في جمعٍ حاشد يترأسه القاضي الذي حرر عقد النكاح وسط عدوله وأعوانه، فسخط الله عليهم ومسخهم أحجاراً على أشكال آدمية، وانطلاقاً من الإيمان بهذه الأسطورة جاء سخط سكان قرنة وضواحيها على كل باغ ومنتهى للحرمات، وجاءت انتفاضتهم العارمة ضد التحدي الاستعماري في أحداث ١٩٤٥م، وصمدوا في وجه المجازر الوحشية التي كان يقوم بها الجلادان آنتياري وليسراط كاربونيل اللذان شملهما القصاص بعد ذلك على يد الفدائين.

وفار بتُنورها كاربُتَالٌ فَأَصْبَحَ كاربون حَمَّامِها  
 شَغَلَنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا<sup>١٦٦</sup>  
 بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ  
 تِسَابِيْحَةُ مِنْ حَنَاءِيَا الجَزَائِرِ

ويصرخ فيها نداءُ الضميرِ  
 فتبدي العُجَابَ، بحرِ المصيرِ  
 فينُدُّبُ جيَطَاهُ فِي الْقَبُورِ  
 فتُروي حكاياتها لِلصُّخُورِ  
 أَغْسِتِنَس١٦٨ يُزْجِي ركَابَ الدُّهُورِ  
 صَواعقَ، تَحْصِدَ هَامَ المُغَيْرِ  
 تباركَهَا هَبَواتَ الْعَصُورِ  
 الشَّهِيدُ، فَتَحْتَلُّ عَرْشَ النُّسُورِ  
 حَيَاةً، أَصَالتَهَا فِي الْجَذُورِ<sup>١٧٠</sup>  
 مَضَرَّجَةً بِدَمَاءِ، وَنُورِ

شَغَلَنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا<sup>١٦٦</sup>  
 بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ  
 تِسَابِيْحَةُ مِنْ حَنَاءِيَا الجَزَائِرِ

وبونةٌ تحفظ أمجاد زيري  
 وتنفض عنها غبار الليلالي  
 ويذكر إصرارها فردناندو<sup>١٦٦</sup>  
 وتضُبَّ للثَّأْرِ أمواجها  
 وتذكر تاقست<sup>١٦٧</sup> يوم انطلقا  
 فتهوي شواهقُها الحانقاتُ  
 وتقفوا تِبَسَّةً آثارها  
 ويدفعها العَرَبِيُّ التَّبَسِّيُّ<sup>١٦٩</sup>  
 ويُجْرِي الْعُلُومَ بِأَوْصَالِهَا  
 على العَرَبِيِّ الشَّهِيدِ، صَلَاةُ

<sup>١٦٦</sup> فردناندو ملك إسبانيا الصليبي الذي جَهَّزَ جيوشاً جرارة في القرن الخامس عشر المسيحي لاحتلال المغرب العربي واكتساح الإسلام في ربوعه، وقد وقع احتلال مدينة بونة (أو عناية) ووهان، والمرسي الكبير، ومستغانم، وتونس، وبجاية، وجيجل، وعنابة، وتونس، وطرابلس، ابتداء من ١٥٠٩ م، ودام في وهان قرنين كاملين، وربط الإسبان الحمير في جامع الزيتونة في تونس.

<sup>١٦٧</sup> تاقست: اسمُ قديمُ لمدينة سوق أهراس.

<sup>١٦٨</sup> أغستنس أو Sr. Angustin المولود بمدينة تاقست سوق أهراس، والذي تضلع في مختلف العلوم واللغات، وأصبح فيما بعد أسقفَ قرطاج، وهو من مفاخير العبرية الجزائرية.

<sup>١٦٩</sup> الشهيد الشيخ العربي التبّي أحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مشهور بالثبات والصلابة في الحق، اختطفته الشرطة الفرنسية سنة ١٩٥٦ م، ولم يظهر له أثر لحد الساعة — رحمه الله.

<sup>١٧٠</sup> الجذور: تورية تشير إلى لقبِ الشيخ العربي الذي هو العربي الجذري.

وهمس الرمال بـأذن التخييل  
عِذابٌ، يوْقُن سجع الهديل  
على وجنتَي التَّخَيِّلِ الجميلِ  
على لحن جَدُولِهَا السَّلَاسِيلِ  
حِوَالِمَ، يَنْضَحْنَ بِالزَّنْجِيلِ  
عَزَائِمُ تَهْزَأُ بِالْمَسْتَحِيلِ  
مَسِيرَتَهَا لِسَوَاءِ السَّبِيلِ  
جَحَافِلَهَا لِلْمَصِيرِ الْجَلِيلِ  
ثَلَاثًا، فَتُلْهِبُ نَارَ الْخَلِيلِ  
فَتَنْصَبُ نَحْوَ الصَّرَاعِ الطَّوِيلِ  
شَغَلَنَا الورى، وَمَلَأَنَا الدُّنَى

بِشِعْرِ نُرْتَلِهِ كَالصَّلَاةِ  
تسابِيقُهُ مِنْ حَنَايَا الْجَزَائِرِ

وَمَعْقَلِ أَبْطَالِنَا الثَّائِرِينَ  
وَأَرْضِ عَشِيرَتَنَا الْأَقْرَبِينَ<sup>١٧٥</sup>  
وَمَنْ حَطَّمُوا الظُّلْمَ، وَالظَّالِمِينَ

وَسَاجِلُ بِسَكْرَةِ نَجْوَى الْأَصِيلِ  
تُنَافِخْكَ مِنْ طَلَعِهَا النَّسَمَاتُ الـ  
وَيُبَهِّرُكَ مِنْهَا انسِكَابُ النَّجْوَمِ  
وَدَوْبُ الْعَرَاجِنِ فِي صَدَرِهَا  
كَانَ عَسَالِجَهَا الْمُثَقَّلَاتُ الـ  
وَبَيْنِ التَّخَيِّلِ وَبَيْنِ الرَّمَالِ  
يُواكِبُ عَقبَةُ<sup>١٧٦</sup> فِي الْخَالِدِينَ  
وَيَحْدُو الزَّعَاطِشَةُ<sup>١٧٧</sup> الْثَّائِرِينَ  
وَتُقْسِمُ طَوْلَقَةُ<sup>١٧٨</sup> بِالْطَّلاقِ  
وَيُذْكَرِي الْمَغِيرُ<sup>١٧٤</sup> غَيْرَتَهَا

وَيَا وَادِي سُوفَ الْعَرَينِ الْأَمِينِ  
وَمَأْوَى الْمَنَاجِيدِ مِنْ أَرْضَنَا  
وَرَبِّضِ الْمَحَامِيدِ أَحْرَارِ غُومَا<sup>١٧٦</sup>

<sup>١٧١</sup> عقبة بن نافع الفهري دفين قرية «سيدي عقبة» قائد الزحف الأكبر في فتوحات أفريقيا.

<sup>١٧٢</sup> الزَّعَاطِشَة مَرْ ذِكرهم في غير هذا المكان من الإليانة بأسهاب.

<sup>١٧٣</sup> طولة (عروس الزاب) مشهورة بوفرة نخيلها، وجودة ثمارها المسكية، وشهامة رجالها.

<sup>١٧٤</sup> «المغير» تقع في طريق «بسكرة تقرت» وهي في مستوى «طولة» من حيث وفرة النخل وجودة الثمار، ومسقط رأس الشهيد قاسم رزيق.

<sup>١٧٥</sup> عشيرتنا الأقربيون: أشقاءنا في كل من تونس وليبيا؛ فقد كانت سوف ملجاً للثائرين تحضنهم وتناصرهم ضد أعدائهم.

<sup>١٧٦</sup> الشيخ غومه بطل الصحراء عميد قبيلة المحامي، القبيلة الليبية المشهورة بأمجادها وبطولاتها. التجأ إلى سوف حين وقع في كلبة الجيش التركي من الجهة الليبية، وجيش الباي من الجانب التونسي، فكانت سوف ملجاً أميناً له، والتاريخ يذكر شجاعته ونبُل سوف والأدب الشعبي يذكر بملامحه المتداولة لحد الآن في الأفراح والأغراض.

وَرَبِّ السِّلاح لَأَوْرَاسِينَا<sup>١٧٧</sup>  
 أَيْنُسَى ابْنُ شَهَرَةَ أَحْرَارَنَا<sup>١٧٨</sup>  
 أَنْسَى تَلَاثَةِ أَيَّامٍ نَحِسٌ<sup>١٧٩</sup>  
 وَأَخْضُرٌ يَحِيدُ حُمْرَ الْحَوَاصِ<sup>١٨٠</sup>  
 وَضَرَغَامُهَا الْهَاشَمِيُّ الشَّرِيفُ<sup>١٨١</sup>  
 وَكَمْ كَانْ سَوْفُ لِضِمِّ الصُّفُوِّ  
 لِتَحْفَظُ زَنَاتَهُ أَرْحَامَ نِيَكِسِيٍّ<sup>١٨٢</sup>  
 شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأَنَا الدُّنَى  
 بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ

<sup>١٧٧</sup> لعبت سوف دوراً عظيماً في نقل الأسلحة إلى ثوار أوراس، وتيسير طرق إرسالها من القطرين الشقيقين، تونس ولبيبا، عبر الصحراء.

<sup>١٧٨</sup> كانت سوف العضد المتن للقائد ابن شهرة عند انطلاقه من «الأغواط»، وقد سبق ذكره تفصيلاً في غير هذا المكان من الإلياذة.

<sup>١٧٩</sup> إشارة إلى معركة «الثلاثة أيام» الضارية المشهورة التي قام بها المجاهد محمد الأخضر، وأباد جيش العدو عن آخر حتى اضطر سوستال للقدوم بنفسه إلى سوف ليذرف الدموع على الأشلاء، وكان ذلك في شهر أغسطس ١٩٥٥م، وقد سجل الشعر الشعبي في الجنوب معركة محمد الأخضر، وهي تردد إلى الآن في ملاحم شعبية.

<sup>١٨٠</sup> إشارة إلى معركة «الثلاثة أيام» الضارية المشهورة التي قام بها المجاهد محمد الأخضر، وأباد جيش العدو عن آخر حتى اضطر سوستال للقدوم بنفسه إلى سوف ليذرف الدموع على الأشلاء، وكان ذلك في شهر أغسطس ١٩٥٥م، وقد سجل الشعر الشعبي في الجنوب معركة محمد الأخضر، وهي تردد إلى الآن في ملاحم شعبية.

<sup>١٨١</sup> خلال الحرب العالمية الأولى، وبالضبط سنة ١٩١٧م، قام بمحاولة انفاضية على الفرنسيين، المجاهد الحال الذكر الشيخ الشريف الهاشمي؛ وذلك لمساندة الخلافة الإسلامية، وقد اقتدى به ابنه الشيخ عبد العزيز الهاشمي سنة ١٩٣٨م وقبض عليه، وقضى ثلاثة سنوات سجناً خلال الحرب العظمى الأخيرة، ثم بقي مطارداً إلى أن توفاه أجله في تونس سنة ١٩٦٤م، ودُفن بها مع الشهداء الأبرار.

<sup>١٨٢</sup> كانت سوف عاملًا قويًا لتوحيد زناتة شمالاً والطوارق جنوبًا، وذلك أن تيكسي الملة العرجاء أم قبائل (الجيتو) الطوارق الحاليين، مات زوجها فتزوجت رجلاً آخر من زناتة، وأنجبت قبائل زناتة، وكان مقرها في قرية «تيكسيبت» في وادي سوف، وإلى هذه المصاهرة الوحدوية يشير البيت.

### تسابيحة من حنایا الجزائر

فَصَامَ، وَأَضْرَبَ<sup>١٨٣</sup> سِبْعًا شَدَادًا  
تُجْرِعُهُ ذَلَّةً وَاضْطِهَادًا  
عَمِيلًا يُوْفَرُ لِلْبُومِ زَادَا  
وَيَبْلُو الْلَّيَالِي الطَّوَالَ جَلَادًا  
وَمِنْ كَدَّ أَتْعَابِهِ مَا اسْتَفَادَ؟  
أَمَا أَلْهَبَ الْجَمْرُ فِيهِ الْجَهَادَ؟  
إِذَا اسْتَفْحَلَ السُّمُّ فِيهِ، وَسَادَا  
سَنَابِلُهُ، وَيُفَدِّي الْبَلَادَا  
فَعَاثَتْ بُعْرُضِ الْبَلَادِ فَسَادَا  
تَبَارَكَ شَعْبُ تَحْدَى الْعِنَادَا!

شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ

### تسابيحة من حنایا الجزائر

وَقَاسَمَ تُجَارَنَا خَطْبَنَا  
فَشِدَنَا بِهَذَا، وَذَاك، الْبَنَا  
مَصَائِرَنَا، فَبَهَرَنَا الدُّنَى  
مَشَاتِلَنَا، فَقَطَفَنَا الْجَنَّى  
تُطْغِيْهُ الْمَقَادِيرُ، طَوَعَ الْمُنْتَى  
وَيَسْأَلُ ضَمِيرَ الْبَقاءِ ... مَنْ أَنَا؟!  
خُشُوعًا، وَيَرْكَعُ لَهُ مُذْعِنًا  
فَصِرَتْ بِخَالقِهِ مُؤْمِنًا!  
لَمَّا بَلَغَ الرَّكْبُ شَاطِيْهِ الْهَنَّا  
إِلَى النَّصْرِ مَا حُزْرَ إِيمَانًا!

شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

تَبَارَكَ شَعْبُ، تَحْدَى الْعِنَادَا  
وَأَنْفَ أَنْ يَسْتَسِيْغَ الْحَيَاةَ  
وَأَقْسَمَ، أَنْ لَا يَعِيشَ النَّهَارَ  
وَأَنْ يَهْجَرَ النَّوْمَ يَلْقَى الْمَنَيَا  
عَلَى مَيَكْدُ لَخَيْرِ الدَّخِيلِ  
يَصُومُ، وَيَمْضِيْغَ جَمَرَ الْغَضَا  
وَيَضْمَأُ، وَالْمَاءُ مَلِءَ يَدِيهِ  
وَمِنْ دَمِهِ، يَرْتَوِي، وَيُرَوِّي  
وَجْنَتْ فَرَنْسَا لِإِضْرَابِ شَعْبِ  
بَكْتُ، فَضَحِّكَنَا وَقَالَ الزَّمَانُ

وَكَمْ عَاشَ طَلَابُنَا حَرَبَنَا  
وَعَمَ النِّضَالُ وَفَاضَ النَّوَالُ  
وَمِنْ عَرَقِ الْكَادِحِينَ صَنَعْنَا  
وَمِنْ نَصَبِ الْزَّارِعِينَ غَرَسْنَا  
وَمَنْ تَكُ أَكْبَادُهُ لَبَنَاتِ  
وَيَمْلأُ حَنَايَا الْوُجُودِ دُوِيَا  
وَيَجْنَبُ الزَّمَانُ عَلَى قَدْمِيهِ  
هُوَ الشَّعْبُ ... آمَنْتُ بِالشَّعْبِ فَرِدًا  
وَلَوْلَاكَ - يَا شَعْبَ - تَزْجِي الشَّرَاعَ  
وَلَوْلَاكَ - يَا رَبُّ - وَاكِبَ شَعْبًا

<sup>١٨٣</sup> أضررت البلاد الجزائر عن بكرة أبيها سبعة أيام سنة ١٩٥٧ م.

## بِشِعْرِ نُرْتَلِهِ كَالصَّلَاةِ تسابيحةٌ من حَنَاءِ الجزائر

فَكَانَ الْحَسَابُ عَسِيرًا طَوِيلًا  
فَذَاقَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ الْوَبِيلًا  
فَضَائِحَ جِيشٍ يَذُوبُ غَلِيلًا  
هُمُوا زَرَعوا، فَأَقْمَنَا الدَّلِيلًا  
وَكَمْ صَنَعُوا الْمَذَهَلَ الْمُسْتَحْيِلًا<sup>١٨٤</sup>  
أَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ التَّقِيلًا  
مِنَ الدَّاءِ وَالْغَدَرِ عَاشَ عَلِيلًا  
فَأَلْهَبَ مِنْهُ الْقَصَاصُ الْفَتِيلًا  
فَنَاشَدَنَا أَنْ نَرُدَ الْمَثِيلًا  
فَلَمْ يُكِنْ غَيْرَ الْقَصَاصِ سَبِيلًا

## بِشِعْرِ نُرْتَلِهِ كَالصَّلَاةِ تسابيحةٌ من حَنَاءِ الجزائر

وَزَلْزَلَهُ، عَزْمُنَا، فَتَوَارَى  
بِأَرْضِ فَرْنَسَا، فَبَاءَ خَسَارَا  
بِإِيمَانِهَا الْوَاهِمِينَ الْحَيَارِى  
بِأَرْضِ فَرْنَسَا فَكَانَ الْجِدَارَا  
فَعَافُوا الْخَنَوْعَ، وَخَاضُوا الْغِمارَا

وَكَمْ جَحَدُوا فَضْلَنَا وَالْجَمِيلَا  
وَكَمْ أَحْقَوَا بِالْمَهَاجِرِ ذُلَّا  
فَيَا عَامَ سَتِينَ قُصَّ عَلَيْنَا  
وَيَا زَارَ الْمَوْتِ فِي أَرْضِهِمْ  
سَلِ السَّيْنَ كَمْ قَذَفُوا مِنْ ضَحَايَا؟  
وَسَلْ فِي الْمَنَاجِمِ كَمْ مِنْ قَتِيلٍ  
وَكَمْ فِي سُجُونِ فَرْنَسَا بِرِيءٍ  
هُوَ الْحَقُّ طَيْرٌ صَبَرَ الرَّصَاصِ  
وَأَغْضَبَ عِيسَى، وَرَاعَ الصَّلِيبَ  
صَرْخَنَا، فَلَمْ يَعْبُئُوا بِالصُّرَاخِ  
شَغَلُنَا الْوَرَى، وَمَلَأُنَا الدُّنَا

وَخَامَرَ دُوِّبِري<sup>١٨٥</sup> صُدَاعُ السَّكَارِى  
وَحَاوَلَ تَنْصِيرَ أَطْفَالَنَا  
فَخَمْسُ وَعِشْرُونَ أَلْفًا تَحْدَى<sup>١٨٦</sup>  
وَأَخْلَصَ إِسْلَامً أَكْبَادَنَا  
وَأَمَنَ أَشْبَالُنَا بِالْجَهَادِ

<sup>١٨٤</sup> إشارة إلى الجزائريين الذين تظاهروا في باريس رجالاً، ونساء، وأطفالاً يوم 11 ديسمبر 1961م تضامناً مع كفاح شعبهم، وألقت الشرطة الفرنسية بالكثير منهم في نهر السين وماتوا غرقاً.

<sup>١٨٥</sup> إشارة إلى عدة تصريحات وتدابير من السلطات الفرنسية بقصد إيمان أطفال جاليتنا في فرنسا بشرط التجنس، وتغيير الأسماء، فضلاً عن مسامعي المبشرين لتمسيح الكثير منهم.

<sup>١٨٦</sup> تحدي أصله تحدى فُحُوذت إحدى التاءين.

براكينَ تنصبُ حقداً ونارا  
رُجوماً تُحيلُ الظلامَ نهارا  
بـ<sup>١٨٨</sup> والقاطراتِ بها والديارا  
وعمياً، فأصغى لنا من تماري  
وكان محمد، يرعى النصارى  
وفجر أصلبنا في جماها<sup>١٨٧</sup>  
 وجاسوا خلالَ الديار فكانوا  
 سلوا المنشآتِ بها والأنابيب  
 وكان الفرنسيسُ صُمّاً وبُكمَا  
 وما كان عيسى ظلوماً جهولاً  
 شغلنا الورى، وملاينا الدنا

بِشِعْرِ نُرْتَلِهِ كَالصَّلَاةِ  
تَسَابِيحةً مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

أينسى مُغامرةَ الحيوان؟  
 وهل ببطولاتها يُستهان؟  
 ثقيلاً، فيُكُبرُهُ التّقلان!  
 ويغشى المعamus ثبتَ الجنانْ  
 فيخلع بالرعبِ قلبَ الجبان  
 وقد عاف ذل الشقا والهوان  
 ويخدع أحلاسهُ بالأمان

إذ الشّعرُ خلَدَ أسدَ الرهان  
 أينسى البغال؟ أينسى الحمير  
 سلامٌ على البغل، يعلو الجبال<sup>١٨٩</sup>  
 وعاش الحِمارُ يُقلُّ السلاحَ  
 وببارك فأرا<sup>١٩٠</sup> ... يوزع ناراً  
 ويلقى الشهادةَ شهماً كريماً  
 وطوبى لعنز<sup>١٩١</sup> يضلُّ جنداً

<sup>١٨٧</sup> إشارة إلى الدور الفعال الذي قامت به جاليتنا في فرنسا خاصةً منذ ١٩٢٤ م في إطار الحركة الوطنية، وبصفة أخص أثناء الكفاح التحريري المسلح ١٩٦٢-١٩٥٤ م بما قدّمه من مال ورجال، وما قامت به من دور فدائي بطولي بنقل الحرب إلى فرنسا في شكل تخريب مؤسسات استراتيجية، واغتيال خونة جزائريين ومحاولة إعدام بعض المغاربة الفرنسيين مثل سوستيل ... إلخ.

<sup>١٨٨</sup> توضيح للإشارة السابقة.

<sup>١٨٩</sup> لولا البغال والحمير لما كانت الجبال معاقل حرة للمجاهدين، ولا كان في الإمكان تزويد الثوار بالذخيرة والميرة والسلاح.

<sup>١٩٠</sup> كان المجاهدون يُطلون الفثارن بالبنزين ويشعلونه فتنطلق في المزارع ساحقةً ماحقةً فتُتلافى المحاصيل، وتشيع الرعب في أنفدة المستعمرين الرعاعيد.

<sup>١٩١</sup> كان المجاهدون يعلقون مصابح كهربائيةً صغيرةً على جبهات العنzer، فتتراکضن فوق الطريق تحت الطريق يحسبها جنود العدو تحركاً للجيش، فيصوبون نحوها طلقاهم فيطوقهم الجيش الجزائري من الاتجاه المعاكس.

وللكلب<sup>١٩٢</sup> يهجر طبعة النباج  
فلا ولاك يا حيوان الفدا  
لما أحراز الشعب كسب الرهان  
بذراك تعتز إلياذتي فائزكي التحيات: يا حيوان!  
شغفنا الورى، ومملأنا الدُّنـا  
بسـعـرـ نـرـتـلـهـ كـالـصـلـةـ  
تسـابـيـحـهـ منـ حـنـايـاـ الجـزاـئـرـ

أـتـيـ أـمـرـنـاـ صـارـخـاـ فـانـطـلـقـنـاـ  
وـفـاوـضـنـاـ الـقـومـ فـيـ أـمـرـنـاـ  
وـقـالـلـوـ:ـ سـنـجـرـيـ عـلـيـهـ اـقـتـرـاعـاـ  
فـرـنـسـاـ ...ـ تـنـاسـيـتـ مـاـ لـيـسـ يـنـسـيـ  
وـأـجـرـىـ عـلـيـنـاـ الرـصـاصـ اـنـتـخـابـاـ  
وـقـلـنـاـ ...ـ وـقـالـتـ لـنـاـ الـكـائـنـاتـ  
فـلـمـ نـكـ نـرـضـىـ بـنـصـفـ الـحـلـولـ  
وـدـيـغـوـلـ أـلـقـىـ بـيـادـقـهـ  
وـخـافـ الـحـواـجـزـ تـحـمـيـ الـغـلـةـ  
وـفـكـرـ دـيـغـوـلـ فـيـ حـمـقـهـ

ولذنا بوخدتنا فانتعتنا  
وأمر سيادتنا ... فرفضنا  
بلا، ونعم — خدعة<sup>١٩٣</sup> — فاعتراضنا  
أما في نوفمبر ... كنا اقترعونا  
وخصب أوراقنا ... فانتخبنا؟  
خذوا حذركم واثبتتوا ... فثبتنا  
ولا بالدومينيون نحن انخدعنا<sup>١٩٤</sup>  
فطاولها رخنا فانتصرنا<sup>١٩٥</sup>  
وتبكى فرنسا لها ... فضحكتنا<sup>١٩٦</sup>  
وفي صدقنا ثم قال: «فهمنا»!<sup>١٩٧</sup>

<sup>١٩٢</sup> لقد توصل المجاهدون بعد ترويض طوبل لتعويذ الكلب عدم النباح، ثم إن الحاسة المرهفة في الكلاب تجعلها تشعر بخطر الطائرات المطاردة والتمامة قبل وصولها ببرهة مديدة، فيكثر هيجانها وارتباكتها، فيحتاط لها المجاهدون فإذا وصلت انبطحت الكلب — وليس أوفى من الكلب. (اقرأ كتاب فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب).

<sup>١٩٣</sup> غي موله وحكاية الاستفتاء السخيف.

<sup>١٩٤</sup> خدعة الاستغلال الداخلي والتبعية لفرنسا.

<sup>١٩٥</sup> البيارق، والرُّخ من قطع الشطرنج.

<sup>١٩٦</sup> الحاجز التي أقامها غلة المعمرين بشوارع العاصمة سنة ١٩٥٨ مع عصابة لاقابارد، وفي هذا أقول من قصيد منشور في اللهب المقدس:

وترى الغلة على السدود جواثماً تحمي النساء على السدود رجالها!

<sup>١٩٧</sup> مفاوضات إيفان التي انبثق عنها الاستقلال، و«فهمنا» إشارة لقول ديغول

شَفَّلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلْهُ كَالصَّلَاةِ  
تسابيحةً من حَنَايَا الْجَزَائِرِ

فَرَضْنَا إِرادَتَنَا الْفَارِعَهُ  
وَصُغْنَا مَصَائِرَنَا بِالرَّصَادِ  
وَتَمَّتْ بِهَا كَلْمَاتُ إِلَهِ  
وَلَاحَ الْخَلاصُ، بِحُلْمِ الْلَّيَاليِ  
وَدَوَّيَ نَشِيدُ الْجَزَائِرِ يَغْزوُ  
وَجَلَّجَ صَوْتُ نَشِيدِ اللَّوَاءِ  
وَجِيشُ يُرَدِّدُ: هَذِي دَمَانَا إِلَى  
وَيَصْدَحُ طَلَابُنَا بِالنَّشِيدِ  
وَبَنَتْ الْجَزَائِرِ تَتَلَوْ نَشِيدُ إِلَى  
وَقَمَنَا نُشِيدُ صَرْحَ الْبَلَادِ  
شَفَّلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلْهُ كَالصَّلَاةِ  
تسابيحةً من حَنَايَا الْجَزَائِرِ

أَنَاجِيكَ يا مُصْطَفَى<sup>٢٠٣</sup> فِي سَمَاكَ  
بُعِثَتْ سَفِيرًا لِفُقَرَاءِ عُلَاقَ

<sup>١٩٨</sup> نشيدة الثورة: قسمًا بالنازلات، لمفدي زكريا منشور في الـلـهـب المـقـدـسـ.

<sup>١٩٩</sup> نشيد العلم: علم الجزائر، عشت يا علم، لمفدي زكريا منشور في الـلـهـب المـقـدـسـ.

<sup>٢٠٠</sup> نشيد جيش التحرير: هذـي دـمـانـاـ الـغـالـيـةـ دـفـاقـةـ، بـلـغـةـ الشـعـبـ لـمـفـديـ زـكـريـاـ، منـشـورـ بـالـلـهـبـ المـقـدـسـ.

<sup>٢٠١</sup> نشيد طلاب الجزائر: نحن طلاب الجزائر، نحن للمسجد بـنـاءـ، لمـفـديـ زـكـريـاـ منـشـورـ بـالـلـهـبـ المـقـدـسـ، وـنـشـيدـ العـمـالـ الـجـزـائـرـيـنـ لـمـفـديـ زـكـريـاـ منـشـورـ بـالـلـهـبـ المـقـدـسـ: نـحـنـ جـنـدـ الـاـتـحـادـ وـالـعـمـلـ.

<sup>٢٠٢</sup> نشيد لـبـنـتـ الـجـزـائـرـ: أـنـاـ بـنـتـ الـجـزـائـرـ، لمـفـديـ زـكـريـاـ منـشـورـ بـالـلـهـبـ المـقـدـسـ. وـكـلـ هـذـهـ الأـنـاشـيدـ معـ نـشـيدـ بـرـبرـوسـ وـنـشـيدـ الشـهـداءـ وـغـيرـهـاـ نـظـمـتـ فـيـ بـرـبـروـسـ أـيـامـ الثـورـةـ الـكـبـرىـ.

<sup>٢٠٣</sup> الشهيد فخر المناضلين مصطفى الفروخي الذي لقي حتفه في طائرة تحطمت وهي تقلع من القاهرة إلى بيكون، حيث عُيِّن بها سفيرًا للجزائر، وقد نُقل جثمانه الشريف إلى تونس، ودُفن بمقدمة الجلاز في

وَآدَمْهَا – أَنْ تَكُونُ الْمَلَكُ  
وَقَبْرُ النُّبُوْغُ، وَنَصْبُ الشُّبَابِ  
وَسِرَّتْ إِلَى حِيْثُ تَلْقَى رِضَاكِ  
فَخَلَّفَتْ تَحْنِيَطَه لِسُواكِ  
وَمَا بَلَغُوا فِي الْوَفَا مَسْتَوَاكِ  
مَعَ الرِّيحِ، تُغْرِقُهَا فِي دِمَاكِ  
شَعَالِيْلُه، مِنْ شَظَايَا هُواكِ  
فِيَا لِيَتَهُم يَتَّبِعُونَ خُطَاكِ

شَغَلَانَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاةِ

تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَايَا الْجَزَائِرِ

هُوَ الصَّدْقُ، حَقَّ أَمَالِيهِ  
إِلَى النَّصْرِ، قَدَّمَتْ قَرْبَانِيهِ  
وَسَعْدُ بْنُ وَقَاصِ أَبْطَالِيهِ  
وَخَلَّدَتْ أَمْجَادَ أَنْطَاكِيهِ  
٢٠٤ فَتَ، الْخَلْدُ، فِي رَفْرِ العَالِيَّهِ  
مَشَاهِدُهَا الْمُهَاجِقُ الْقَانِيَّهِ  
فَتَحْفَظُ بِنَزْرَتِ وَالسَّاقِيَّهِ  
وَأَجْمَعُ، فِي الصَّرَصَرِ الْعَاتِيَّهِ  
فَرُحْنَا نَدِينَ بِوَحْدَانِيهِ  
وَيَفْرَضُ مَصَائِرُنَا الْبَاقِيَهِ!

وَفَضَّلَتْ – لِمَا سَيَّمْتَ الدُّنَى  
وَأَضْنَاكَ فِي الْأَرْضِ مَكْرُ وَغَدْرُ  
فَطَلَّقْتَ أَصْنَامَهَا دُونَ رَجْعَى  
وَهَالَكَ عُقْمُ الشَّبَابِ الْمَسْجَى  
وَعِفْتَ مِنَ الْبَعْضِ، حِمَى الْكَرَاسِيِّ  
فَحَطَّمْتَ أَخْشَابَهَا، طَائِرًا  
وَكُنْتَ لِرُوحِ النَّضَالِ لَهِيَّا  
وَكُنْتَ لِصَدِقِ الْخَصَّمِيِّ مِثَالًا  
شَغَلَانَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاةِ

تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَايَا الْجَزَائِرِ

وَقَالَتْ: جَزَائِرُنَا الْغَالِيَهِ  
وَمِنْ دَمِ شَعْبِيِّ، وَأَكْبَادِهِ  
وَجَنَّدَتِ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ  
وَجَدَّدَتِ حَطِينَ فِي مَوْطِنِيِّ  
وَجَلَّ الْفَدَا بِالْمَلَيِّينَ شَرَّ  
وَفِي كُلِّ شَبِّرِ لَنَا لَوْحَهِ  
تُلْقَنْ وَجَدَهُ أَدْوَارَهَا  
فِيَا مَغْرِبًا مَازِجَتِهِ الدَّمَاءَ  
وَزَگَّاهُ أَطْلَسْنَا فِي الْقَرْوَنِ  
دَعَاوَ الْمَغْرِبَ الْوَحْدَوِيِّ يَقْرَرُ

حفلٌ خاشعٌ حضرهُ أعضاءُ الْحُكُومَتَيْنِ، الْجَزَائِيرِيَّةِ وَالتُّونِسِيَّةِ، وَالسُّلُكِ الدِّيَبُولُومَاتِيَّيِّ، وَأَمْوَاجُ الشَّعْبِ، وَقدْ  
أَبْنَتَ بِقَصِيدَهِ نُشُرٌ بِدِيَوَانِ الْلَّهَبِ الْمَقْدَسِ طَالِعَهُ:

أَسْفِيًّا نَحْوُ أَمْلَاكِ السَّمَاءِ أَمْ لَبِكِينْ بُعْثَمْ مَصْطَفِي؟

٢٠٤ العالية: مقبرة الشهداء في ضواحي عاصمة الجزائر.

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَايا الْجَزَائِر

سَلَامٌ عَلَى الْمَغْرِبِ الْأَكْبَرِ  
إِلَى النَّصْرِ، فِي رِيحَهَا الْمَرَصَرِ  
عَلَى دَمَنَا الْفَائِرِ الْأَحْمَرِ  
وَعُونَانِ، عَلَى الْهَدْفِ الْأَكْبَرِ  
شَهِيدًا عَلَى وَحدَةِ الْعَنْصَرِ؟  
وَأَمَالْنَا، فَلَكَ الْمَحْوَرِ؟  
وَرَحْنَا بِأَصْنَامِهَا نَزْدِرِي ...  
يُقَامُ عَلَى الزُّورِ وَالْمُنْكَرِ؟  
٢٠٠٩  
تَخَلَّدَهَا حَرْمَةُ الْأَعْصَرِ  
لَوْهَةُ مَغْرِبِنَا الْأَكْبَرِ!

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَايا الْجَزَائِر

وَحْمِيَ الْكَرَاسِي ... كِإِعْصَارِ جَنِ  
وَتَدْفَعُ عَشَاقِهَا لِلتَّجْنِي  
وَإِنْ قَلْبُ الْبَعْضِ ظَهَرَ الْمِجَنِ  
وَعَنْ كُنْهِ أَسْرَارِهَا ... لَا تَسْلِنِي!  
فَإِنَّ الزَّمَانَ لِأَفْصَحْ مِنِي!  
فَأَنْعَشْ، كَالْعَارِضِ الْمَرْجَحِنِ  
وَنُغْلِيَ الْمَصَانِعَ فِيهَا وَنَبْنِي

أَحِيَّيِي الْأَلَى آَزْرُوا حَرَبَنَا  
وَمَا بَخْلُوا بِالْدَّمِ الْمَغْرِبِي  
وَكَانُوا مَلَادًا لِأَحْرَارَنَا  
أَلِيسَ امْتَازَجُ دَمَانَا الْغَوَالِي  
أَلِيَسْتَ جَرَاحَاتِنَا الدَّامِيَاتِ  
وَقَالُوا: حُدُودٌ ... فَدُسْنَا الْحُدُودَ  
مَتَى كَانَ بَيْنَ الْأَشْقَاءِ سَدُّ  
وَشَائِجَنَا، رَحِمُ، وَذِمَامُ  
لِتَقْفُ السِّيَاسَةُ خَطْوَ الشُّعُوبِ

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَايا الْجَزَائِر

وَأَفْلَتَ بَعْضُ زِمَامِ التَّأْنِي!  
وَدَنِيَا الْمَطَامِعِ، تُبْدِي الْخَفَافِيَا  
فَهَبَّ رِجَالُ لَضَمَدِ الْجَرَاحِ  
وَتَطْوِي الْحَمَاقَاتِ، طَيِ الْكِتَابِ  
وَخَلَ غَوَامِضَهَا لِلْزَمَانِ  
وَطَالَعُنَا بِالْبَشَائِرِ يُونِيو  
فَقُمْنَا نُشِيدُ اقْتِصَادَ الْبَلَادِ

٢٠٠ إِشارة إلى المعاهدتَين الموقعتَين بين الجزائر وتونس، وبين الجزائر والمغرب بخصوص تصفية مشاكل الحدود، وفتح عهد جديد من التعاون الخصب بين الأشقاء كمرحلة نحو توحيد بلدان المغرب الكبير، وكخطوة واسعة نحو الوحدة الإسلامية الشاملة.

ورُحْنا نُوفِّر لِلْكَادِحِينَ الرَّ  
غِيفَ الشَّرِيفَ، بِعِلْمٍ وَفِنْ  
وَيَزِرُّ فَلَاحْنَا أَرْضَهُ ...  
بِذُوبِ الشَّرَائِينَ لَا بِالْتَّمَنِي!  
وَنَصْنُعُ مِنْ صُلْبٍ وَاقْعُنَا  
مَذَاهِبَنَا ... رَافِضِينَ التَّبَنِي!  
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَة  
تسابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَفِي الْأَرْضِ لِلْزَارِعِينَ خَبَائِيَا  
مُضْمَخَةُ بِدَمَاءِ الضَّحَايَا  
إِذَا بَارَكَ السَّعَيْ صَدْقُ النَّوَايَا  
وَثُورَتُنَا فِي سَبِيلِ الْبَقاءِ  
لَهَا فِي صَمِيمِ التُّرَابِ بَقَائِيَا  
وَأَبْطَالْنَا فِي صِرَاعِ الْمَنَائِيَا  
وَتَأْبَى خُطَانَا ارْتِكَابَ الْخَطَايَا  
وَيَعْضُدُ ثَوْرَتُنَا الإِقْتَنَاعُ  
لَهَا فِي صَمِيمِ التُّرَابِ بَقَائِيَا  
وَيَعْضُدُ ثَوْرَتُنَا الإِقْتَنَاعُ  
إِذَا بَارَكَ السَّعَيْ صَدْقُ النَّوَايَا  
وَثُورَتُنَا فِي سَبِيلِ الْبَقاءِ  
لَهَا فِي صَمِيمِ التُّرَابِ بَقَائِيَا  
وَيَعْضُدُ ثَوْرَتُنَا الإِقْتَنَاعُ  
وَفِي الْأَرْضِ لِلْزَارِعِينَ خَبَائِيَا  
وَفِي عُمْقِهَا تَكْمُنُ الْبَرَكَاتُ  
وَأَبْطَالْنَا فِي سَبِيلِ الْبَقاءِ  
وَتَأْبَى عَقِيدَتُنَا الإِحْتِكَارَ  
وَرَأَيَ الْجَمَاعَةِ فِيمَا نَرَاهُ  
وَقَمَنَا نَوْزِعُ مَا أَوْرَثَ اللَّهُ  
وَرُحْنا نُجَمِّعُ مَا طَيَّرْتُهُ  
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَة  
تسابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

شَرَبَتِ الْعَقِيْدَةَ، حَتَّى الْتَّمَالَهُ  
فَأَسْلَمَتْ وَجْهِي لِرَبِّ الْجَلَالِهِ  
ولَوْلَا الْوَفَاءُ لِإِسْلَامِنَا  
لَمَّا قَرَرَ الشَّعُوبُ يَوْمًا مِنَ الْهَالَهِ  
ولَوْلَا إِسْتِقَامَةُ أَخْلَاقِنَا  
لَمَّا أَخْلَصَ الشَّعُوبُ يَوْمًا نِضَالِهِ  
ولَوْلَا تَحَالُفُ شَعِيبٍ، وَرَبِّ  
<sup>٢٠٦</sup>

إِشارة إلى استعادة الأراضي المغصوبة، والتي اكتسبها الكثير بفضل خياناتهم في العهد الماضي لتوزيعها من جديد في إطار الثورة الزراعية.

<sup>٢٠٧</sup> حرب الأصالحة، ومعركة المستوى، وحرب الضمير، تفسيرات للثورة الثقافية، وربما كانت هذه التعبيرات أوضح وأعمق وأدل على مفهوم الثقافة لما فيها من شمول هادف.

بنور اليقين، ويرسى عداله  
وخان العقيدة، فارقب زواله  
فثورتنا اليوم حرب أصاله<sup>٢٠٨</sup>  
نربى النفوس ونغزو الجهاز  
قواماً ... فترجف منها الضلاله  
أقمنا بوحي الضمير احتفاله

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ  
تسابيحة من حنايا الجزائر

تعاف انحلال النفوس الذليله  
وأحلاسه، والشعور الطويله  
خنافيس هيببي، يشيع الرذيله!  
دللاً، وغنجاً، وذبح فضيله!  
راويل، وهي القصار الطويله  
قُّ، بين جميل وجميله!<sup>٢٠٩</sup> ...  
وأصبح للموبقات وسيلة  
فلم تجد في صرفها أي حيله  
فأين الشهامة؟ أين الرجوله?  
ويذر النفيات ... قد خان جيله!

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ  
تسابيحة من حنايا الجزائر

تسامت مصادر إشعاعنا تدعُم خالص إيماننا

هُوَ الدِّين يغمرُ أرواحنا  
إذا الشعبُ أخلفَ عَهْدَ إِلَهٍ<sup>٢١٠</sup>  
إذا ما انتصرنا بحربِ الخلاص  
نَهَدْنَا لمعركةِ المستوى  
ويصنع إيمانُنا أَمَّةً  
وإن ينصر الشعبُ حَرَبَ الضميرِ

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ  
تسابيحة من حنايا الجزائر

طَبَائِنَا، صَالِحَاتُ جَلِيله  
وتَأْبَى رُجُولَتَنَا الْبَتَذَالَ  
تَخَنَّثَ هَذَا الزَّمَانُ وَدَبَّتَ  
وَنَافَسَ آدُمْ حَوَاءَه  
وَجَرَتْ نَيُولُ الطَّوَاوِيسْ هَذِي السَّـ  
وَلَوْلَا النَّهَوُ، لَمَا كُنْتَ تَفَرَّ  
وَشَاعَ الشَّذْوَذُ، وَذَاعَ الْحَشِيشُ  
وَتَقَرَّفُ آنَافَنَا الْقَادِورَاتَ  
وَأَرْضَ الْجَزَائِرَ أَرْضَ الْفَحُولِ  
وَمَنْ لَمْ يَصُنْ حُرْمَاتَ الْبَلَادِ

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاةِ  
تسابيحة من حنايا الجزائر

<sup>٢٠٨</sup> الضمير في سؤاله يعود على الشعب؛ أي سؤال الشعب يتحققه الله.

<sup>٢٠٩</sup> هل الشرح هنا ضروري؟ هذا وصف لكارثة هي في تفاقم مطرد، وعامة لأغلب البلدان الإسلامية، وقد

يظن البعض أن في هذا الوصف مبالغة، ولكننا نقول إنه دون الواقع الصارخ بكثير!

تنير السَّبِيلَ لِأجيالنا  
ووهرانْ تسمو بِإلهامنا  
أما انفك رمزاً لأجلالنا؟  
فيَسْتَنْجُونَ بأسلافنا!  
أنال قريقوارٌ من بأسنا؟<sup>٢١١</sup>  
وحَطَ القساوسُ من شأننا؟  
يَداه، استهانَ بإصرارنا؟  
تطاعاً الْمَرْوَقَ بِأطفالنا؟  
فقد عاد يهفو لأكبادنا<sup>٢١٤</sup>

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَه كَالصَّلاة  
تسابيحةً من حَنَاءِ الجزائر

من القرويين يفزو المدى  
مبَاركة فتلبي النَّدا  
رسالاته من رسول الهدى

مساجدُ للهُدُي في كل فجْ  
بسرتا ابن باديس لاح سناها  
وجامعُ كتشاوة المستعاد  
يناجيه في النيل أزهRNA  
دبورمون هل دام حقد الصَّليب؟<sup>٢١٠</sup>  
وهل فتَّ فيليب<sup>٢١٢</sup> في عزمنا؟  
وهل نابليونُ ومن وسمته  
وهل لافيجري<sup>٢١٣</sup> وطولُ السَّنِينَ اسـ  
ومَهْما يقيمون فيه احتفالاً

تماوج في فاس رَجُعُ الصَّدَى  
يُساجل زيتونة للسلام  
هُو المَغْرِبُ الأَكْبَرُ المستمد

<sup>٢١٠</sup> تقرَّ تحويلُ جامع كتشاوه إلى كنيسة في الخامس من يوليو سنة ١٨٣٠ م؛ أي يوم الاحتلال نفسه؛ ففي اللحظة التي كان فيها الكونت دبورمون يضع العَلَمَ الفرنسي على مبني العاصمة، وضع بنفسه صليباً كبيراً على رأس جامع كتشاوه كأعلى مبنٍ في العاصمة.

<sup>٢١١</sup> البابا قريقوار الذي بارك هذا التحويل بصفة رسمية.

<sup>٢١٢</sup> الملك لويس فيليب الذي عَيَّن القساوس وأهدي الكنيسة كلَّ ما تحتاج إليه، وأصدر مرسوماً بذلك.  
<sup>٢١٣</sup> نابليون الثالث رئيس فرنسا الذي زارها مرتين وأصدر بمناسبة توسيعها ميدالية استثنائية تشجيعاً منه على توسيعها، وعَيَّن بنفسه الكريديتال لافيجري كأسقفها الأول، وهو من أشهر أساقفتها. وهو المشهور بتنظيم حملات التبشير، وبقي فيها ١٥ سنة، وقد كان استقلَّ مجاعة سنة ١٨٦٦ م واستعنان بها على تنصير أطفال المسلمين اليتامي في الجزائر، ولكن مساعيه ذهبت سدى؛ حيث إنَّ أغلبهم رجعوا إلى الإسلام بعد أن بلغوا الرشد كما ذكر ذلك غوستاف لوبون في كتابه: حضارة العرب.

<sup>٢١٤</sup> وقع فيه احتفال سنة ١٩٣٠ م بمرور قرن على استعمار الجزائر، وفي سنة ١٩٦٢ م أعيد إلى أصله، مسجداً جامعاً.

إلى وحدة المسلمين غداً<sup>٢١٥</sup>  
وهل يُنكر الخبرُ المبتدأ؟  
مثلاً قويمًا، به يُقتدى!  
سواء السَّبيل، مَدَدنا اليَدَا  
ونحن الألَى أخلصوا للفدا  
ر، يسترهبون الردي بالردي!  
ويستبدلون بالشعارات الفعَّالَة، فاستوجبوا العَزَّ والسؤُدَاداً<sup>٢١٦</sup>

شَفَّلَنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرٍ نُرْتَلَه كَالصَّلَة

تسابيحةً من حَنَايا الجَزَائِر

ذكرنا بها الأعصرَ الْذَّهْبِيَّه  
وتلهم روادها العبقريَّه  
بوحي خميلاتها السُّنْدُسِيَّه  
محمدٌ<sup>٢١٨</sup> مَن شَرَفَ العَرَبِيَّه  
فتُخَجِّلُ منها الورودُ النَّدِيَّه  
وواصلَ حمدانٌ<sup>٢٢٠</sup> صُنْعَ الْبَقِيَّه  
لعاشور<sup>٢٢١</sup> في هجوه للبرِّيَّه

ذكرنا بسرتا نفوساً أبَيَّه  
معاهدَ، تزخرُ عِلْمًا وفضلاً  
يَصُوغُ ابنُ فَكُونِ<sup>٢١٧</sup> فيها الشَّوَادِي  
وتزهو قَسْنطينية بابنها  
قوافيه تسرى بأنفاسِ سرتا  
وخلَد سرتا الْبَجاوِي<sup>٢١٩</sup> الضَّلِيلُ  
كَانَ الْحَطِيَّهَ عاشَ مَدِينَا

<sup>٢١٥</sup> إشارة إلى ما نادت به موريتانيا، والمغرب، والجزائر، وتونس، من أن توثيق علاقاتها اليوم هي لبناء في بناء المغرب الكبير الذي سيكون هو نفسه خطوة هامة نحو تحقيق الوحدة الشاملة.

<sup>٢١٦</sup> خلافاً للخطأ الشائع تدخل الباء على الشيء المتروك، فالشرُّ مثلًا في الجملة الآتية: «محمد استبدل بالشر خيرًا» هو المتروك.

<sup>٢١٧</sup> ابن الفكون الشاعر الجزائري المبدع الذي أنجبه مدينة قسنطينة.

<sup>٢١٨</sup> محمد القسنطيني الشاعر المشهور.

<sup>٢١٩</sup> الشيخ عبد القادر الْبَجاوِي العلامة القسنطيني الذي تخَرَّج عنه أجيال.

<sup>٢٢٠</sup> الشيخ حمدان بن الونيسي العالم القسنطيني الضليل، وهو أستاذ الإمام ابن باديس.

<sup>٢٢١</sup> الشيخ عاشور حطيئة زمانه في الهجاء، وقد هجا جُلَ علماء زمانه وشهرَ باحرافاتهم.

لصالح باي الشهيد **الضَّحِيَّة**  
هُداؤاً إلى القيم السَّلْفِيَّة  
وجاء ابنُ باديس، يغزو الظُّلَام  
**شَفَّلَنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى**  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَه كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حنايا الجزائر

أَصَالَةُ هَذِي الْبَلَادِ الْكَرِيمَةِ  
تَحِيَّيِ أَبَا حَمْزَةَ<sup>٢٢٢</sup> فِي بَنِيهَا  
وَتُكَبِّرُ عَالَمَهَا الْأَخْضَرِيِّ  
وَعَالَمَ بُونَةَ مِرْوَانَ<sup>٢٢٥</sup> مَهْمَا  
عِبَاقِرُ أَرْضِ الْجَزَائِرِ كُوْنُ  
وَفِي الشَّرْقِ، يَبْهَرُنَا عَبْدُهُ<sup>٢٢٦</sup>

<sup>٢٢٢</sup> نادي صالح باي بقسنطينة أسسه في العشر الأوائل من القرن جماعة من العلماء دعاة الإصلاح، وفيه يقول أحد الشعراء آنذاك: من قصید طويل:

واذكر محاسن مشروع لنا هادي	قف بالربوع على أطلالها ناد
فازت وتأهت بناديها وبالوادي	واقرأ السلام على ربِّ حوى شرقاً
تفدى بمحاجتنا يا نهلة الصادي	عهد التقدم والعرفان حسبك أن
في غمرة الجهل والتضليل يا نادي	يا نادي العلم، إن القوم ما برحوا
إن الجزائر ما زالت مكبلة	إن الجليل، ترسُفُ في أغلال أنكاد

إلى آخره.

<sup>٢٢٣</sup> أبو حمزة الجزائري عالم الرياضيات والمثلثات من علماء القرن الثالث عشر هجري، راجع ترجمته في كتاب «الأعلام» للشيخ خير الدين الزركلي، وكتب فدوى طوقان، وكتبه استعملت في أوروبا الحديثة.

<sup>٢٢٤</sup> الأخضرى عالم جزائري في الفلك والرياضيات، وكانت كتبه تدرس في جامعة بوردو في فرنسا.

<sup>٢٢٥</sup> أبو مروان عالم بونة (عنابة) اختصاصي في الرياضيات والنجوم.

<sup>٢٢٦</sup> الشيخ محمد عبده من رواد النهضة الإسلامية الجديدة.

<sup>٢٢٧</sup> رشيد رضا تلميذه وناشر تعاليمه، وهو صاحب تفسير المنار.

فُتْلَهْبُ فِي الثَّائِرِينَ الْعَزِيمَةِ  
وَشَامِلٌ<sup>٢٢٠</sup> وَالرُّوسُ تَلَقَى الْهَزِيمَةِ  
وَفَتْكُ سَلِيمَانَ<sup>٢٢٢</sup> يَمْحُو الْجَرِيمَةِ  
فَتَرْجَفُ مِنْهُ النَّفْوُسُ السَّقِيمَه  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرِ نُرَتَّلَهُ كَالصَّلَاهِ  
تسَابِيَّهُ مِنْ حَنَايَا الْجَزَائِرِ

وَمَنْ عَاشَ بِالْفَكِيرِ يَصْنَعُ أَمَهَهِ  
وَصَانَ لِتَيْلِ الرِّسَالَاتِ حُرْمَهِ  
وَيَفْرِي الظَّلَامَ، وَيُلَهِبُ هِمَهِ  
فَأَخْلَصَ لِلْحَرْفِ عَهْدًا وَذِمَهِ  
وَصَانَ عَنِ الْجَدَلِياتِ عِلْمَهِ  
فَهِيهَاتٍ يَصْدَعُ شَمَلاً وَلُحْمَهِ  
وَيُنْصَبُ فَوقَ الْمُغَيْرِينَ نِقْمَهِ

طُفَيْشُ سُقِيَّاك ... قُطْبٌ<sup>٢٢٤</sup> الْأَيْمَهِ  
وَمَنْ شَقَّ بِالْعِلْمِ دَرْبَ الْحَيَاةِ  
وَمَنْ قَطَعَ الْعُمَرَ يَغْزُو الْكِتَابَ  
وَدَانَ لِهِ الْحَرْفُ بِالْخَالَدَاتِ  
وَأَنْصَفَ مَنْ حَالَفُوهُ اجْتِهَادًا  
وَمَهْمَهَا تَوْزُعُ فِي الرَّأْيِ فَكُرْ  
وَكَمْ قَامَ يَعْصُفُ بِالظَّالِمِينَ

<sup>٢٢٨</sup> جمال الدين الأفغاني من رواد الانطلاقة التحررية في الإسلام.

<sup>٢٢٩</sup> تورى السموري من المجاهدين الأبطال، ومن أقطاب الفكر الإسلامي في غينيا.

<sup>٢٣٠</sup> الشيخ شامل الدغستاني حارب الروس أربعين سنة، راجع تعليقات الأمير شكيب أرسلان، في حاضر العالم الإسلامي، وراجع كتاب «تحفة الزائر» عن الأمير عبد القادر الذي كان يراسله.

<sup>٢٣١</sup> المجاهد الشهيد عمر المختار أعدم قذفًا من طائرة في سماء ليبيا.

<sup>٢٣٢</sup> المجاهد الأول سليمان الباروني الذي شنَّ أول حرب على جيش الاحتلال الإيطالي في ليبيا.

<sup>٢٣٣</sup> الأمير شكيب أرسلان أُعْرِفُ مِنْ أَنْ يُعرَفُ.

<sup>٢٣٤</sup> قطب الأئمة لقب شائع للشيخ طفيش محمد بن يوسف العالم الجزائري الإمام من مواليد قريةبني يزقن بواحات وادي ميزاب، وقد بلغت مؤلفاته زهاء ثلاثة كتب، منها ما طبع وأغلبها لا يزال مخطوطًا، وقد أَلْفَ في شتى العلوم من شريعة وفقه و تاريخ و جغرافيا و طبيعة و فلك، و مواقفه المشترفة في الثورة على الاحتلال فرنسا لوادي مزاب معروفة، كما أن صلاته برواد النهضة في الشرق متواترة، أمثال الشيخ محمد عبده، و جمال الدين الأفغاني، و عبد الرحمن الكواكبي، وغيرهم، وهو عالم متفتح على القضايا العربية والإسلامية، وأحد روادها الخالدين.

فَلَمْ تَثْنِهِ ظَلْمَاتُ السَّجْوَنِ  
وَيَدْعُونَ لِكُلِّ احتِلَالٍ ثُبُورًا  
سَلَوا قَادَةَ الشَّرْقِ عَنْ صُدُّهِ  
شَغَلُنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ  
تسَابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

أَمَانًا، مِنَ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ  
غَزَا الْمَذْهَبِيُونَ عَقْلَ الشَّيَابِ  
وَزَاغُوا بِهِمْ، دُونَ إِسْلَامِهِمْ  
وَدَسُّوا شِيَوْعِيَّةَ كَالْوَبَاءِ  
وَقَالُوا: التَّقدُّمُ شَرُّ الْحَيَاةِ!  
وَقَالُوا: الرَّجُوعُ إِلَى الدِّينِ رَجْعِي  
فَضْلَ الشَّيَابُ الْبَرِيءُ انْخَدَاعًا  
وَلَجَّ مَعَ الْأَرْذَلِيْنَ انْحِرَافًا  
وَبَثَّ أَسَاطِيْذَهُ فِي الشَّيَابِ  
وَقَيْلَ دَكَاتِرَةَ عَالَمَوْنَ

شَغَلُنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ  
تسَابِيقَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

تَفَسَّخَ هَذَا الشَّيَابُ وَمَاعَاهُ<sup>٢٣٥</sup> وَخَرَبَ أَخْلَاقَهُ وَتَدَاعَى

<sup>٢٣٥</sup> إشارة إلى ما يقوم به بعض الأساتذة المتعاونين من محاولات إغراء الشباب والتأثير فيه وتضليله بأيديولوجيات مستوردة «أقل ما يقال فيها أنها لم تقدر حتى أهلها»؛ حيث لم تأتِ لهم بالجنة الأرضية المنتظرة؛ بل بالعكس!

وهم يقومون بذلك بالحفلات في بيوتهم، حفلات الخمر والرقص ... إلخ، والتعقيد للشباب، وهذا سمعنا عن وقوعه في بلدان إسلامية أخرى، خاصة منها بلدان المغرب الكبير.

<sup>٢٣٦</sup> هنا أيضًا قد يطعن البعض أن في هذا مبالغة، والحق أنه دون الحقيقة؛ أي أن الواقع أفالجع مما يصوره الأستاذ مفدي، وحتى إذا كان الأمر لم يصل هذه الدرجة، أو بالأصح الدركة، فالحكمة في معالجة المرض

إذا دَنَسَ النَّشْءُ هَذِي الطَّبَاعَا  
بِلِيدٍ أَضَاعَ الضَّمِيرَ فَضَاعَا!  
إِذَا اسْتَخَلَفَ الشَّعْبُ فِيهَا الضَّبَاعَا؟  
وَتَقْوِيمُ أَخْلَاقِهِ، مَا اسْتَطَاعَا؟  
وَقَدْ سَاوَمُوهُ عَلَيْهَا فَبَاعَا؟  
وَقَدْ طَمَسَ الرَّجْسَ فِيهِ الشَّعَاعَا؟  
وَفِي قَلْبِهِ مَرْضُ السُّلِّ شَاعَا؟  
وَمَا اسْطَاعَ فِي أَصْغِرِيهِ الْمُرْعَا؟  
فَإِنْ تُهَمِّلُوهُ ... الْوَدَاعُ ... الْوَدَاعَا!

شَغَلُنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِهُ كَالصَّلاة  
تسابيحةً من حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَشَاءَ تَنْكِرُهُمْ لِالسَّجَایَا  
وَهَتْكُ العَفَافِ، وَنَشْرُ الْخَطَايَا  
وَحَمْلُ الْقَلَائِدِ، مثْل الصَّبَایَا  
وَفِي الْكَاسِ تَرْسُبُ كُلُّ الْبَلَایَا  
وَلَا يَحْفِلُونَ بِرُکْبِ الْمَنَایَا  
تَطْيِيرُ الْأَصَالَةِ فِيهِ شَظَايَا  
يَصُوغُ مَبَانِيهِ خَبْثُ النَّوَايَا  
تُذَبِّيْ المَيْوَعَةُ فِيهِ الْخَلَايَا

فَوَيْلُ الْجَزَائِرِ وَالْمُسَلِّمِينَ  
وَكَيْفَ يَسُوسُ الْبَلَادَ غَبَّيِّ  
وَمَنْ يَطْمَئِنَ لِأَقْدَارِ شَعِّبِ  
وَكَيْفَ يَقُولُ بُنْيَانَهُ  
وَكَيْفَ يَصُونُ الْأَصَالَةَ نَشْءُ  
وَكَيْفَ يُنِيرُ الطَّرِيقَ شَبَابُ  
وَكَيْفَ يَدَاوِي الْمَرِيضُ صَحِحًا  
وَكَيْفَ يُصَارِعُ مَوْجَ الْحَيَاةِ  
هُوَ الْخَطَرُ الْجَارُ الْمُسْتَطِيرُ

شَغَلُنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

وَمَسْتَهَرُونَ، أَضَاعُوا الثَّنَایَا  
وَقَالُوا: التَّقْدُمُ خَلْعُ الْعِذَارِ  
وَجَدْلُ الشُّعُورِ، وَلِبْسُ الْحُلَّى  
وَيَفْتَخِرونَ بِشُرُبِ الْخَمُورِ  
فَهُمْ يَرْقُصُونَ كَطِيرٍ ذَبِيجٍ  
وَقَالُوا: التَّقْدُمُ، شِعْرٌ لَقَيْطٍ  
تَفَاعِيلَهُ كَضَمِيرِ الْيَهُودِ<sup>٢٣٧</sup>  
وَقَدْ أَصْبَحَ الشُّعُورُ، كَالْجِيلِ، خَنْثِي

قبل استفحاله. وبعض الألان هم الذين كانوا يقولون عند بداية النازية «هذار من البداية»، وكان آخرون يستخفون بخطر النازية، ويرون في هذا الشعار مبالغة حتى صدقت تنبؤات المخذلين، ووقع ما وقع.

<sup>٢٣٧</sup> تعبيّ للشاعر صالح جودت في قصيدة طويلة يقول في جملة ما يقول عن هذا النوع من الشعر:

تفاعلية كضمير اليهود بُياعٌ ويشريٌ ويستأجر

وَصَهْيَنْ صَهْيُونْ أَخْلَاقَنَا<sup>٢٢٨</sup>  
 وَهَلْ يُحْزِنُ الْعِتْقُ مُسْتَعِمِّراً  
 شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأَنَا الدُّنَى  
 بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَة  
 تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِر

بُنَاءَ الْجَزَائِرِ صُونُوا الشَّبَابَا  
 وَلَا تَأْمُنُوا فِي الشَّبَابِ الذَّئَبَا  
 فَقَدْ أَصْبَحَ الْعِقْلُ فِيهِمْ يَبْابَا  
 فَكِمْ شَوَّهَ الْمَسْخُ فِيهِمْ عَقْلًا  
 وَحَرَّفَ مَنْ زَاغَ إِسْلَامُهُمْ<sup>٢٣٩</sup>  
 وَأَصْبَحَ تَفْكِيرُهُمْ قُرْمِزِيًّا  
 وَتَفَشُّو حَمَاقَاتُ كَوَهِينَ بَانِدَتْ  
 وَتَنْعِقُ أَبْوَاقُ ... مَارْكِسَ فِيهِمْ  
 فَوَيْلٌ لِطَلَابِ مِنْ شِيُوخِ  
 وَمَرْتَزِقِينَ بِأَفْكَارِهِمْ  
 وَلَا زَالَ فِينَا ... لِمَسْتَعِمِرِينَا  
 شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأَنَا الدُّنَى  
 بِشِعْرٍ نُرْتَلِه كَالصَّلَة  
 تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِر

٢٢٨ صَهْيَنْ انشقاق جديد من كلمة صهيونية على غرار عَقْلَنَ من العقلانية.

٢٢٩ القرمزى، اللون الأحمر الداكن؛ أي الشيوعى.

٢٤٠ كوهين باندت الذى جاء فرنسا وأحدث اضطراباً، وتسبّب في سقوط ديغول، وتعزّز هذه الحماقة بثورة ٢٢ مايو ١٩٦٨ م.<sup>٢٤١</sup>

إذا كان الغراب دليل قومٍ يمْرُّ بهم على جيف الكلبِ

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا﴾ الآية.<sup>٢٤٢</sup>

فأبدَلَ فِيهِ الْيَقِينَ بِشَكٍ!  
وَيَغْبَثُ بَيْنَ عَفَافٍ، وَهَتْكِ!  
وَإِنْ حَضَّهُ الصَّحْقُ جَاءَ بِإِفْكٍ!  
وَإِنْ خَافَ عُقْبَاهُ، قَامَ يُزْكِيٌ!  
وَإِنْ حَسَّ بِالْكَسِبِ ... الشَّمْوَعَ يَذْكِيٌ!  
وَيُذْكِي غُرُورَ الشَّبَابِ، وَيَحْكِيٌ!  
يَجُزُ الرَّءُوفَ - احْتِرَافًا - وَيَبْكِيٌ!  
وَيُغْمِضُ مَشَيَ النَّمِيمَ بِضَحْكٍ!  
الْأَذَّ بِإِيمَانِهِ، أَمْ بِشَرِكٍ!  
فَوَيْلَ الْجَزَائِرِ، مِنْ كِيدِ حَرْكِيٍ!

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَةِ  
تسابِيقُهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَبِالْجَهْلِ يَحْتَكِرُونَ الْتَّقَافَةَ  
وَيَنْتِصُونَ الْحَجَى وَالْحَصَافَةَ  
وَيَمْتَهِنُونَ جَلَالَ الصَّحَافَةِ  
بِدُونِ حَيَاءَ، وَدُونَ نَظَافَةٍ  
وَتَخْتَالُ فِي مَشِيهَا كَالزَّرَافَةِ  
فَمَا أَثْبَتَ الْعَقْلُ قَالَتِ خِلَافَةُ

كَمْ اندَسَ بَيْنَ الْمَثَقَفِ حَرْكِي١٤٣  
يُسَبِّحُ يَوْمًا وَيَكْفُرُ عَشْرًا  
يُجَادِلُ فِي الْحَقِّ بِالشُّبُهَاتِ  
وَيَطْعَنُ فِي وَثَبَةِ الْتَّائِرِيْنِ  
وَيَرْتَابُ فِي الْمَذَهَبِ الْمَرْتَضِي٢٤٤  
يُشَيْعُ الْمَرْوَقَ بِدُنْيَا الشَّبَابِ  
كَجَّارٍ قَرِيَّتَنَا، لَمْ يَرْلِ  
وَيُمْعِنُ فِي الدَّسِّ، سِرًا وَجَهْرًا  
سَوَاءُ لَدِيهِ، إِذَا بَانَ مَالُ  
هُمُو فِي الْبَلَادِ، شَهَادَةُ زُورِ

وَعَضُّهُمْ: أَغْرِبُوا فِي السَّخَافَةِ  
فِي نَتِقِدونَ، وَيَحْتَقِرُونَ  
وَيَنْتَحِلُونَ أَعْزَ الْكُنَىِ  
وَيَخْتَلِسُونَ جَهُودَ سَوَاهِمِ  
غَرَابِبُ سُودُ، تُجِيدُ النَّعِيقَ  
وَتَسْتَأْلِمُ النَّاسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ

١٤٣ كلمة الحركي: اصطلاح على الطابور العميل الذي اصطنعه السُّلْطُ الاستعمارية لضرب الثورة من خلف بيد المرتزقة من أبناء البلد، وقد كثُر هذا النوع بعد الاستقلال، والأئمَّةُ من ذلك أنه اندَسَ بين المثقفين المستعمرَة ضمائِرُهُمْ وأفكارِهِمْ، واستغلَّ بعضُهم حسَنَ نوايا الأحرار، ولكن إلى حين؛ فالباطل له ساعة، والحق إلى الساعة.

١٤٤ المذهب الاشتراكي المستمدُ من منهجه من صميم الاشتراكية الإسلامية وواقع الجزائر خلاًفاً لمن يدعوه إلى أيديولوجيات مستورَدة لا تنسمجم وأصالتنا ذاتيتنا، وتتناقضُ وخصائصنا، وتشكل خطراً على سيادتنا واستقلالنا، ونُعيَّد فنكرُ أنها لم تُقدِّ حتى أهلها الذين يمارسونها منذ عشرات وعشرات السنين.

رَمْتُهُ، وَقَالَتْ: حَدِيثُ خِرَافَهُ  
فَيُعْتَبِرُونَ الْأَصَالَةَ: أَفَهُ  
فَتُغْرِيهِمُوا بِأَدْعَاءِ الْخَلَافَهُ  
٢٤٥ فِيَ الْمَصِيَّبَتِنَا فِي التَّقَافَهُ!

شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَاهُ  
تَسَابِيَّهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَمُسْتَشْرِقُونَ، أَشَاعُوا الضَّلاَلاَ  
وَشَدُّوا إِلَى مُلْتَقَانَا الرِّحَالَ  
تَخْذِنَاهُمُو قَدوَهُ وَمِثَالًا  
وَلَمْ يُنْكِرُ الْعِلْمُ فِيهِمْ خَصَالًا  
وَأَلْقَى الصَّلَيبُ عَلَيْهِمْ ظَلَالًا  
وَكَانُوا مَخَاضَ الْلِيَالِيِّ الْحُبَالِيِّ  
٢٤٦ وَقَلَنَا لَهُمْ لَا نَهَابَ الْجَدَالَ  
نَفُوسُ الرِّجَالِ تُجْلُّ الرِّجَالَ  
نِبْذِنَاهُمُو، وَسَحَبَنَا السُّؤَالَاَ  
وَنَبْلَغَ - بِالْعَدْلِ فِيهِ - الْكَمَالَا

وَمَا قَرَرَ الْعِلْمُ وَالضَّالِّعُونَ  
وَيَفْشُو الْفَرَاغُ، بِهِمْ وَالضَّيَاءُ  
وَتَقْرَعُ فِيهِمْ رِيَاحُ الطَّبُولِ  
قَرَامِطَهُ كَالْحِجَارَهُ غُلْفُ  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَاهُ  
تَسَابِيَّهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَمُسْتَشْرِقُونَ، أَحْبَبُوا الْجَلَالَ  
فَمِنْ أَنْصَافُونَا وَقَالُوا صَوَابًا  
وَلَمْ يَنْقُصُوا قَدْرًا أَمْجَادُنَا  
وَأَكْبَرَ إِنْصَافُهُمْ شَعْبُنَا  
وَمَنْ أَبْسُوا الْحَقَّ حَقًّا دَفِينَا  
وَكَانُوا طَوَابِيرَ مُسْتَعْمِرِنَا  
دَعَوْنَاهُمُو لِلْجَدَالِ النَّزِيَهِ  
فَإِنْ أَنْصَفُوا الْعِلْمَ وَالْحَقَّ قَلَنَا:  
وَإِنْ طَمَسَ الْحَقُّ أَبْصَارَهُمْ  
وَبِالْدَمِ نَكْتُبُ تَارِيخَنَا

٢٤٥ سواء منهم «يتامي الثقافة» الذين حرموا أنفسهم أو حُرموا من ثقافتهم الأصلية ويدّعون – كشأن صاحب الجهل المركب – أنها لا شيء، أو أولئك المعقدون من أصل تعليمهم عربي إسلامي، ولكنهم تعقدوا، ونسمعهم يتكلمون عن تقدمية عوجاء هي عندهم عقيدة أكثر منها عقيدة، ويلوكون بعض الشعارات الجوفاء التي لا يذكرون مغزاها العميق، ولو درسوا في بعض الجامعات الشعبية في بلدان أوروبية شرقية – وهي جامعات مخصصة لأنباء العالم الثالث – قلبا لهم هناك أدمغتهم، وأرجووهن إلينا ممسوخين ليمسخوا آخرين معهم هنا ... خاصة من درسوا في بعض بلدان الشرق العربي المiskin! كفى عبّاً! أفقنا؟

٢٤٦ دار نقاش حاذٌ أحياناً أثناء الملتقى السادس للتعريف على الفكر الإسلامي عن دور المستشرقين، وكان ذلك بحضور كثير منهم، فليرجع إليه في كتاب الملتقى، خاصة إلى تعليق السيد مولود قاسم على الموضوع إثر محاضرة الدكتور عبد الله العروبي.

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُه كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَايا الْجَزَائِر

فلم تُجِد فِينَا الْمَسَاعِي الْحَمِيدَه<sup>٢٤٧</sup>  
وَلَا الْبَذَل يَخْفِي الشَّرُور الْمَبِيدَه  
وَمِن خَلْفِهَا، عَزَمَاتُ وَطِيدَه  
وَثُهْتَكَ فِي أَصْفَرِيهِ الْعَقِيدَه  
فَتَصْبَحُ بِالْوَضْعِ غَيْر مَفِيدَه  
تَجَارِب لِلزَّيْغِ، كَانَتْ بَلِيدَه!  
وَنَظَرْتُنَا فِيهِ ظَلَّتْ بَعِيدَه  
فَقَدْ أَصْبَحُوا كَالْقَرُودِ الْطَّرِيدَه  
فِي خَطَوَاتٍ إِلَى الْمَوْتِ مَرِيدَه  
بِإِسْلَامِنَا، وَالْمَبَادِئِ الرَّشِيدَه  
وَأَحْرَى أَنْ نَبْشِرَ فِيكُم

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُه كَالصَّلَاة  
تسابيحةً من حَنَايا الْجَزَائِر

وَقَالَ: مَثْقَفَهُ حَاضِرَه  
وَذَاكَ ... وَتَبَعَثُ عن حَسِنِ نَيَه  
وَتَسْتَعْرُضُ الْمَغْرِيَاتِ الْخَفِيَه  
وَتَذَهَبُ لِلْسَّهْرِ النَّرْجِسِيَه  
وَذَلِكَ مِنْ نِعَمِ الْمَدْنِيَه  
كَفَى أَنْهَ مِنْ بَنِي الْبَشَرِيَه  
وَبَعْضُ تَزَوُّجِ الْأَجْنَبِيَه  
تُرَاقِصَنِي وَتُرَاقِصَ هَذَا  
وَتَخْتَالُ بِالْمَيْنِي جَوبَ دَلَالَاً  
وَتَرْكِيَنِي ... لَا جَنَاحَ عَلَيْها  
وَتَقْضِي الْلَّيَالِي خَارِجَ بِيَتِي  
وَإِنْ وَلَدْتُ ... لَسْتُ أَدْرِي لِمَنْ؟

٢٤٧ هنا أيضًا يطول الشرح؛ فالأخسن الرجوع إلى كتاب الملنقي السادس؛ حيث إن الجزء الأخير من هذه الإليانة صدَّى صادقًا لجو الملنقي، وكان الجزء الأول موضوعاً قبل انعقاده مباشرةً ومن أجله، كما سيعرض هذا الموضوع أكثر في الملنقي السابع الذي سيُنشر في كتاب كما هو شأن الملنقي الرابع، والخامس، والسادس.

أنا ديه صالح عند الصَّبَاح  
وأدعوه موريس عند العشِيَّه  
فأحس بيكو من البكويه!<sup>٢٤٨</sup>  
فأهوى العُروبة والعربِيَّه!  
فتغدو أنا ... ثم أصبح هيه!  
شَغَلْنَا الورى، ومَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاهِ  
تسابيحةً من حَنَاءِ الجزائر

من الْخَلْدِ، مذ لعنته السَّمَا  
وبالعلج أبدلت المسلاما<sup>٢٤٩</sup>  
فهاهتم بمَن ... «ما رَمَى إِذْ رَمَى!»  
وتلعن فيها الدماء الدما ...  
على جَذِيعِ نخلتها مَريما  
تعيش الرجال به كالدُّمَى!  
ويُخْمِي البريء به المجرما!  
فأبناءُ صُلْبِك ملءُ الْحِمَى ...!  
نزولك في أرضنا بعدما  
أقيموا على شعبِكم مائما ...!

شَغَلْنَا الورى، ومَلَأْنَا الدُّنَا  
بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَاهِ  
تسابيحةً من حَنَاءِ الجزائر

<sup>٢٤٨</sup> البيكو لفظة فرنسيّة تُستعمل في شتم المسلمين واحتقارهم، وخاصة أهل شمال أفريقيا، أما البكوية فهي لفظة تشريف في مصر، وصاحبها يُسمى «بك» وتُنطق اللفظة «بيه».

<sup>٢٤٩</sup> الباء تدخل على المتروك، ولكن الشاعر سار هنا على الخطأ الشائع بقصد، لضرورة الوزن، وقصده طبعاً أن المسلم هنا هو المتروك ليحل محله العلاج، والعلاج هو غير المسلم في العهد المسمى بالتركي في الجزائر، والمسلم حديثاً لأغراض معينة، وذلك في نفس العهد المذكور، ويقصد الشاعر هنا العصر الحاضر الذي بدأت تفشوا فيه عادة تزوج المسلمات بغير مسلمين، أو من يُسلِّمون «لأمرأة ينكحها، أو تجارة...» كما يقول الحديث الشريف عن الهجرة!

يُذَلِّن بالعَارِ بَيْنَ الْقَبِيلَةِ  
يُثْرِن فَضْولَ النَّفْوِسِ الدَّخِيلَةِ  
كَخَابطٍ لِلَّيلِ أَضَاعَ دَلِيلَهُ  
يَهْمَنْ كَسْكَرَانَ ضَلَّ سَبِيلَهُ  
قِيَامَةً قَامَتْ لِوَادِ الْفَضِيلَةِ  
كَأَحْلَامَهُنَّ<sup>٢٥٢</sup> الْقِصَارُ الطَّوِيلَةِ  
مُرْنَحَةُ، خَاسِئَاتُ، كَلِيلَهُ  
بَوَاسِرُ، مُمْتَقَعَاتُ، عَلِيلَهُ<sup>٢٥٣</sup>  
فَكُلُّ الْقِطَاعَاتِ يَكْفِي بَدِيلَهُ  
فَلِمَ لَا تَجْفُ الْطِبَاعُ الْأَصِيلَهُ!  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاةِ  
تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَمَنْ شَرَفَتْ جَنَسَهَا وَرَجَالَهُ  
كَمَا صُنْتَ عَرْضَكَ بَيْنَ الْحَالَةِ  
فِجْنَبِكِ الْعُقْلُ سُبْلَ الْضَّلَالَةِ  
جَمَالَ الْحَيَاةِ، فَصُنْتَ جَلَالَهُ  
فَعِفْتَ حَقَارَتَهُ وَابْتَدَالَهُ  
فَشَرَفَتِ ثُورَتَهُ وَنَضَالَهُ<sup>٢٥٤</sup>  
مَثَالًا فَرِيدًا، عَدِمْنَا مَثَالَهُ

وَمِنْهُنَّ كَالْعَنْزُ<sup>٢٥٠</sup> بَادِي الرَّذِيلَهُ  
يُشَمِّرُنَ ذِيلًا عَنِ الْعُورَاتِ  
وَيَسْلُكُنَ غَيْرَ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ  
وَفَوْقَ الطَّرِيقِ، وَتَحْتَ الطَّرِيقِ<sup>٢٥١</sup>  
خَنَافِسُ، يَكْشَفُنَ سَاقًا كَأَنَّ الْ  
جَلَابِيبُهُنَّ الْقِصَارُ الطَّوَالُ  
بَصَائِرُهُنَّ كَأَبْصَارَهُنَّ  
وَأَخْلَاقُهُنَّ، كَوْجُوهُهُنَّ  
وَأَجْسَادُهُنَّ قِطَاعٌ غَيْرَ  
إِذَا جَفَّ مَاءُ الْحَيَاةِ بَأْنَشَى

وَحَاشَاكِ، حَاشَاكِ بَنْتَ الْأَصَالَهُ  
وَصَانَ شَبَابَكِ بَنْتَ الْحَلَالِ  
سَلَكَتِ الطَّرِيقَ الْقَوِيمَ الْمُبَيِّنَ  
وَأَضْفَى عَلَيْكِ جَلَالُ الْحَيَاةِ  
وَهَالَكِ مِنْ جِنْسِكِ الْابْتِدَالِ  
وَنَادَاكِ شَعْبُكِ يَوْمَ الْتَنَادِيِّ  
وَكُنْتِ لِحَوَاءَ فِي الْخَالِدَاتِ

<sup>٢٥٠</sup> تشبيه المستهترات بالمعز يمشي كاشفاً سوانه (يدلل بالسلعة).

<sup>٢٥١</sup> من عادة المُعْرَفِ أن لا يسير في طريق مستقيم، فإما فوق الطريق، وإما تحت الطريق، فالتحتية والفوقيّة تلازمان المَعْرَفِ، كما تلازمان قليلات الحياة.

<sup>٢٥٢</sup> الأحلام: ما يراه النائم، وتُطلق على المدارك والعقول (أضغاث أحلام).

<sup>٢٥٣</sup> من السهر في علب الليل، والمارقص ... إلخ، في شرب الخمر وغيره، أما أخلاقهن فمن الذوبان، والأمساخ والتخلق بغير أخلاق قومهن.

<sup>٢٥٤</sup> مثل لala فاطمة نسومر، وحسيبة بن بوعلي، ومملكة قائد ... إلخ.

فَمِثْلُكِ مَنْ يَصْنَعُ الْجَيْلَ شَهِمًا  
وَيَزْرُعُ مِلَأَ يَمَاهٌ اعْتِدَادًا  
إِذَا الْجَيْلُ قَطَّعَ أَسْبَابَهِ  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَاةِ  
تسَابِيهِ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

٢٠٠  
فَلَادَ - عَلَى حَبِّهِ - بِالنَّفْوِ  
وَرِيتَا عَلَى زَينِبِ الْزَّهْوَرِ  
وَأَفْلَتَ مِنْ ظَلَمَاتِ الْقُبُوزِ  
تُبَاعُ وَتُشْرِى ... فَتُقْضَى الْأَمْوَرُ!  
فَإِنْ غَاضَ مِنْهَا الْحَلِيبُ تَبُورُ  
بِأَحْضَانِ مَنْ نَفَضَتِهِ الْدُّهُوْرُ  
وَإِنْ أَفْلَتَتْ بَلَاغَتِهَا الشُّرُورُ  
بِمَارِي وَلَعْنَتِهِ تَيُودُورُ  
إِذَا لَمْ تُحَطِّمْ غَلَاءَ الْمَهْوَرُ  
عَلَى رِجْسِ عَادَاتِهِ لَا يَتُورُ!

شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَاةِ  
تسَابِيهِ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

شَبَابُ أَصِيلُ، وَفِيُ الْذَّمَامُ  
فَأَعْرَضَ عَنْ شُبُهَاتِ الطَّفَّافِ  
وَفَلَسَفَةِ الدِّينِ، رُوحُ النِّظامِ  
وَأَجَدَادِهِ الْخَالِدِينَ الْعِظَامِ

وَأَجَلَى الشَّبَابَ غَلَاءَ الْمَهْوَرِ  
وَفَضَّلَ مَارِي عَلَى مَرِيمِ  
وَطَارَ مَعَ الرِّيحِ مِنْ وَكَرِهِ  
كَأَنَّ الْبَنَاتَ، بِضَاعَةً سُوقِ  
وَتُحَلَّبُ فِي الْحَيِّ كَالبَقَرَاتِ  
وَبِالْمَالِ تُقَدَّفُ طُوعًا وَكَرَهًا  
وَتُقْضَى مَعَ الثُّوْرِ عَمْرَ التَّكَالِيِّ  
وَعَلَالَ عَادَ إِلَى وَكَرِهِ  
فَوَيْلُ الْجَزَائِرِ، جِيلًا فَجِيلًا  
وَتَعْسَ شَبَابُ، عَدِيمُ النُّهَى

شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَاةِ  
تسَابِيهِ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَأَفْلَتَ مِنْ قَفَصِ الْاِتَّهَامِ  
شَبَابُ تَطَهَّرَ فِيهِ الضَّمِيرُ  
وَأَشْرِبَ مِنْ نَبِعِ إِسْلَامِهِ  
وَلَمْ يَتَنَكَّرْ لِأَمْجَادِهِ

٢٠٠ هذا مرض اجتماعي خطير من أمراضنا الأشد فتكاً بالأمة، ولا يُقضى عليه إلا بتعاون الجميع!

وَيَجْرِي وَرَاء السَّحَابِ الْجُهَامِ  
بِبَخْسِ عَقِيدَتِهِ كَالسُّوَامِ  
ثَقَافِيَّةٌ ضَلَّ عَنْهَا الْفِطَامِ  
يُصَوِّبُهَا دَارُسٌ<sup>٢٥٩</sup> الْانْهَزَامِ  
وَإِسْلَامُهُ بَيْنَ ذَاكَ قَوَامِ  
فَمِنْكُمْ، وَمِنِّي ... عَلَيْهِ السَّلَامُ

شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرِ نُرْتَلِهِ كَالصَّلَاةِ  
تَسَابِيْحُهُ مِنْ حَنَايَا الْجَزَائِرِ

يَنَاغِمُكَ شَاطِئُهُ الْمُبَتِّسِمُ  
وَمَا نَامَ جُرْحُ الْهَوَى بِالْقِدَمِ  
فَإِنْ شَهِيْدَ الْهَوَى مَنْ كَتَمَ  
فَأَنْتَ الْخَاصِيمُ، وَأَنْتَ الْحَكْمُ  
تُخَلِّذُ بِهَا حُرُمَاتِ الذَّمِّ  
فَأَرْسَى بُولُوقِينُ فِيهَا الْحَرْمُ!

وَلَمْ يَكُنْ بِالْتَّبَعِيَّاتِ يُغْزَى  
وَلَا بِالْمَذَاهِبِ<sup>٢٥٧</sup> يُغَرَى فَتُشَرَى  
وَلَمْ تَخْتَطِفْهُ مَرَاهَةً<sup>٢٥٨</sup>  
وَلَمْ تُجِدْ فِيهِ مَعَاوِلُ هَذِمٍ  
وَلَمْ يَتَأْلِمْ بِيُسْرَى،<sup>٢٦٠</sup> وَيُمْنَى  
شَبَابُ عَلَيْهِ مَنَاطِ الرِّجَاءِ  
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى

وَسَاجِلُ بُولُوقِين<sup>٢٦١</sup> عَذْبَ النَّغْمِ  
وَتَفْتَحُ حَنَايَاكَ جُرْحًا قَدِيمًا  
فَلَا تُفْشِ، يَا قَلْبُ أَسْرَارَهَا  
وَلَا تَشَكُّ لِلْكَائِنَاتِ أَسَاكِ  
وَخَلُّ الْمَوَاجِدِ لِلذَّكَرِيَّاتِ  
قَدَاسَةُ أَوْجِين<sup>٢٦٢</sup> لَمْ تُجِدْ فِيهَا

٢٥٦ السَّحَابِ الْجُهَامِ: السَّحَابُ الَّذِي لَا يُمْطِرُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَفِي النَّاسِ أَخْيَافٌ، جَهَامٌ وَمَاطِرٌ وَنَابٌ، وَمَضَاءٌ، وَبَازٌ، وَأَبْغَثَ

٢٥٧ الْمَذَاهِبُ الْمُسْتَوْرِيَّةُ وَالَّتِي تَخْلَى عَنْهَا أَوْ عَنْ جَلَّهَا أَصْحَابُهَا لِظَهُورِ تَنَاقُضِهَا مَعَ الْوَاقِعِ.

٢٥٨ الْمَرَاهَةُ الْثَّقَافِيَّةُ، كَنَاءٌ عَنِ الطَّيْشِ الْذَّهَنِيِّ وَالْتَّرَفِ الْفَكْرِيِّ وَالسُّطْحِيَّةِ وَعَدَمِ الْغُوْصِ وَالْتَّعْمُقِ فِي اسْتِجْلَاءِ الْحَقِيقَةِ.

٢٥٩ حَارِسُ الْانْهَزَامِ كَنَاءٌ عَنِ بَعْضِ الْمُدْرِسِينِ الدِّكَاتُورِيَّةِ رَغْمًا عَنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُنْشَرُونَ الضَّلَالَاتِ وَالْأَفْكَارِ الْانْهَزَامِيَّةِ الْمُنْحرَفَةِ فِي عُقُولِ الْأَغْرَارِ.

٢٦٠ لَمْ يَتَأْثُرْ بِالشِّيَوْعِيَّةِ وَلَا بِالْأَسْمَالِيَّةِ، وَكَانَ الإِسْلَامُ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً.

٢٦١ بُولُوقِينُ: الْأَسْمَاءُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي أُطْلِقَتْ بَعْدِ الْاِسْتِقْلَالِ عَلَى صَاحِبِيَّةِ «سَانْتُوْجِينَ».

٢٦٢ أَيُّ الْقَدِيسِ أَوْجِينُ (سَانْتُوْجِينَ) لَمْ تُجِدْ قَدَاستَهُ فِي كَبْحِ غُوايَاتِ هَذِهِ الصَّاحِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَجَاءَ بُولُوقِينَ وَحَوْلَهَا حَرَمًا آمِنًا فِيمَا أَتَوْقَعَ!

نُحْثُ الخطى نحو قصر الأئم!  
عِنَاقًا، فَنُلْقِى إِلَيْهِ السُّلْمَ  
فِي خَفْقٍ فوق ذُرَاهَا العَالَمُ  
أَتَيْتُمْ؟ فَقُلْنَا: لَنْبَنِي الْهَرَمْ!

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُه كَالصَّلَاةِ  
تسابِيقُهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الجَزَائِرِ

وَمَجْلِي قَدَاسَةِ إِيمَانِنَا  
وَمَغْنِي الْجَمَالِ بِأَوْطَانِنَا  
وَبِرْجِ أَصَالَةِ إِشْعَاعِنَا  
جَزَائِرٌ تَسْمُو بِأَمْجَادِنَا  
رِّ عَبْرِ الْقَرْبَونِ لِقَرَائِنَا  
كَرَامًا بِتَرْبَةِ أَجَدَادِنَا  
نِ، فِي الْخُلُدِ مِنْ عَزِّ أَبْطَالِنَا  
وَإِنْصَافَ حُرْمَةِ إِسْلَامِنَا  
إِذَا مَا صَدَقْتُمْ لِأَجْيَالِنَا  
يَنِيرُ الطَّرِيقَ لِطَلَابِنَا  
وَتَلَكَ طَهَارَةَ نِيَّاتِنَا

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنْا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُه كَالصَّلَاةِ  
تسابِيقُهُ مِنْ حَنَاءِيَّا الجَزَائِرِ

وَأَزْعَجَ قَوْمًا أَذَانَ الصَّلَاةِ يُجْلِجِلُ فِي الْقِمَمِ الضَّارِعَاتِ

مَرَرْنَا عَلَى الْوَكْرَ مَرَّ الْكَرَامِ  
فَيُشَبِّعُنَا سَيِّدِي فَرَجُ  
وَتَجْثُوا الرِّيَاضُ<sup>٢٦٣</sup> عَلَى قَدَمِنَا  
وَقَالَتْ لَنَا الْكَائِنَاتُ: لِمَاذا

وَيَا مَلْتَقِي<sup>٢٦٤</sup> فَكِيرِ إِسْلَامِنَا  
وَيَا لَوْحةَ لِسْمَوِ الْجَلَالِ  
وَيَا مَنْبَعَ النُّورِ مِنْ وَحِينَا  
وَيَا حَجَةَ لِرَسَالَاتِ أَرْضِ الْ  
وَبِرْهَانِ إِحْلَاصِ أَرْضِ الْجَزَائِرِ  
وَيَا وَافْدُونَ عَلَى الرَّحِبِ، حَلُّوا  
تُحَيِّيكُمُو مُهْجَاتِ الْمَلَيِّبِ  
تَنَاهِدُ فِيْكُمْ صَفَاءَ الْضَّمِيرِ  
وَخَدْمَةَ تَارِيخِهِ مِنْ جَدِيدٍ  
وَأَنْ تَغْمُرُوا مِنْتَدَكُمْ وَضُوحاً  
فَأَرْضُ الْجَزَائِرِ، أَرْضُ الْوَضُوحِ

<sup>٢٦٣</sup> الرياض، فندق رائق اختير لاستضافة وفود الملتقى السادس للتعزف على الفكر الإسلامي من ٢٤-٧ إلى ١٠/٨/١٩٧٢ م.

<sup>٢٦٤</sup> هذا المقطع يضم ١١ بيتاً عوض عشرة أبيات، والبيت الزائد بمثابة سجدة السهو للحفظ على قداسة الملتقى.

تموج به القيم الصالحة  
فَتَفَجَّعُهُمْ صَرَخَاتُ الْحَيَاةِ  
تُصَبُّ عَلَى أَهْلِهِ الْعُنَاثُ  
رَلَمْ يُزَعِّجَ الْمَهْجَ الفاجِرَاتُ  
وَيَرْشَحَ زَقْوَنَهَا بِالْهَنَاثُ  
كَسَاكِسَ تَرْفَ منْهَا الْلَّهَاءُ  
لَوْعَ، وَيَرْزُعُ فِيهَا الْمَمَاتُ  
وَتَسْتَنْكِرُونَ آذَانَ الصَّلَةِ؟  
يَقُودُ الشَّرَاعَ لِشَاطِي النَّجَاهَةِ

شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلُهُ كَالصَّلَةِ  
تسابيحةً من حنايا الجزائر

أعادت لعلم الكتاب <sup>٢٦٨</sup> وقاره  
ويُلْعَنُ مَنْ يَطْمَسُونَ مَنَارَهُ  
رَعَاعًا، قَلْوَبُهُمْ كَالْحَجَارَهُ!  
تَجاوزَهُ الْيَوْمَ رَكْبُ الْحَضَارَهُ  
لَفَجَرَ فِيهِمْ معانِي الطَّهَارَهُ

فَيُلْقِي لَهُ السَّمْعَ قَلْبُ شَهِيدٍ  
وَيَصْدِمُ آذَانَ قَوْمٍ بِوَقِيرٍ  
وَحَيْيُ الدُّرَابِكُ <sup>٢٦٥</sup> فِي كُلِّ فَجٍّ  
وَقَرْعَ الطَّبُولِ، وَنَفْخَ الْمَزَامِيرِ  
وَلَا إِمْ يَخْجُلُ إِبْلِيسَ مِنْهَا  
وَأَعْرَاسُ <sup>٢٦٦</sup> خَمْرٍ، تُرَاقُ عَلَى  
وَصَوْتِ دُعَاءِ الْهَزِيمَهِ يُغْرِي الضَّـ  
أَيْطَرِبِكُمْ، فِي الْحَقِّ نَاعِقٌ  
وَفَوْقَ الْمَآذِنِ صَوْتُ إِلَهِهِ

رَعَى اللَّهُ فِي الْعَالَمِينَ الْوِزَارَهُ <sup>٢٦٧</sup>  
فَكُمْ ظَلَّ يَشْكُوُ الْكِتَابُ عَقْوَهَا  
وَكُمْ صَدَقَ الْوَعْدُ، لَوْ كَانَ يَجْدِي  
وَكُمْ وَصَمَوهُ بِعَقْمِهِ، وَقَالُوا:  
وَلَوْ كَشَفُوا عُمَقَ أَسْرَارِهِ

<sup>٢٦٥</sup> في صحراء الجزائر يُعبّر عن الأمور السخيفة أو الرجل الوضيع بقولهم: «فلان، حي درابك». والدراكب جمع دربوكه يُفرّع عليها لضبط موازين الإيقاع، وأصبح استعمالها منتشرًا فوضويًا، وبصورة مزعجة في كل حي وكل درب صباح مساء، الأمر الذي يقلق راحة الناس أينما كانوا.

<sup>٢٦٦</sup> في بعض الأوساط الفاقدة للحياة تُعْدُ ولائم تُسمّى «أعراس البيرة» يُخلع منها العذر، ويُندبح فيها السُّمَّت واللوقار، حتى إن بعضهم يُسقي الكسكسي (يُجمع على كساسكس) لا بالمرق المعتاد؛ بل بالحمر الصرف، ويُقدمه للوافدين معتزًا فخورًا (بتقدميته) الداعرة الهوجاء. وإن هذه الضوضاء العربيدة لا تقلق راحتهم على ما هي عليه، فيزعمون أن مكبرات الصوت في المآذن تُلْقِي راحة السكان وتُقْضِي مضاجعهم. قال لهم الله ألم يُوفِّكون.

<sup>٢٦٧</sup> «الوزارة» الألف واللام للعهد الحضوري؛ أي وزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية.

<sup>٢٦٨</sup> «علم الكتاب» أي فقه الشرعية وفلسفة الفكر الإسلامي، قال تعالى: «وَعِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ».

سَمَا بِالْبَنَاءِ، وَأَرْسَى جَدَارَهُ  
يَبَلُّغُ رِبَكَ فِيهَا قَرَارَهُ  
فِي كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ مَنَارَهُ  
يَوْجِهُ صِدْقُ الضَّمِيرِ حِوارَهُ  
مَنَابِعِ إِشْرَاقِهِ فِي الْوِزَارَهُ  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلَهُ كَالصَّلَاهُ  
تَسَابِيَّهُ مِنْ حَنَاءِ الْجَزَائِرِ

وَأَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا فِي الْغَيْوَبِ  
عَسَاهَا تَكْفُرُ كُلَّ ذَنْبِي  
عَلَى الْمَسْرِفِينَ<sup>٢٦٩</sup> فَهَانَتْ خَطْبَوِي  
رَحِيمُ، لَضَاقَتْ عَلَيَّ دَرْبَوِي  
فَأَكَّدَ فَضْلَكَ سِتَّرَ الْعَيْوَبِ  
وَهَجَتْ بِهِ نَصْبَيِ وَلْغُوبِي  
يَهُبُ الصَّبَا وَالْهَوَى لَهُبُوبِي  
وَمَا هَمْتُ يَوْمًا بِغَزوِ الْقَلْوَبِ  
وَأَبْدَلْتُنِي بِطَرْوَبِ لَعْوبِي  
وَفِيكَ؟ إِذَا لَمْ تُكْفُرْ ذَنْبِي

جَهَادُ الْوِزَارَهُ نُورٌ وَحْقٌ  
مَسَاجِدُ لِلَّهِ فِي كُلِّ حَيٍّ  
مَنَارَاتٍ<sup>٢٦٩</sup> عِلْمٌ بِعُرْضِ الْبَلَادِ  
وَكُمْ خَلَدَ الْمُلْتَقِي<sup>٢٧٠</sup> مَهْرَجَانًا  
وَرُوحُ الْأَصَالَهُ تَسْمُو بِشَعْبِ  
شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدُّنَى  
أَتُوْبُ إِلَيْكَ بِإِلْيَازِتِي  
عَصِيَّتُكَ عَلَمًا بِأَنَّكَ تَعْفُوُ  
وَلَوْلَا صَفَاتُكَ: رَبُّ غَفُورٌ<sup>٢٧١</sup>  
وَأَكَّدَ فِعْلَ الصَّفَاتِ الْعَصَاهَةَ<sup>٢٧٢</sup>  
عَصِيَّتُكَ لِمَا خَلَقْتَ الْجَمَالَ  
وَصَوَرَتَنِي شَاعِرًا مَرْهَفًا  
وَلَوْلَا الْجَمَالُ لَعَشْتُ عَقِيمًا  
وَإِنْ أَنَا لَمْ أَعْصِ، أَهَلَكْتُنِي<sup>٢٧٣</sup>  
فِي رَبِّ، مَا حَيَلْتِي فِي الْهَوَى

٢٦٩ مراكز التعليم الأصلي بمثابة مനارات موزعة طول البلاد وعرضها.

٢٧٠ ملتقيات الفكر الإسلامي التي تعقدتها وزارة التعليم الأصلي كل سنة.

٢٧١ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

٢٧٢ لولا وجود العصاة لبطل مفعول الكثير من صفات الله الحسنة؛ فوجود العصاة التائبين تأكيد لسريان مفعول تلك الصفات.

٢٧٣ إشارة إلى الحديث القديسي (إن صح سنته): «يا عبادي، لو لم تعصوني وتستغفروني فأغفر لكم، لأهلكتكم وأبدلتم بقوم آخرين يعصون فيستغفرون فأغفر لهم».

شَفَّلْنَا الورى، وَمَلَّنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلْهُ كَالصَّلَاةِ  
تسابيحةً من حَنَايا الجَزَائِرِ

فَخَلَدَ مجده في الكون ذكري  
بِإلياذتي في اعتزان، وفخر  
خطى التائرين بألحان صدري  
وأذكى لهيبِ الجَزَائِرِ فكري  
وهبْتُ الجَزَائِرِ، فكري وعمري!  
وأنكر شمسَ الضحى كلَّ غُمراً  
ويؤذيهم الورود<sup>٢٧٥</sup> من طيب عطري  
وطرطُ أسابِقِ مطلع فجر  
فَصَعَرَ حَدَّ الحَجَارَةِ صخري  
تَلَاقَفُ<sup>٢٧٦</sup> ما يأفكُونَ بسحري

شَفَّلْنَا الورى، وَمَلَّنَا الدُّنَا  
بِشِعْرٍ نُرْتَلْهُ كَالصَّلَاةِ  
تسابيحةً من حَنَايا الجَزَائِرِ

وأغرقوهم في السخافات وحُلُّ  
يَكْبُلُهُ بالتفاعيلِ غُلُّ  
دَخِيلًا ... وشعري يزيكيه أصلُ؟  
فشعري صريحُ الرجولة، فحلُ!  
ومدح ذوي الحكم يجفوه عقلُ  
وووصف البطولاتِ فضلُ وعدلُ  
ولن يجحد الفضل إلا العُتلُ

بلادي، وقفْتُ لذكرِكِ شعري  
وألهَمْتِني فصدَعْتُ الدُّنَا  
وكنتُ أوقِعُ في الشاهقاتِ  
فَخَلَدَ قدُسُ اللَّهِيَب<sup>٢٧٤</sup> بياني  
وإن يجَحِّدوني ... فحسبِي أَنِّي  
فَآمَنَ بي كُلُّ حَرَّ أصيلٍ  
وتقصُّر دونَ خُطايِ خطاهِم  
تركَتُ الخوالفَ، تحسُو الغبارَ  
ودست الصراصيرَ بينَ الصخورِ  
وألقيتُ في الساحرين عَصَایِ

وران على البعض حمُق وجهل  
وقالوا: قصيدهُ شعرُ قدِيمٌ  
وما حيلتي ... إن يكنْ شعرهم  
وإن يكُ شعر الخنافيسِ حُنَثَى!  
وقالوا: مدحت به الحاكمين  
ولو أنصفَ الغُشمُ، قالوا: وصفتَ  
ولن ينكر المجد إلا الجبان

<sup>٢٧٤</sup> اللهب المقدس ديوان الشاعر أثناء الكفاح التحريري المسلاح وسجل له.

<sup>٢٧٥</sup> «إن ريح الورد يؤذني بالجعل».

<sup>٢٧٦</sup> تلَاقَفَ بحذف إحدى التاءين أصله تَلَاقَفَ، وفي القرآن: ﴿تَلَاقَفُ مَا يأْفَكُونَ﴾.

وقالوا: انحرفت بـإلياذة  
تلوم الشباب، ومثلك يعلو  
وشهنامه الفرس بالوصفِ تغلو  
فقلتُ: وشِعر الخرافاتِ يَفْنَى!<sup>٢٧٧</sup>

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَةِ

تسابيحةً من حنايا الجزائر

وهمتَ مع الشِّعر، في كل وادي  
وِيلَهُبُ حُبُّ بلادي فـؤادي!  
بـكـلٌّ اعـتزـاز، وكل اعـتـدـاد!<sup>٢٧٨</sup>  
سـفـير القـلـوبـ، بدون اعـتمـادـ!  
وكـانـتـ تـصـدـرـ فـنـ الجـهـادـ!  
وتـفـخـرـ بالـمـجـدـ، في كل نـادـيـ!  
وـيـرـهـفـ حـسـيـ، ويـبـلـوـ رـشـاديـ<sup>٢٨٠</sup>  
وـعـشـتـ بـلـيـدـاـ كـبـعـضـ العـبـادـ!  
مـذـاهـبـ لـمـ تـكـ صـنـعـ بلـادـيـ!  
مـقـيمـ عـلـىـ الـعـهـدـ، رـغـمـ الـبـعـادـ!

شَغَلْنَا الورى، وَمَلَأْنَا الدُّنَا

بِشِعْرِ نُرْتَلَهِ كَالصَّلَةِ

تسابيحةً من حنايا الجزائر

وقالوا: هـجـرـتـ ربـوعـ الـبـلـادـ  
أـجـلـ، قد بـعـدـتـ لـأـزـدـادـ قـرـبـاـ  
أـرـىـ فـيـ كـيـانـ الحـجـائزـ ذاتـيـ  
وـماـ زـلـتـ عـنـهـ بـدـنـيـاـ القـلـوبـ<sup>٢٧٩</sup>  
وـإـنـ بـلـادـاـ تـصـدـرـ فـكـراـ  
حـرـيـ بـهـاـ أـنـ تـرـوـعـ الزـمـانـ  
ولـلـوـلـاـ التـنـقـلـ يـذـكـيـ شـعـورـيـ  
لـغـاضـ مـعـيـنـيـ، وأـجـبـلـ ٢٨١ـ فـكـريـ  
وـصـرـتـ أـرـدـدـ كـالـبـَبـَغـاءـ  
وـإـنـيـ بـتـخـلـيـدـ مـجـدـ بلـادـيـ

<sup>٢٧٧</sup> إشارة واضحة إلى أن إلياذة الجزائر تمتاز عن غيرها بكونها وصفاً لحقائق، وتسبجاً لواقع، مع التحذير من مغباتِ وقتها أنها أممٌ في قمة التقى ونحن في أول درجات السُّلم من جديد!

<sup>٢٧٨</sup> أي سفير القلوب للقلوب بدون أوراق اعتماد، يشيع الحبّ والأخوة والعاطفة الصادقة بين «الأشقاء والأصدقاء».

<sup>٢٧٩</sup> الأمة التي بلغت درجة التصدير أرقى من الأمة التي في حاجة للتوريق.

<sup>٢٨٠</sup> ييلو: أي يمتحن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَنْبُونُكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾.

<sup>٢٨١</sup> أجبل: أي ضعف وعجز عن نظم الشعر الرفيع، يُقال: أجبل الشاعر: أي انقطع عنه الإلهام.

أُغْنِيْتُ عُلَّاك، بِأَيِّ لَسَان؟  
وَيُعْجِزُنِي فِيكَ سَحْرُ الْبَيَان  
وَمَا احْتَرَمُوا فِيكَ حَتَّى الزَّمَان  
يَهِيمُونَ فِي الشَّرْقِ بِالصَّوْلَاجَان<sup>٢٨٢</sup>  
شَعُوبُ، وَلَمْ تَسْتَكِنْ لِلْهُوَان  
وَضَجَّ لِغَاصِبِكَ النَّيْرَان  
وَرَجَّ بِهِ الشَّعْبُ يَوْمَ الرَّهَان  
وَيُسْوِدُ وجْهَ الْمُغَيْرِ الْجَبَان  
تُشْيِعُ الْجَمَالَ، وَتُفْشِي الْحَنَان  
بِلَادِيْ، بِلَادِيْ، الْأَمَانُ الْأَمَانُ!

شَغَلَنَا الْوَرَى، وَمَلَأَنَا الدُّنَى  
بِشِعْرٍ نُرْتَلِهُ كَالصَّلَة  
تَسَابِيْحَهُ مِنْ حَنَاءِيَا الْجَزَائِر

بِلَادِيْ، بِلَادِيْ، الْأَمَانُ الْأَمَانُ  
جَلَّاكَ، تَقْصُرُ عَنِ الْلِفَى  
وَهَامَ بِكَ النَّاسُ، حَتَّى الطَّفَاه  
وَأَغْرِيَتْ مَسْتَعْمِرِيْكَ، فَرَاحُوا  
وَلَمْ يَبْرُحُوا الْأَرْضَ، لَمَّا اسْتَقَلَّتْ  
وَزَلَّذَلَتِ الْأَرْضُ زَلَّالَهَا  
وَرَاهَنَهُ الشَّعْبُ يَوْمَ التَّنَادِي  
فَتَبَيَّضَ صَفَحَةُ إِفْرِيقِيَا  
وَإِشْرَاقُ الْرُّوحِ مِنْكِ تَنَاهَتْ  
إِلَيْكِ صَلَاتِيْ، وَأَزْكَى سَلَامِيْ

---

٢٨٢ يقصد الشاعر الكبير، الذي لن تنسى له بلاده ولا أمنته، الصغرى منها والكبرى، هذا الأثر الباقى، أن الاستعمار بعد احتلال الجزائر، بعد مقاومة طويلة منها راودته نفسه عن الامتداد وكان له ذلك، فاحتلت تونس، ثم مصر، ثم ليبيا، ثم المغرب، ثم سوريا ولبنان، والعراق، وفلسطين، فهل من مذكر؟ هذا التعليق مع أخرىات عديدات، لم يلود قاسم نايت بلقاسم.

